علم و معرفة
من دقائق و حقائق
الكتاب و السنة

محاضرات دينية ألقاها فضيلة الإمام المجدد
(سليل آل بيت النبوة)

مولانا العارف بالله سيدى الشيخ
محمد السيد أبو العينين الرفاعى رضى الله عنه
بالساحة المحمدية بمصر الكنانة

الجزء الأول

هدية مجانية

تعـــــريـــــف

عن الإمام المجدد سيدى العارف بالله

محمد السيد أبو العينين الرفاعى ﷺ

نسبه الشريف ﷺ

فهو من ذرية سيدنا وإمامنا محمد رسول الله ﷺ ومن ذرية مولانا الإمام الحسين ﷺ ، فهو الشريف محمد بن السيد أبو العينين بن سيد أحمد بن جاد الله الرفاعى بن أحمد سليمان بن سيد أحمد بن أحمد بن سيد أحمد بن سليمان من ذرية سيدى عثمان الرفاعى بن على المكنى أبو الحسن بن يحيى بن ثابت بن حازم بن أحمد بن على بن الحسن بن المهدى بن القاسم بن الحسين رفاعة بن أحمد الأكبر بن موسى الثانى أبو سبحة بن إبراهيم المرتضى بن الإمام موسى الكاظم بن الإمام جعفر الصادق بن الإمام محمد الباقر بن الإمام على زين العابدين بن الإمام الحسين بن السيدة فاطمة الزهراء بنت

سيدنا محمد رسول الله ﷺ .

وذلك حسب ما هو مدون بسجل أنساب السادة الأشراف بالنقابة برقم ١٧٢٤١ ــ بتاريخ ١٩٩٧/١/٧م .

النسب الشريف للسيدة الشريفة والدة

الإمام المجدد سليل آل بيت النبوة

مولانا العارف بالله سيدى الشيخ

محمد السيد أبو العينين الرفاعى ﷺ

فهى الشريفة السيدة بنت الشريف على بن الشريف إبراهيم بن الشريف محمد بن الشريف مبارك بن الشريف على بن الشريف محمد بن الشريف إبراهيم من ذرية الشريف تركى بن الشريف قرشلة المتصل نسبه بالشريف عبد الله المحض بن الشريف الحسن المثنى بن الإمام الحسن السبط بن الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه والسيدة فاطمة الزهراء بنت

سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وذلك حسب ما هو مدون بسجل أنساب السادة الأشراف بالنقابة برقم ٣١١٤٦ بتاريخ ٦ / ١٢ / ١٩٩٩م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى خلق الروح وجعلها من أمره ، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد رسول الله ، الذى أشرقت روحه على المؤمنين بنور التوحيد ، وبثت فى بواطن صفوتهم محبة الله وإيثاره تعالى على ما سواه ، فجاهدوا فى الله حق جهاده حتى نالوا مقام الإحسان ــ عطاءً من الله ــ وهو أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك . وكانوا فى زمانه أصحابه ولا شرف أعلى من صحبته ﷺ ، وجاء من بعدهم التابعون ومن بعد هؤلاء تابعوا التابعين ، فأطلق على الخيار منهم الزهاد والعباد ، ثم قيل لهم فى القرن الثانى الهجرى الصوفية وعُرِفَ المتشبه بهم بالمتصوف . فلم يكن الصوفية إذاً دخلاء على المسلمين ، ولم يكن التصوف اِبتداعاً جديداً فى الإسلام ، وإنما جدد الصوفية على أساسٍ من الكتاب والسنة . العمل بالدين للذين غفلوا عنه حين اِتسعت الفتوحات الإسلامية ، وتنافس الناس الدنيا فشغلتهم عن أمور الآخرة ، حتى كادت تنسيهم المعاد الذى

يُرَدون فيه إلى الله ، واِقتضى تجديد العمل بالدين فى همةٍ تشبه همة الصحابة . أن يتكلم الصوفية باصطلاحات لا يفهمها إلا أهلها ، خاصة وأنها تتصل بأذواقٍ ومواجيد جاءتهم إلهاماً بالتجربة لا بالمنطق والبرهان ، فمن دخل فيهم وجاهد جهادهم فهم مصطلحاتهم كفته إشارتهم عن عبارتهم وهذا أشبه بما وقع من الفقهاء ، حين وضعوا بعد زمن الصحابة علم الفقه ، وخصوه فيما بينهم بمصطلحات لا يفهمها إلا من تعلمها منهم كالفرض والنفل والواجب والمندوب إلى آخر ذلك ، ولا نقول إن ظهور هذه المصطلحات تَضَمَّنَ خروجاً عن الدين أو أتى بجديد فيه لذلك لا تعجبوا أن تسمعوا من الصوفية اِستدلالاً بكتاب الله أو سنة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أو بكلام أحد الصحابة ، لا ، بل إنكم ستسمعون منى حكماً بالغةً فى مناسباتها من كلام الخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم ؛ لأنهم كانوا بعد رسول الله ﷺ أئمة الدين علماً وعملاً ومذاقاً ، فأخذ عنهم الخلف ما أخذوه هم من إمام الأئمة سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقد

تلحظون بصفةٍ خاصة إكثارى من الاستدلال بكلام مولانا أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه ورضى الله عنه . ولا عجب فإنه كان يقول : سلونى قبل أن تفقدونى كما كان يقول : إن هاهنا لعلماً جماً ــ ويشير إلى صدره ــ لو أجد له حملة . ورضى الله عن سيد الصوفية فى زمانه الإمام الجُنيد حين قال فيه كرم الله وجهه : لولا أنه اِشتغل بالحروب لأفادنا فى علمنا هذا معانى كثيرة ، ذاك اِمرؤٌ أُعْطِىَ العلم اللدنى . والعلم اللدنى : هو العلم الذى خُصَّ به الخضر عليه السلام . قال تعالى : ﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَـٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَـٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ سورة الكهف

وإنى أسأل الله أن يجزى عنا سلفنا الصالح خيراً كثيراً .

لى سادةٌ من عِزِّهم مَعرُوفهم فوق الجِبَاه
إنْ لمْ أكُنْ مِنْهُمْ فَلِى فى حُبهم عِزٌ وجَاه

أما وقد علمنا فى إجمالٍ أن الصوفية هم خِيار الأمة فى كل زمن ، وهم الآخذون دينهم بقوةٍ

تدفعهم إلى محبة الله وإيثاره تعالى على ما سواه فننتقل إلى التفصيل :

❁ من هم الصوفية فى نظر أئمتهم ؟ ❁

وصف الإمام أبوبكر الكلاباذى المتوفى سنة ٣٨٠ هـ ــ ٩٩٠ م ، وصف الصوفية فى مقاماتهم وأحوالهم فقال سَبَقَتْ لهم من الله الحسنى ، وأَلْزَمَهُمْ كلمة التقوى وَعَزَفَ بنفوسهم عن الدنيا ، صَدَقَتْ مجاهداتهم فنالوا علوم الدراسة ، وخَلُصَتْ عليها معاملاتهم فَمُنِحوا علوم الوراثة وصفت سرائرهم فأُكرموا بصدق الفراسة ، ثبتت أقدامهم وزُكت أفهامهم وأنارت أعلامهم ، فهموا عن الله وساروا إلى الله ، وأعرضوا عما سوى الله ، خرقت الحُجُبُ أنوارهم وجالت حول العرش أسرارهم ، وَجَلَتْ عن ذى العرش أخطارهم ، وعميت عما دون العرش أبصارهم ، فَهُمْ أجسامٌ روحانيون ، وفى الأرض سماويون ومع الخلق ربانيون سُكُوتٌ نُظَّار ، غيبٌ حُضار ، ملوكٌ تحت أطمار ، أنزاع قبائل ، وأصحاب فضائل ، وأنوار دلائل ، آذانهم واعية وأسرارهم صافية ، ونعوتهم خافية ، صفوية صوفية

نورية صفية ، ودائع الله بين خليقته ، وصفوته فى بريته ووصاياه لنبيه ، وخباياه عند صفيه ، هم فى حياته أهل صُفتِه ، وبعد وفاته خيارُ أمته ، لم يزل يدعو الأول الثانى والسابق التالى بلسان فعله أغناه ذلك عن قوله . وإذا ركزنا فى هذا التعريف قلنا : إنهم أولياء الله الذين وصِفُوا فى القرآن بقوله تعالى: ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾ ﴾ سورة يونس .

مميزات السادة الصوفية :

ثم نقول : بماذا يتميزون ؟ قد بين إمامنا سيدنا على بن أبى طالب كرم الله وجهه و ﷺ الفرق بين مسلك هؤلاء الأولياء ومسلك غيرهم فقال :" هم الذين نظروا إلى باطن الدنيا إذا نظر الناس إلى ظاهرها ، واشتغلوا بآجلها إذا اشتغل الناس بعاجلها ، فأماتوا منها ما خشوا أن يُميتهم

وتركوا منها ما علموا أنه سيتركهم ، ورأوا استكثارَغيرهم منها استقلالا ، ودَرَكِهم لها فوتاً ، أعداءٌ ما سَلِمَ الناس وسِلْمٌ ما عادى الناس ، بِهِم عُلِمَ الكتاب ، وبه عُلِمُوا وبهم قام الكتاب وبه قاموا . ثم يبين رضوان الله عليه حاجة الناس إليهم فيقول سيدنا على كرم الله وجهه لسيدنا جابر بن عبد الله الأنصارى : يا جابر : قوام الدنيا بأربعة ، عالمٌ مُستعملٌ علمه ، وجاهلٌ لا يستنكف أن يتعلم ، وجوادٌ لا يبخل بمعروفه ، وفقيرٌ لا يبيع آخرته بدنياه . وزاد كرم الله وجهه شرحاً فقال : فإذا ضيع العالم علمه إستنكف الجاهل أن يتعلم ، وإذا بخل الغنى بمعروفه باع الفقير آخرته بدنياه . يا جابر : من كثرت نعم الله عليه كثرت حوائج الناس إليه ، فمن قام لله فيها بما يجب عرَّضها للدوام والبقاء ، ومن لم يَقُمْ عرَّضها للزوال والفناء ثم وصف علمهم فقال كرم الله وجهه فى وصف علمهم عقلوا الدين عقل وعاية ورعاية لا عقل سماع ورواية فإن رُواة العلم كثير ورُعَاتُهُ قليل . ثم يُبَينُ كرم الله وجهه مقارنةً بينهم وبين أهل المال قال كرم الله وجهه و ﷺ فى التمييز

بين أهل المال وهؤلاء العلماء الربانيين : هلك خُزَّان الأموال وهم أحياء ، والعلماء باقون ما بقى الدهر أعيانهم مفقودة ، وأمثالهم فى القلوب موجودة . وهذه الكلمة الأخيرة ــ أعيانهم مفقودة وأمثالهم فى القلوب موجودة ــ تجعلنى أتوجه إلى الله سبحانه أن يوفقنا جميعاً ، وأن يوفق كل ما سمع هذه المحاضرة منى لنتشبه بهم ما اِستطعنا إلى ذلك سبيلا . وقد جاء فى حكمه كرم الله وجهه ورضى الله عنه: إن لم تكن حليماً فتحلَّم ، فإنه قلَّ من تشبه بقومٍ إلا أوشك أن يكون منهم . وأقول قياساً على هذه الحكمة البالغة : إن لم تكن صوفياً فتصوف

❁ دعائم التربية الصوفية ❁

ومن دعائم التربية الصوفية : أن يتخفف الصوفية فى معاشهم ويتزودون لمعادهم ، ويضعون نُصْبَ أعينهم أنهم خُلِقوا للآخرة لا للدنيا ، وإن الدنيا فانيةً منقطعة والآخرة باقيةٌ متصلة ، ولا يجوز فى نظرهم أن يطغى الفانى على الباقى ويقولون ــ أى الصوفية ــ : ليس للعاقل أن يكون شاخصاً إلا فى ثلاث : مرمَّةً لمعاش أو خُطوةً فىمعاد ، أو

لذَّةً فى غير مُحَرّمْ . وسأتكلم عن مسلكهم فى كل واحدةٍ منها :

١ ـ المرتبة الأولى: مَرمَّةٌ لمعاش .

أجمع الصوفية على إباحة المكاسب من الحرف والتجارات والحرث ، وغيرها مما أباحته الشريعة ولكنهم يتحرزون فى كسبهم من الشبهات . وقد قال سيدنا إبراهيم بن أدهم ــ وهو من أعلام الصوفية ــ : عليك بعمل الأبطال الكسب من الحلال ، والنفقة على العيال . وقال الإمام سهل بن عبد الله : " من طعن على الاكتساب فقد طعن على السنة ، ومن طعن على التوكل فقد طعن على الإيمان " . وكان سيدنا عبد الله بن المبارك يقول : مكاسبك لا تمنعك عن التفويض والتوكل إذا لم تضيعهما فى كسبك . وقد سُئِلَ بعض الصوفية وكان يتكلم فى فضل المكاسب هل نحن مُستعبدون بالكسب أو بالتوكل ؟ فأجاب : التوكل حال الرسول ﷺ والكسب سُنة الرسول ﷺ ، وإنما اِستن للناس الكسب لعلمه بضعفهم ، حتى إذا سقطوا عن درجة التوكل التى هى حاله لا يسقطون عن درجة طلب المعاش التى هى سنته ؛ ولولا

ذلك لهلكوا . وإذا بلغ أحد الصوفية درجة التوكل الحق أغناه الله عن أسباب الكسب بما شاء . وقد أيد القرآن الكريم ذلك فى مثل قوله تعالى :﴿ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾ ﴾ سورة آل عمران. وقد سُئِلَ إمامنا على كرم الله وجهه و ﷺ كيف يأتى الرزق لرجلٍ تُغلق عليه الدار ؟ فقال كما يأتيه أجله . ولا شأن لنا بأدعياء التوكل الذين يعيشون على حساب غيرهم ، وَيَدَّعُونَ التوكل ويحسبون أنهم يُحْسِنُونَ صُنْعاً . وقد قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ : كنت أرى الشاب فيعجبنى منظره فإذا قيل لى لا حرفة له سقط من عينى . ومن طريف ما وقفت عليه أن شاباً جاء إلى الإمام أحمد بن حنبل ﷺ وقال له : سأذهب إلى الحج ولا أتزود ؛ لأنى سأتوكل على الله فسأله الإمام : تخرج وحدك أو تخرج مع القافلة ؟ فقال : بل مع القافلة فقال

الإمام وما أبدع ما قال : أنت لا تتكل على الله ؛ إنما تتكل على إخراج الناس .

حذرالصوفيةمن فتنةالمال : ثم أتكلم عن حذر الصوفية من فتنة المال : يَجْمَعُ الصوفية المال من حلال طيب ولكنهم يجمعونه للحقوق لا للحظوظ ، ويرون أنفسهم مبتلون بالمال ومستخلفون فيه ، ويتصرف الواحد منهم فيما يأتيه تصرف الوكيل ، الذى يتصرف فى مال موكله بإذنه ، وهم يتشبهون فى ذلك بأصحاب سيدنا رسول الله ﷺ حين جعلوا الأموال فى أكفهم لا فى قلوبهم ، فأنفقوها طيبة بها نفوسهم فيما يرضى الله تعالى ؛ ولهذا خرج الإمام أبو بكر الصديق ﷺ من كل ماله فى سبيل الله ، وحين سأله رسول الله ﷺ وما الذى أبقيت لعيالك ؟ قال : أبقيت لهم الله ورسوله . وخرج أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ من نصف ماله وأبقى النصف له ولعياله ، وأما أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ فكان يقول : لولا أنى خشيت أن يكون فى الإسلام ثُلْمَةً أَسُدُهَا بهذا المال ما جمعته ، ومن تَمَكُنِهِ فى عدم المبالاة بالمال ، كان الإنفاق أحب إليه من الإمساك

حتى لقد جهزَّ جيش العُسرةِ بعشرات الآلاف ، وحتى قال رسول الله ﷺ : ما ضَرَّ عثمان ما عمل بعد هذا ، وأما إمامنا على كرم الله وجهه فقد وقف على باب الخزانة وقال : يا صفراء ويا بيضاء غُرْىً غيرى (يا صفراء ويا بيضاء يعنى إيه ؟ يعنى يا من فيك الذهب والفضة ، الأصفر والأبيض) وزهده فى الدنيا أشهر من أن يُذكر ، وما أحسب أن أحداً من الصحابة رضوان الله عليهم أبدع فى وصف الدنيا خيراً منه ، فقد قال فيها أقواله الخالدة ومنها قوله كرم الله وجهه ورضي الله عنه : الدنيا تَغُرْ وتَضُرْ وتَمُرْ ، إن الله تعالى لم يَرْضَهَا ثواباً لأوليائه ولا عقاباً لأعدائه . وقوله : الزهد كله بين كلمتين من القرآن ﴿ لِّكَيْلَا تَأْسَوْاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ ﴾ سورة الحديد . ومن لم يأس على الماضى ولم يفرح بالآتى فقد أخذ الزهد بطرفيه . وقوله كرم الله وجهه و رضي الله عنه فى الذين خاضوا غمراتها وافتتنوا بزينتها حتى ألهتهم عن الآخرة التى هى خيرٌ وأبقى : سلكت بهم الدنيا طريق العمى

وأخذت بأبصارهم عن منار الهدى فتاهوا فى حيرتها وغرقوا فى نعمتها ، واتخذوها رباً فلعبت بهم ولعبوا بها ونسوا ما وراءها . ولا عجب أن يبلغ زهد الصحابة ما بلغ فقد ألقوا السمع للقرآن والسنة وهم شهداء فاتعظوا علماً وعملاً بمثل قوله تعالى : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾ ﴾ سورة الكهف . وحديث سيدنا رسول الله ﷺ الذى رواه أنس بن مالك رضي الله عنه وقال فيه ﷺ : " من أخذ من الدنيا من الحلال حاسبه الله به ، ومن أخذ من الدنيا من الحرام عذبه الله به ، أُفٍ للدنيا وما فيها من البليات حلالها حساب وحرامها عذاب " . وقد تأثر الصوفية فى زهدهم بأحوال الصحابة رضوان الله عليهم فأرتلوا حكمهم الصادقة محذرين من فتنها فمثلاً يقول شقيق البلخى : إحذر أن تهلك بالدنيا ولا تهتم فإن رزقك لا يُعطى أحداً سواك ، ويقول رضي الله عنه : عملت فى القرآن عشرين سنة حتى ميزت الدنيا من الآخرة فأصبته فى حرفين وهو قول الله تعالى: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا

وَزِينَتُهَا وَمَآ عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾ سورة القصص . ويقول : الزاهد الذى يقيم زهده بعقله والمتزهد الذى يقيم زهده بلسانه ويقول : ميز بين ما تُعْطِى وتُعْطَى إن كان من يُعْطِيكَ أحب إليك فإنك مُحب للدنيا ، وإن كان من تُعْطِيهِ أحب إليك فإنك مُحِبٌ للآخرة ، ويقول ليس شيئٌ أحب إلىَّ من الضيف ؛ لأن رزقه ومؤنته على الله ولى أجره ، ويقول : إذا أردت أن تكون فى راحة ، فَكُلْ ما أصبت وَالْبِسْ ما وجدت وارضى بما قضى الله عليك .

الوسائل التى يُقَوى بها الصوفى نفسه على الزهد :

ويقوى الصوفى نفسه على الزهد بما يجتمع له من المال بالوسائل الآتية :

الوسيلة الأولى : يقينه بأن الرزق مقسوم له قبل أن يأتى إلى هذا الوجود ، ولا يغيب عنه قول الله تعالى :

﴿ وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِنَّهُۥ لَحَقّٞ مِّثۡلَ مَآ أَنَّكُمۡ تَنطِقُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ سورة الزاريات . ومن حكمهم البالغة قولهم من صدق فى زهده أتته الدنيا راغمة

وهذه الحكمة مستمدة من قوله تعالى : ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ﴿٢﴾ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا ﴿٣﴾ ﴾ سورة الطلاق .

الوسيلة الثانية : يقينه بأن الله تعالى يبتلى بالشر والخير فتنة ، ولا يغيب عنه قوله تعالى: ﴿ كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ وَنَبۡلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ فِتۡنَةٗۖ وَإِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ سورة الأنبياء.. ولا يغيب عنه الاعتبار بمن مضى مثلما كان من أمر قارون حيث فتنة المال ، فلم يبتغ فيما آتاه الله الدار الآخرة ، ولم يحسن كما أحسن الله إليه بل قال مفتونا ﴿ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ أَوَلَمۡ يَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَهۡلَكَ مِن قَبۡلِهِۦ مِنَ ٱلۡقُرُونِ مَنۡ هُوَ أَشَدُّ مِنۡهُ قُوَّةٗ وَأَكۡثَرُ جَمۡعٗاۚ وَلَا يُسۡـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ سورة القصص . فخسف الله به وبداره الأرض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين . كما قال

تعـــــالى : ﴿ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ ﴾ سورة القصص

الوسيلة الثالثة : أن المرء لا يحتاج مما يجمعه إلا ما هو ضرورى وما زاد فهو فضل يجب أن يشترى به رضاء الله الذى أغناه . ومن أقوالهم المأثورة ــ سادتنا الصوفية رضوان الله عليهم ــ : الدنيا كلها فضول إلا خمس خصال : خُبز يشبعه ، وماء يرويه ، وثوب يستره ، وبيت يُكِنُه وعلم يستعمله . وهذا القول مستمد من حديث سيدنا وحبيبنا المصطفى ﷺ : " يقول ابن آدم مالى مالى ، وهل لك يا ابن آدم من مالك إلا ما أكلت فأفنيت ، أو لبست فأبليت أو تصدقت فأبقيت " .

الوسيلة الرابعة : يداوم الصوفى على تذكر الموت إتعاظاً بقوله تعالى : ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ ﴾ سورة الرحمن . **وامتثالاً لقول حبيبنا المصطفى ﷺ : " أكثروا ذكر هاذم اللذات ". وقد كان نقش الخاتم الذى كان يلبسه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه**

كفى بالموت واعظاً يا عمر. وكان إمامنا على كرم الله وجهه يقول : من ارتقب الموت سارع إلى الخيرات . وكانت السيدة رابعة العدوية رضى الله عنها تتمثل بقول القائل : إذا صح منك الود فالكل هينٌ وكل الذى فوق التراب تراب . الصوفية يَرْوون عن لقمان الحكيم عليه السلام أنه قال لابنه : يا بنى أمر لا تدرى متى يلقاك فاستعد له قبل أن يفجأك . وروى عن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه أنه قال فى إحدى خطبه : ألا ترون أنكم تتقلبون فى أسلاب الهالكين ويرثها منكم الباقون كذلك حتى تُرد إلى خير الوارثين وأنتم تُجَهِزُون كل يومٍ غادياً أو رائحاً إلى الله عز وجل تضعونه فى صدعٍ من الأرض ثم فى بطن صدع قد توسد التراب وخلَّف الأحباب ، وقطع الأسباب ، مُوجَهٌ للحساب ، غنىٌ عما خلَّف ، فقيرٌ إلى ما قدم . والصوفية يهيجون أنفسهم فى تذكر الموت بالاعتبار بمن مضى قبلهم ممن كان أشد قوة وأكثر جمعاً ، وتقشعر جلودهم بآيات الاعتبار حين يتلون مثل قوله تعالى ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ

تُحِسُّ مِنۡهُم مِّنۡ أَحَدٍ أَوۡ تَسۡمَعُ لَهُمۡ رِكۡزًا ﴿٩٨﴾ ﴾ سورة مريم .

قال ابن عباس ﷺ فى معناها : هل تسمع له صوت يخبرك أن الموت قد أهمدهم فلا حس ولا صوت . على أن الصوفية فى زهدهم ليسوا بدرجة واحدة بل هم درجات ، وكلهم على خير إن شاء الله فمنهم من ترك الدنيا كلها وخرج من جميع ما يملك وجلس كما يقولون على بساط الفقر والتجريد بلا علاقة ، وهؤلاء إقتدوا فى مسلكهم هذا بالإمام أبى بكر الصديق ﷺ ، ومنهم من أخرج شطر ماله وترك الشطر لعياله ، وهؤلاء اِقتدوا بأمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ ومنهم من جمع لله ، ومنع لله ، وأعطى لله ، وأنفق لله وهؤلاء اِقتدوا بأمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ ، ومنهم من لم يَحُمْ حول الدنيا وإن جُمعت عليه من غير طلبٍ رفضها وهرب منها ، وهؤلاء يقتدون بإمامنا سيدنا على بن أبى طالب كرم الله وجهه و ﷺ . وقد حُكى عن سهل بن عبد الله ــ إمام من أئمة الصوفية ــ ﷺ أنه قال : ربما يملك العبد الدنيا ويكون أزهد الخلق فى زمانه فقيل له مثل من ؟ فقال : مثل عمر بن عبد العزيز . ومن حكمهم البالغة

قولهم : إزهد فى الدنيا يُبَصِّرُك الله عَوَرَاتِهَا ولا تغفل فلست بمغفولٍ عنك . ويقول إمامنا على بن أبى طالب كرم الله وجهه وما أروع ما يقول : من هوان الدنيا على الله أنه لا يُعصى إلا فيها ، ولا يُنال ما عنده إلا بتركها . ويقول الإمام ابن الرومى ناصحاً لنا فى هذا المقام : ليس الزهد أن تترك الدنيا من يدك وهى فى قلبك ، بل الزهد أن تتركها من قلبك وهى فى يدك . ولقد كان الأولون حريصين على ترك الحرص ، وكانوا فى بعض ما أُحِل لهم أزهد منا فيما حرم علينا ، وكانوا لصغائر الذنوب أشد استعظاماً منا لكبائر المعاصى حتى كادوا يفوقون بفطرتهم صومنا ، ويتحدون بنومهم يقظتنا فربما تركوا سبعة أبواب من الحلال من أجل باب من الحرام يخشونه ، فعملوا صالحاً ، وكسبوا حلالاً وأكلوا طيباً ، وأنفقوا براً ، وقدموا أجراً . فعش أيها المؤمن فى ذكراهم كأنك معهم ، ولا تسلط الهوى فى نفسك ولا تدع الأحجار المتراكمة من الخطايا تحطم قلبك ؛ فإن الفُخَّار إذا اِنكسر لا يُرَقْع ولا يُعاد طيناً ، إسعى إلى كسب الرزق من بيدر ــ أى من جُرن ــ اللطيف الخبير وإجعل

القناعة من كسبك والرضا أفضل رزقك ، واِعلم أن الدنيا كلها لو كانت طوع يدك ما كان لك سوى القوت ، فلا تأكل فى سبعة أمعاء . إن أموال قارون لم تزده لحظة على العمر المقدور ، إقرأ ما كتب الرحمن فى صحائف الأكوان ولا تجعل الظواهر منتهى بصرك ومبلغ علمك ، حتى لا تُحْجَبُ الحقيقة عن عينك ، وتنحرف بك الأهواء عن سبيلها . أيها المؤمن : إن آثام اليوم هى عقارب الغد ، وسكرة الدنيا هى لهيب العطش فى صحراء القيامة ، إن الظواهرأضلت إبليس فلم يرى من جوهرآدم سوى الماء والطين ، وأضلت الظواهر أبا جهلٍ حينما نظر بعينيه إلى سيدنا محمد القرشى ﷺ ، فلم يرى سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم . وما ذنب البستان إذا قصرت فى جنى ثماره ؟ وما ذنب النهار إذا أغمضت العين عن شهود أنواره ؟ أيها المؤمن : إسق ورد الطاعات من دموع توبتك حتى تستروح الفردوس أمثال صلواتك ، وتستقبل الحورهدايا الطيب والعطر من حسناتك ، وتنظم عقود الجواهر من تسبيحاتك . سبحان من قدر فهدى ، ووفق كل

كائن إلى الغاية من فطرته ، أن إلهام النحل هو الشهد وإلهام حشرة القز نسج الحرير ، وإلهام البلبل أغانى السحر وإلهام رجال الله نور يشهدون به ملكوت السموات والأرض صَدِّقُوهُمْ هُمْ مصابيح الدُّجَى ، أكرموهم هم مفاتيح الرجا إتبعوا من لا يسألكم أجراً وهم مهتدون . ثم بعدما ذكرنا مرَّمةُ لمعاش نذكر خطوة المعاد .

المرتبة الثانية فى دعائم التربية الصوفية :

٢ ـ **خطوة فى معاد** : يهدف الصوفية فى سعيهم للآخرة إلى هدفين هما :

أولاً : معرفة الله .

ثانياً : إيثاره تعالى على ما سواه .

ولا يكتفى الصوفى بهدف من الهدفين ، بل يجاهد حتى يصيبهما معاً ، وبالهدف الأول يصل إلى مقصوده ، وبالثانى يصل إلى مطلوبه ؛ لأن الشعار الذى يهتف به من وجدانه : إلهى أنت مقصودى ورضاك مطلوبى . وأهل التوحيد كثيرون ، ولكن أهل الإيثار قليلون ؛ ولذلك يقول الصوفية بحق : أهل لا إله إلا الله كثير والمخلصون قليل .

الهدف الأول معرفة الله : الهدف الأول كما ذكرنا معرفة الله

أما عن المعرفة فهى عندهم معرفتان معرفة حق ، ومعرفة حقيقة .

فمعرفة الحق : هى معرفة وحدانيته .

أما معرفة الحقيقة : فلا سبيل إليها لامتناع الصمدية وتحقيق الربوبية ؛ لقوله عز وجل : ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا ﴾ سورة طه . وقد قال الإمام أبو نصر السراج الطوسى ــ صاحب اللمع ــ فى معنى قوله (لا سبيل إليها) معناها : لا سبيل إلى المعرفة على الحقيقة ؛ لأن الله تعالى أبرز لخلقه من أسمائه وصفاته ما علم أنهم يطيقونه ذلك لأن حقيقة معرفته لا يطيقها الخلق ولا ذرة منها ؛ لأن الكون بما فيه يتلاشى عند ذرة من أول بادٍ يبدو من بوادى سطوات عظمته ــ أى سطوة العظمة ــ فمن يطيق معرفة من يكون هذا صفة من صفاته ؛ ولذلك قال القائل : ما عرفه غيره ، ولا أحبه سواه ؛ لأن الصمدية ممتنعة عن الإحاطة والإدراك . وقد حُكى فى هذا المعنى عن الإمام أبى بكر الصديق ﷺ أنه قال : سبحان من لم يجعل للخلق طريقاً

إلى معرفته إلا بالعجز عن معرفته وقد قيل لأبى حسين النووى رحمه الله : كيف لا تُدركه العقول ولا يُعرف إلا بالعقول ؟ فقال : كيف يُدْرِكُ ذو أمدٍ من لا أمد له ، أم كيف يُدرك ذو عاهة من لا عاهة له ، أم كيف يكون مُكيفاً من كيَّف الكيف . ومن كلام بعضهم : إن قلت متى ؟ فقد سبق الوقت كونه ؛ وإن قلت أين ؟ فقد تقدم المكان وجوده ليس لذاته تكييف ولا لفعله تكليف . ويجمع الصوفية على أنه تعالى لا تدركه العيون ، ولا تهجم عليه الظنون ، ولا تتغير صفاته ولا تتبدل أسماؤه لم يزل كذلك ، ولا يزال كذلك هو الأول والآخر ، والظاهر والباطن وهو بكل شئ عليم ليس كمثله شئ وهو السميع العليم . ويقول إمام الصوفية الجُنيد ﷺ : أشرف المجالس وأعلاها الجلوس مع الفكرة فى ميدان الوحيد . وقد سُئل ذو النون المصرى ﷺ عن قوله تعالى ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ سورة طه .

فقال : أثبت ذاته ونفى مكانه فهو موجود بذاته والأشياء موجودة بحكمة كما شاء سبحانه . ولا عجب فالإمام جعفر الصادق سليل العالم الموهوب الإمام على كرم الله وجهه

الذى قال : الإستواء معلوم والكيف مجهول . ثم إن الصوفية يقولون : إن أول فرض فرضه الله على خلقه هو المعرفة ؛ لقوله عز وجل : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ سورة الذاريات . قال ابن عباس : معناها إلا ليعرفون . وقال بعض كبار الصوفية : إنه تعالى عرفنا نفسه فقال: ﴿ أَلَسْتَ بِرَبِّكُمْ ﴾ سورة الأعراف ، ولم يقل من أنا فتهجم العقول عليه حين بدأ مُعرِفاً ؛ فلذلك إنفرد عن العقول ، والعقل آلة للعبد يعرف به ما عرف ، وهو بنفسه لا يعرف الله تعالى ؛ لأن العقل آلة للعبودية لا للإشراف على الربوبية . فقد قال رجل للنورى : ما الدليل على الله ؟ قال : الله . قال : فما العقل ؟ قال : العقل عاجز ، والعاجز لا يدل إلا على عاجز مثله . وقال غيره : العقل يجول حول الكون فإذا نظر إلى المُكوِنِ ذاب . وقال بعضهم : لا يعرفه إلا من تعرَّف إليه ــ أى من تعرَّف الله إليه ــ ولا يوحده إلا من توحد له ــ أى أراه أنه واحد ــ ولا يؤمن به إلا من لطف الله به ، ولا يصفه إلا من تجلى لسره ، ولا يخلُص له

إلا من جذبه إليه ، ولا يصلُحُ له إلا من اصطنعه لنفسه . واِجتمعت كلمة الصوفية على أنه تعالى واحدٌ ، أحد ، فرد صمد ، قديم ، عالم ، قدير ، حى ، سميع ، بصير ، عزيز عظيم ، جليل ، كبير ، جواد ، رءوف ، متكبر ، جبار ، باق أول ، إله ، سيد ، مالك ، رب ، رحمن ، رحيم ، مريد حكيم ، متكلم ، خالق ، رزاق ، موصوف بكل ما وصف به نفسه من صفاته ، مُسمى بكل ما سمى به نفسه ، لم يزل قديماً بأسمائه وصفاته ، غير مشبهٍ للخلق بوجه من الوجوه ، لا تشبه ذاته الذوات ، ولا صفته الصفات لايجرىعليه صفة من صفات المخلوقين الدالة على حدثهم لم يزل سابق متقدماً للمحدثات ، موجوداً قبل كل شئ لاقديم غيره ، ولا إله سواه ، ليس بجسم ، ولا شبح ولا صورة ، ولاشخص ولا جوهر ولا عرَض ، لا اِجتماع له ولا اِفتراق ، ولا يتحرك ولا يسكن ، ولا ينقص ولا يزداد ليس بذى أبعاض ولا أجزاء ، ولا جوارح ولا أعضاء ولا بذى جهات ولا أماكن ، لا تجرى عليه الآفات ولا تأخذه السنات ، ولا تداوله الأوقات ، ولا تعَينُه الإشارات

لا يحويه مكان ولا يجرى عليه زمان ، لا تجوز عليه المُماسة ، ولا العزلة ، ولا الحلول فى الأماكن ، لا تحيط به الأفكار ، ولا تحجبه الأستار ، ولا تدركه الأبصار سبحانه جل جلاله .

الصوفية يميلون للعمل لا للجدل : وهم لا يميلون للجدل الذى خاضه أهل الكلام ، والذى لم يأتى إلا بتشويش العقول وإردائها فى مذهب الحيرة المقلقلة أو الفتنة المضللة . من حكمهم فى هذا المقام قولهم : إذا أراد الله بعبد خيراً فتح له باب العمل وأغلق باب الجدل ، وإذا أراد الله بعبد شراً فتح له باب الجدل وأغلق عليه باب العمل . وقد قال الإمام أحمد بن حنبل ﷺ لسيدى معروف الكرخى حين سمع منه الكلام المتقدم : حسبى وحسبك هذه الكلمات اليوم فهى جماع الهدى ، وكان ﷺ يختلف إلى معروف ويسأله فى بعض المسائل ، عندما اِعترض عليه بعض الناس وقالوا له : مثلك يسعى لمعروف الكرخى ؟ فقال : وماذا نفعل إذا لم نجد حكماً فى كتاب الله ولا سنة رسول الله ﷺ ؟ إن رسول الله ﷺ قال سلوا الصالحين . وكان الإمام مالك ﷺ يقول :

لا أحب من الكلام إلا ما كان تحته عمل وصدق الإمام فإن العلم ليس غاية بل هو وسيلة للعمل ؛ ولذلك كان ﷺ لا يجيب إلا عن السؤال الذى يرى فائدة من الإجابة عليه ويسكت عن غيره ، وما أروع جوابه على من سأله فى قوله تعالى : ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥ ﴾ سورة طه . فقال: الاستواء معلوم والكيف مجهول والسؤال عنه بدعة والإيمان به واجب أخرجوا عنى هذا الزنديق .

فتنة الجدل والقول بخلق القرآن :

وليت شعرى ما الذى أفاده المسلمون من فتنة القول بخلق القرآن ، التى قامت زمن المأمون ، وجُلِدَ فيها أجلاء العلماء ، وحُبسوا ليُحْمَلُوا على تأييد ذلك بقوة السلطان لا بقوة البرهان ، وهى أوهن من بيت العنكبوت لو كانوا يعلمون ، وقد استمرت تلك الفتنة العمياء إلى زمن الواثق حتى أبطلتها نادرة أطلقها مُتَنَدِّر دخل على الواثق ، وقال له عظم الله أجرك يا أمير المؤمنين ، قال : فيمن ؟ قال : فى القرآن ، قال ويحك ! أويموت القرآن ؟ قال : كل مخلوق يموت واستمر المتندر يقول : ومن يصلى بنا التراويح بعد

أن مات القرآن ؟ فقال الخليفة : بحسبك أخرجوا من فى السجون . وأنت تعلم أن الصحابة رضوان الله عليهم لم يجادلوا فى الدين ذلك الجدل المعوق المضلل ، بل علموا ما علمهم رسول الله ﷺ فى القرآن والسنة ، وعملوا بهمة أتعبت من بعدهم ، فلم يلحقهم لاحق ، وكانوا السابقين الأولين ﷺ ويشير مولانا سيدنا رسول الله ﷺ إلى فضلهم بقوله : " الله . الله . فى أصحابى فلوا أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ــ أى مثل جبل أحد ذهباً ــ ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نصيفه " وها هو ذا أمير المؤمنين الإمام على كرم الله وجهه يقول فى وصيته لابنه مولانا الإمام الحسين ﷺ : واعلم يا بنى أن أحداً لم يُنَبِئ عن الله كما أنبأ عنه رسول الله صلى عليه وعلى آله فارضى به رائداً وإلى النجاة قائداً . ويقول الإمام الجُنيد ﷺ : الطرق كلها مسدودة على الخلق إلا من اِقتفى أثر الرسول ﷺ واتبع سنته ولزم طريقته ؛ فإن طرق الخيرات كلها مفتوحة عليه ، وهذا مؤيد فى القرآن الكريم بقوله : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ سورة

الأحزاب واِستدل الإمام محى الدين بن عربى على عصمة الرسول ﷺ بهذه الآية فقال : إن رسول الله ﷺ أسوة فعصمه الله من الوقوع فى الصغيرة والكبيرة حتى لا يتأسى به أحداً فيهما ، وزاد رضى الله عنه إيضاحاً فقال : لا ، بل إنه فيما أبيح له خاصة نبه الله إليه ، حتى لا يقلده فيه مقلد ومثَّل رضى الله عنه لذلك بنكاح الهبة ؛ فإنه تعالى قال :

﴿ وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِيٓ أَزْوَٰجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٠﴾ ﴾ سورة الأحزاب .

الصوفية يعظمون الأوامر والنواهى الإلهية :

ثم نقول : إن المعرفة تؤدى إلى التوحيد والتوحيد يؤدى إلى الطاعة . والصوفية يقولون : إن أول الدين معرفته وكمال معرفته التصديق به ، وكمال التصديق به توحيده وكمال توحيده الإخلاص له والإخلاص له يقتضى الإئتمار بأمره والإنتهاء بنهيه وهم يعظمون الأوامر والنواهى

الإلهية ؛ لأنها أوامر الرب ونواهيه إلى مربوبيه ، ويرون أن استشعار السيادة الإلهية يوجب عليهم تنفيذها دون خروج عليها أو ملل منها ، وهم يعتقدون أن هذه الأوامر والنواهى لم تصدرعن الله إلا لإسعاد العباد فى دنياهم وأخراهم ؛ لأنهم آمنوا بما قال الله فى كتابه العزيز :

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ ﴾ سورة فاطر ، وبما جاء فى الحديث القدسى المعروف " يا عبادى إنكم لن تبلغوا ضرى فتضرونى ، ولن تبلغوا نفعى فتنفعونى ، يا عبادى لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد ما زاد ذلك فى ملكى شيئاً ، يا عبادى لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من ملكى شيئاً .

ثمرات الأوامر النواهى :

وهم ــ أى الصوفية ــ يعلمون ثمرات الأوامر والنواهى كما علمها أسلافهم الصحابة الأخيار رضوان الله عليهم من

مثل ما بينه الإمام على كرم الله وجهه و ﷺ من قوله : فرض الله الإيمان تطهيراً من الشرك ، والصلاة تنزيهاً عن الكبر ، والزكاة تسبباً للرزق ، والصيام ابتلاءً لإخلاص الخلق ، والحج تقوية للدين ، والجهاد عزاً للإسلام ، والأمر بالمعروف مصلحة للعوام والنهى عن المنكر ردعاً للسفهاء وصلة الرحم مُنَمَّاة للعدد ، والقصاص حقناً للدماء ، وإقامة الحدود إعظاماً للمحارم ، وترك شرب الخمر تحصيناً للعقل ومجانبة السرقة إيجاباً للعفة ، وترك الزنا تحصيناً للنسب وترك اللواط تكثيراً للنسل ، والشهادة اِستظهاراً على المجاهدات ، وترك الكذب تشريفاً للصدق ، والسلام أماناً من المخاوف ، والأمانات نظاماً للأمة ، والطاعة تعظيماً لولاة الأمور . هذا ما قاله سيدنا الإمام على كرم الله وجهه

التوبة والإستغفار عند الصوفية.

على أن الصوفية لا يُبَرِءُون البشرية من الوقوع فى الزلات ؛ وإنما يُوصُونَ أهل الذنوب بالمسارعة إلى التوبة وهى باب واسع من أبواب رحمته تعالى ، غير أن التوبة عندهم ليست بدرجة واحدة فهم يقولون : شتان بين تائب

يتوب من الزلات ، وتائب يتوب من الغفلات ، وتائب يتوب من رؤية الحسنات ، وأنت ترى من هذا أن النظرة الفلسفية العالية لا تفارقهم حتى فى فهمهم للتوبة .

فا لتوبة من الزلات : عندهم إنما تكون للعوام

والتوبة من الغفلات : إنما تكون للخواص

والتوبة من رؤية الحسنات : إنما تكون لخواص الخواص

ولذلك فإنه ليس كل مستغفر عندهم تائب ، حتى لقد قال بعضهم : اِستغفارنا يحتاج لاِستغفار، وليس بدعاً أن يتفاضل المؤمنون فى درجاتهم مع اشتراكهم جميعاً فى المعتقدات إذ أنه لا يُتصور أن يكون كلهم من السابقين بالخيرات ، إلا أن تصورنا أن يكون الناس كلهم فلاسفة أو أطباء وهو ما لم يقع لتفاوت الفهم والمشارب والثقافة ، وما لنا نذهب بعيداً والله تعالى يقول معدداً درجات المؤمنين : ﴿ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ﴾ سورة فاطر ودليل ما جاء فى الصحاح من أن أم المؤمنين السيدة

عائشة رضى الله عنها سألت حبيبنا المصطفى ﷺ فى قوله تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ أَنَّهُمۡ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾ سورة المؤمنون . فقالت يا رسول الله : أهم الذين يشربون الخمر ويسرقون ؟ قال : لا يا ابنة الصديق بل هم الذين يصومون ويتصدقون ويخافون ألا يقبل منهم أولئك يسارعون فى الخيرات وهم لها سابقون ولم نجد ذلك الخوف فى أهل الإيمان إلا عند الصوفية رضى الله عنهم

شروط الإستغفار :

وقولهم فى التوبة ــ أى قول الصوفية فى التوبة ــ يقرب لنا فهم ما قاله إمامنا سيدنا على بن أبى طالب كرم الله وجهه و رضى الله عنه حين قال لقائل قال بحضرته أستغفر الله : ثكلتك أمك أتدرى ما الإستغفار ؟

الإستغفار: درجة العلِّيين وهو اسم واقع على ستة معانٍ

أولها : الندم على ما مضى

والثانى : العزم على عدم العود أبداً

والثالث : أن تؤدى إلى المخلوقين حقوقهم

حتىتلقى الله أملس ليس عليك تبعة

والرابع : أن تعمد إلى كل فريضة عليك ضيعتها فتؤدى حقها .

والخامس: أن تعمد إلى اللحم الذى نبت على السحت فتذيبه بالأحزان حتىتلصق الجلد بالعظم وينشأ بينهما لحم جديد

والسادس: أن تذيق الجسم ألم الطاعة كما أذقته حلاوة المعصية .

فعند ذلك تقول : أستغفر الله . ولا عجب أن يقول إمامنا سيدنا على كرم الله وجهه ورضى الله عنه ما قاله : بعد أن وصف الله توبة بعض الصحابة الذين تخلفوا عن غزوة تبوك بقوله تعالى : ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ وَضَاقَتۡ عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُوٓاْ إِنَّ

ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ ﴾ **سورة التوبة . ثم بعد ذلك نبين العبادة الخالصة .**

العبادة الخالصة عند الصوفية :

الصوفية فى عبادتهم لله يصدقون نيَّة ويخلصون عملاً لتكون عبادتهم صافية من الشوائب والعلل ، ويتأثرون فى ذلك بقوله تعالى: ﴿ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ﴾ **سورة الزمر . وبقوله صلى الله عليه وسلم : " إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً " ؛ لذلك نراهم يطهرون بواطنهم من خواطر السوء ، كما يطهرون ظواهرهم من النجاسة . لا ، بل إنهم يُخَلُّون قلوبهم من كل الحظوظ حتى لا يشغلها إلا الله ويستدلون فى فناء الحظوظ بقوله تعالى** ﴿ وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ﴿٢٨﴾ ﴾ **سورة الكهف**

وبحديث ابن مسعود ﷺ حين قال : ما علمت أن فى أصحاب رسول الله ﷺ من يريدالدنيا، حتى قال الله تعالى :

﴿ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنۡيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَ ﴾

ويقولون : إن ابن مسعود فى هذا المقام كان فانياً عن الدنيا . ويقول سيدى على عقل ــ وهو إمام من أئمة التصوف عارف بالله ــ :

أُخَلِّى فؤادى له من كل شائبة ... عِشْتُ أومِتُ أعضائىتُوحِدُهُ
وكيف أرضى بغيرالله مُتَجهاً ... والكلُ والجُزْءُ والأحْشَاءُ تَعْبُدُهُ
ومُذ تْغَزَّلْتُ فى ربى ومأَلِفَتْ ... روحى سِواهُ تَجَافَى الجَفْنُ مَرْقَدَهُ
إذاسَهِرتُ فمأسهرتُ عن ملل ... لكنه الحُبُ يدعونىوأشْهَدَهُ
إذا مَدَدْتُ يدى للهِ أَسْأَلُهُ ... مُدَّتْ إلىَّ بمعنى فضلهِ يَدَهُ

لذلك يقول إمامنا سيدنا على كرم الله وجهه فى وصف المتقين : أنفسهم منهم فى عناء والناس منهم فىراحة

وصف سيدنا على كرم الله وجهه للعبادة الخالصة :

ويصف كرم الله وجهه ورضى الله عنه العبادة الخالصة التى يتحلى بها الصوفية رضى الله عنهم بأنها **عبادة الأحرار** . إذ يقول :

إن قوماً عبدوا الله رغبةً فتلك عبادة التجَّار
وإن قوماً عبدوا الله رهبةً فتلك عبادة العبيد
وإن قوماً عبدوا الله شكراً فتلك عبادة الأحرار

ومن هنا قامت التربية الصوفية على جدٍ لاهزل فيه وأخذوا فىعبادتهم بالعزائم لابالرخص ، واِحتاطوا لدينهم ما وسعهم الجهد حتى اِستبدلوا الأخلاق البشرية بالأخلاق الربانية فنور الله قلوبهم حتى فاضت بالحكمة .

﴿ يُؤۡتِى ٱلۡحِكۡمَةَ مَن يَشَآءُ وَمَن يُؤۡتَ ٱلۡحِكۡمَةَ فَقَدۡ أُوتِىَ خَيۡرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾ ﴾ سورة البقرة ، وقد قال حبيبنا المصطفى صلى الله عليه وسلم " من حَبَّ أن يَنْظُرَ إلى عَبْدٍ نَوَّرَ اللهُ قَلْبَهُ فَلْيَنْظُرْ إلى حَارِثَة " فأخبر رسول الله ﷺ أنه مُنَوَّرَ القلب . وقد قال حارثة حين سأله حبيبنا المصطفى صلى الله عليه وسلم " ما حقيقة إيمانك ؟ قال : عزفتُ بنفسى عن الدنيا فأظمأت نهارى وأسهرت ليلى وكأنى أنظر إلى عرش ربى بارزاً ، وكأنى أنظر إلى أهل الجنة يتزاورون ، وإلى أهل النار يتعاوذون ".

وبذلك قد انتهينا من الخطوة إلى المعاد فى دعائم التربية الصوفية ثم ننتقل إلى المرتبة الثالثة فى دعائم التربية الصوفية وهى اللذة فى غير مُحرَّم .

المرتبة الثالثة فى دعائم التربية الصوفية :

٣- اللذة فى غير مُحرَّم . أحل الله الطيبات وحرم الخبائث . والصوفية يحلون ما أحل الله ويحرمون ما حرم وهم إن لجأوا إلى اجتناب حلال فإنما يقصدون به المجاهدة وصرف النفس عن هواها ، ورياضتها بالمخالفة ، وهم يتركون المباح خوف الوقوع فى المشبوه ، شأن الورعين من المتقين وفى الحلال الذى يتمتعون به ، يوجهون النية فيه لله فإذا طعموا الطعام مثلاً ينوون أن تكون لهم بأكلهم فى عبادة الله قوة ، وهذه النية عندهم ألذ من طعم الطعام ذاته ، وعندما يمضغون اللقمة يستشعرون النعمة ويشكرون واهبها سبحانه وتعالى ، وإذا لبسوا اللباس أى الثياب ـ ينوون به ستر العورة ، وأخذ الزينة للصلاة ليبعدوا به أنفسهم عن التباهى أو التكاثر كما يقصد عامة الناس ، وإذا أتوا نسائهم قصدوا أن يعفوا أنفسهم ونسائهم عن الحرام

وأن تكون لهم بذلك صدقة ، حيث قال حبيبنا المصطفى ﷺ " وفى بِضْعِ أحدكم صدقة " ولما سُئل رسول الله ﷺ " نأتى النساء بشهوة وتكون لنا صدقة ؟ قال لسائله : أرأيت لو وضِعَتْ فى حرام أكنت تُؤْذَىَ ؟ قال : نعم ، قال : فإذا وضعتها فى الحلال فإنك تُؤْجَرْ " . وكان سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول بنية أخرى لا تصدر إلا من مثله حيث قال : ما أتيت أهلى بنية الشهوة ولكن بنية أن يرزقنى الله منها من يوحد الله ولا يشرك به شيئاً ، وكان رضى الله عنه يخاف أن تذهب طيباته فى الحياة الدنيا ، فقد طلب مرة ماءً فأتى له شاب بعسلٍ مشوب بالماء فنظر رضى الله عنه إلى القدح الذى به الشراب وقال ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا﴾ سورة الأحقاف . قال الشاب : ليست هذه لمثلك يا أمير المؤمنين إقرأ إن شئت ما قبلها : ﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ

وَبِمَا كُنتُمۡ تَفۡسُقُونَ ﴾ سورة الأحقاف . **كذلك كان رضى الله عنه يرضى باللباس الضرورى وقد حاول بعض الصحابة أن يحمله على تغيير لباسه المتواضع ، فعهدوا إلى مولانا على ابن أبى طالب كرم الله وجهه ورضى الله عنه أن يكلمه فى الأمر فأشار عليهم بأن يرجعوا فى ذلك إلى أم المؤمنين مولاتنا عائشة رضى الله عنها ، فكلمته أن يبدل ثيابه بأخرى أفخر منها فقال لها : يرضى الله عنك يا أم المؤمنين ، تريدون أن أغير ما كنت عليه فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقصته رضى الله عنه حين أركبوه البرزون ــ أى السيسى ــ معروفة إذا قال لهم أنزلونى أنزلونى قالوا : لما يا أمير المؤمنين ؟ قال :أخشى أن يدخلنى الغرور . ولا غرابة أن يرضى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غذائهم وكسائهم وسكنهم بالضرورى اليسير ، بعد أن رأوا من مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم تقشف الكمال ، وإدخار السعة للمال قبلها . قال تعالى :**

﴿ ٱلۡمَالُ وَٱلۡبَنُونَ زِينَةُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ أَمَلٗا ﴿٤٦﴾ ﴾ سورة الكهف .

الهدف الثانى : إيثار الله تعالى عما سواه .

عرف الصوفية ربهم بوحدانيته تعالى ، وعلامة هذه المعرفة عندهم أن يرى العبد نفسه فى قبضة العزة وتجرى عليه تصاريف القدرة ، ولذلك يقولون يجب أن يكون وقت العبد وقتاً واحداً بلا تغيير ، ويكون العبد فى جميع أحواله بالله ولله مأخوذاً عما سوى الله ؛ لذلك تراهم يفرقون بين المؤمن والعارف ، فيقولون : أن المؤمن ينظر بنور الله وأما العارف فينظر بالله ؛ ولهذا يطمئن المؤمن بذكر الله ولا يطمئن العارف بسواه ، وتراهم ينهون عن تضييع الوقت فيما لا يعنى ، ويقولون ناصحين : رأس مالك قلبك ووقتك ، وقد شغلت قلبك بهواجس الظنون ، وضيعت أوقاتك باشتغالك بما لا يعنيك ، فمتى يربح من خسر رأس ماله ، وفى هذا المقام يقول إمامنا الإمام الشافعى رضى الله عنه : صحبت الصوفية فأخذت عنهم كلمتين قولهم نفسك

إن لم تشغلك بالحق شغلتك بالباطل ، وقولهم الوقت كالسيف إن لم تقطعه قطعك . وفى سبيل الوصول إلى إيثار الله تعالى عما سواه يجاهد الصوفية أنفسهم جهاداً مريراً متواصلاً لا هوادة فيه ، ويأخذون فى هذا الجهاد بالأسباب الآتية :

أولاً : **التفكر فى الدين** : ويقول الإمام الجنيد ﷺ: علمنا هذا مقيدُ بالكتاب والسنة (أى علم التصوف) .

ثانياً : **العمل بالعلم** : لأن العلم وسيلة للعمل ، وقد قال الإمام أبى حنيفة ﷺ لسيدنا داود الطائى ﷺ : يا أبا سليمان : أما الأداة فقد أحكمناها ، فقال له داود : فأى شئ بقى ؟ فقال : العمل بها ، وأخذ داوود فى العمل وكانت هذه اللفتة سبباً فى تصوف داوود حتى صار من أعلام الصوفية .

ثالثاً : **الاقتداء برسول الله** ﷺ : والصوفية فى سيرهم إلى الله يقتدون بسيدنا رسول الله ﷺ قولاً وفعلاً وعزماً ونية لأنه الأسوة الحسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر ولأن الله تعالى خاطبنا فقال: ﴿ قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن

تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُواْ ۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٥٤﴾ ﴾ سورة النور .

وقال ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ ﴾ سورة آل عمران .

ومن كلامهم الطيب ما يقوله الإمام الصوفى سهل بن عبد الله : الدنيا كلها جَهلٌ إلا ما كان منه العلم والعلم كله حُجةً إلا ما كان العمل به ، والعمل كله هباءً إلا موضع الإخلاص فيه ، وأهل الإخلاص على خطر عظيم . ويبرأ الإمام السراج الطوسى ــ صاحب اللمع ــ من أدعياء التصوف الذين يخوضون فى علم التصوف بلا دراية ويقول : إنهم كثروا فى زمانه ، وتكلموا بكلام غير مستحسن ويضيف إلى ذلك قوله : إن مشايخ التصوف الحق تكلموا فى مسائلهم ونطقوا بحكمهم بعد قطع العلائق وإماتة النفوس بالمجاهدات والرياضات والمنازلات والوجد والاحتراق والمبادرة والاشتياق إلى قطع كل علاقة قطعتهم عن الله عز وجل طرفة عين ولذلك قاموا بشرط العلم والحقيقة والعمل .

إلتزام الصوفية بالكتاب والسنة . والناظر فى كلام الصوفية يرى أنهم عضوا على الكتاب والسنة بالنواجذ وتعمقوا فى فهمهما ، باعتبارهما أداة العمل الموصل إلى الله تعالى ، وخوفهم من الخروج عن أحكام الله خوف بلغ من الشدة نهايتها ، فمثلاً أنهم يفهمون من قوله تعالى : ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُواْ وَأَطِيعُواْ وَأَنفِقُواْ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ ۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ سورة التغابن . إنك لو صليت ألف ركعةٍ واستطعت أن تصلى ركعة أخرى ، فأخرت ذلك إلى وقت آخر ، فقد تركت اِستطاعتك ، ولو ذكرت الله تعالى ألف مرةٍ ، واِستطعت أن تذكره مرة أخرى فتؤخر ذلك إلى وقت ثانٍ ، فقد تركت اِستطاعتك ، وكذلك لو تصدقت على سائل بدرهم واِستطعت أن تعطيه درهماً آخر، فلم تفعل ذلك فقد تركت اِستطاعتك كذلك يقولون فى قوله تعالى : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ

حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ سورة النساء . أنهم لو وجدوا فى أنفسهم حرجاً (أى فى قلوبهم وأسرارهم وباطنهم) ضيقاً أو كراهةً فى حكمه ، لو أنه حكم عليهم بالقتل فقد خرجوا من الإيمان ، وأقسم الله على خروجهم من الإيمان ، ثم يقولون : فلو قسنا ذلك على ما أمرنا الله به من الصبر على أحكام الله عز وجل والرضا بما قسم الله لنا من الأخلاق ، والأرزاق ، والآجال ، والأعمال لم نجد معنا ومع كثير من الناس ذرة من الإيمان ، ولولا رجاء الخلق فى سعة رحمة الله تعالى لهلكوا بذلك .

طريقة الصوفية فى إستماع القرآن

يقول سيدنا أبو سليمان الدارانى رضى الله عنه : ربما جاءتنى الآية خمس ليالٍ ، فلولا أنى أترك الفكر فيها ما جزتها أبداً وربما جاءت الآية من القرآن فيطير معها العقل فسبحان الذى يرده بعد ذلك . ولعل ذلك التدبر العميق راجعُ إلى طريقتهم فى الاستماع إلى القرآن الكريم فهم يقولون فى نصائحهم : أول إلقاء السمع أن تسمع القرآن كأن النبى صلى الله عليه وسلم يقرأه عليك ، ثم ترقى عن ذلك فكأنك

تسمعه من جبريل عليه السلام فى قراءته على النبى صلى الله عليه وسلم لقوله عز وجل .

﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾﴾ سورة الشعراء . ثم ترقى عن ذلك فكأنك تسمعه من الحق جل جلاله ؛ وذلك لقوله تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾﴾ سورة الإسراء

ويقولون : إن مخرج الفهم فى استماعك من الله تعالى عند حضور قلبك وغيبتك عن أشغال الدنيا وعن نفسك بقوة المشاهدة وصفاء الذكر وجمع الهمم وحسن الأدب وطهارة السر وصدق التحقيق ، وهم كذلك يقولون : من وافق القرآن ولم يتبع سنة رسول الله ﷺ فهو مخالف للقرآن غير متبع له ؛ ولذلك يطالبون أنفسهم باقتفاء أثره صلى الله عليه وسلم فيما بلغهم من آدابه وأخلاقه وأفعاله وأحواله فيعظمون ما عظم ويصغرون ما صغر ويقللون ما قل ويكثرون ما كثر ، ويكرهون ما يكره ويختارون ما اختار

ويتركون ما ترك ، ويصبرون على ما صبر ، ويعادون من عادى، ويوالون من والى ، ويفضلون من فضل ، ويرغبون فيما رغب ، ويحذرون ما حذَّر ؛ ذلك لأنه صلى الله عليه وسلم قال : " أدبنى ربى فأحسن تأديبى " ، وقال : " بُعثت بمكارم الأخلاق " وهم يقولون : إن التصوف أخلاق فمن زاد عليك فى الخُلق فقد زاد عليك فى التصوف ، وليس بعد الأخلاق النبوية زيادة لمستزيد . فقد نال مولانا رسول الله ﷺ من ربه تعالى أعظم شهادة بقوله الكريم ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾ سورة القلم .

رابعاً : **اتخاذ إمام فى السلوك إلى اللّه** : ومما يقوله الصوفية فى ذلك : مَنْ طلب الطريق بنفسه تاه فى أول قدم والقرآن الكريم فيما يؤيدهم فيما أخذوا به ؛ فإن الله تعالى حين وصف عباد الرحمن حكى ما سألوه حين قالوا :

﴿ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾﴾ سورة الفرقان.

وكان أصحاب رسول الله ﷺ يرجعون لبعضهم البعض فى

أمر الدين ، فقد قال مسروق ــ وهو من التابعين ــ : لقد جالست أصحاب رسول الله ﷺ فوجدتهم كالأخَّاذ (أى الغدير) فالأخَّاذ : يروى الرجل ، والأخَّاذ : يروى الرجلين والأخَّاذ : يروى العشرة ، والأخَّاذ يروى المائة ، والأخَّاذ لو نزل به أهل الأرض لأصدرهم . وقد ثبت أن وابصة الصحابى رضى الله عنه أخذ عن حذيفة بن اليمان الصحابى ﷺ آداب القلوب ، وتتلمذ التابعون على الصحابة ، كما أخذ الحسن البصرى عن حذيفة بن اليمان . والقرآن الكريم ضرب أروع مثل فى هذا الشأن حين حكى ما كان من أمر سيدنا موسى عليه السلام وهو من المرسلين أولو العزم ، حين قال للخضر عليه السلام ﴿ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلۡ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمۡتَ رُشۡدٗا ٦٦ ﴾ سورة الكهف ، وماشوقه إلى الأخذ منه إلا الله وحده الذى أخبره بخبر الخضر ودله على مكان الالتقاء به ، وقال فى وصفه : ﴿ فَوَجَدَا عَبۡدٗا مِّنۡ عِبَادِنَآ ءَاتَيۡنَٰهُ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا وَعَلَّمۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلۡمٗا ﴾ سورة

الكهف ، وما زهد سيدنا موسى عليه السلام من طلب المزيد من علم الباطن الذى وهبه الله للخضر عليه السلام .

وصف الإمام الصالح للتربية الصوفية

وقد قالوا فى وصف الإمام الصالح للتربية الصوفية : هو ذلك الذى يربيه الحق من صغيره ، فتراه فى الطفولة معتزلاً عن الصبيان ، كأنه فى الصبا شيخٌ ينبو عن الرذائل ويفزع من النقائص ، ثم لا تزال شجرة همته تعلو ، حتى يرى ثمرها متهدلاً على أغصان الشباب ، فهو حريص على العلم منكمشُ على العمل ساعٍ فى طلب الفضائل ، خائفاً من النقائص ، فلو تصورت التوفيق والإلهام الربانى كيف يأخذ بيده إن عَثُر ! ويمنعه من الخطأ إن هَمْ ، ويستخدمه فى الفضائل ، ويستر عمله حتى لا يراه منه ، فلو تصورت النبوة تكتسب لدخلت فى كسبه .

وصف سيدنا على للإمام الصالح :

ويعلل إمامنا سيدنا على بن أبى طالب كرم الله وجهه الضرورة من وجود هذا الصنف من الأئمة بقوله : لا تخلوا الأرض من قائم لله بحُجَّة ، إما ظاهراً مشهوراً أو خائفاً

مغموراً ؛ لئلا تبطل حُجج الله وبيناته ، وكم هم وأين أولئك والله إنهم الأقلون عدداً ، الأعظمون عند الله قدراً ، ثم يزيد شارحاً لأحوالهم فيقول : هجم بهم العلم على حقيقة البصيرة ، فباشروا روح اليقين واِستلانوا ما استوعره المترفون ، وأَنِسُوا بما اِستوحش منه الغافلون ، عاشوا بأبدان أرواحها معلقة بالملأ الأعلى ، أولئك خلفاء الله فى أرضه ، والدعاة لدينه .

العلامات الدالة على الشيخ المربى :

ومن ذلك ترون أن الشيخ المربى ينبغى أن يتوافر فيه علمٌ صحيح ، وذوقٌ صريح ، وهمةٍ عالية ، وحالة مرضية وبصيرة نافذة . وقد قالوا : إن العلامات الدالة عليه الشفقة على خلق الله ، والتواضع ، وحسن الخلق ومجانبة الدعوى ، وعدم الإنكباب على جمع الدنيا ، وعدم المبالاة بإقبال الناس أو إدبارهم عنه ، كما قالوا : ليس من لازمه الكرامات أو الأخبار بالغيب ، ولا شبهة فى أن معاشرة من توافرت فيه هذه الخصال تنفع الآخذ عنه . وحقاً ما يقوله الصوفية : من عاشر النفس الزكية لم يزل يزيد بها حُسناً

على القرب والبعد . هذا وإذا أخذ المريد على يد شيخ من هؤلاء الشيوخ المربين لزمته طاعته ، باعتباره إمامه وطبيبه الذى يريه عيوب نفسه ورعوناتها ، ويعاونه فى علاجها واقتلاع آفاتها ، حتى يصفوا قلبه من كدوراته الباطنة من مثل العُجب ، والرياء ، والحسد ، والغل والمداهنة ، والبخل ، وسوء الخلق ، وقد يلجأ بعض الشيوخ فى التربية إلى نوع من الشدة العملية التى تَسْبُر غَورَ المُريد فى المجاهدات ، كأن يأمره الشيخ بخلع ملابسه ولبس أخرى أقل شأناً ، أو بإنفاق مبالغ كبيرة فى الصدقات لا تسمح بها نفسه عادةً فإن أطاع المريد ، واِبتغى بطاعته وجه الله كان له من ذلك خيرُ وأى خير ، ما دام شيخه من الصادقين الذى تُرجى البركة من طاعته ، وهم يقولون فى طاعة الشيخ : إنها سبيل التدرج لترك الاختيار مع الله فإذا ترك المريد الاختيار مع عبدٍ من عباد الله ــ وهو شيخه ــ فأولى به أن يترك الاختيار مع الله ، ولا يعترض فى نفسه على شئ جرى به المقدور ، وهذا من أعلى آداب سلفنا الصالح ، فقد مات مرة ابنٌ لمولانا الإمام الحسين ﷺ ، فلم

يرى الناس عليه حزناً أو كآبة ، فسألوه فى ذلك ، فقال فى فلسفة عالية : نحن آل بيتٍ نسأل الله فيعطينا ، فإذا أراد ما نكره فيما يحب رضينا ، وسبحان من اصطفاهم على العالمين . ويبث الشيخ فى مريده التربية الصوفية بثاً ظاهراً وخفياً بما يؤتيه الله من سلطان الروح ، حتى إذا كان المريد من أهل العناية نضج فى التربية وصار من أهل القَدم الذين يؤثرون الله تعالى على سواه ، وسار بدوره إماماً لطبقة أخرى ، فتتوارث دعوة الحق ، وهذا من عطاء الله للأمة المحمدية ؛ فقد قال صلوات الله وسلامه عليه فيما رواه الإمام البخارى : " لا تزال طائفة من أمتى قائمة بأمر الله لا يضرهم من خزلهم أو خالفهم حتى يأتى أمر الله وهم ظاهرون على الناس " ومما تقدم ترون أن الصوفية يربون السالكين إلى الله بالعلم ، والعمل ، والتربية الباطنية فتطهر ظواهر المريدين بالعبادات ، وبواطنهم بالمجاهدات فتصفوا أرواحهم ، وتتعلق بالملأ الأعلى الذى منه هبطت ، وعند ذلك لا يطيب لها حالٌ إلا مع الله الذى خلقها للآخرة لا للأولى ، وتعبدها فى عالم الذر بالتعريف حين خاطب

الأرواح بقوله الكريم : ﴿ أَلَسْتَ بِرَبِّكُمْ ﴾ . سورة الأعراف ثم تعبدها مرة أخرى فى عالم الظاهر بالتكليف بالعبادات وفق ما رسمه الشرع الحنيف، وبالمجاهدات وفق ما ورثه الصحابة عن سيد العالمين صلى الله عليه وسلم ، وَوَرَّثُوهُ لمن جاء بعدهم من التابعين ، وهؤلاء وَرَّثُوه لمن بعدهم وهكذا ؛ لأن الله تعالى شاء أن تكون هذه الأمة المحمدية خير أمة أخرجت للناس ، ختم الرسالات السماوية بسيدنا ومولانا رسول الله ﷺ وأبقى له معجزة القرآن خالدة ، وقيد للسنة المحمدية خدَّامها فلتتم نعمة الله على الأجيال التى لم تدرك زمن النبى ﷺ ، يبعث الله فى الأجيال المتعاقبة مُثلاً عليا ينشرون نور الدين بالمقال والحال والنور الذى يمشون به فى الناس ، حتى لا تبطل حُجج الله وبيناته ، وأولئك هم خلفاء الله فى أرضه ، والدعاة لدينه كما قال إمامنا سيدنا على كرم الله وجهه ، وهم لازمون لعلاج الأدواء الروحية لزوم الأطباء لعلاج الأدواء الجسدية ، ويرحم الله أمير الشعراء إذ يقول مُنبهاً لحاجة الناس إليهم :

بُساطِ جِسمكَ شَتَّى حِينَ تَطْلُبُهم فمَنْ لروحِكَ بالنَقصِ المُداوِينَ

ولا شك أن أخذ الناس الدين عن هؤلاء علماً وعملاً ومذاقاً يثمر ثمرته فى المجتمع كله ، فالآخذون عليهم وإن لم يبلغوا مبلغ أئمتهم فى النضوج لكنهم بلا شك يخطون فى التربية الإسلامية على أيديهم خطوات نافعة لهم ولذويهم وشتان بين قيمتى المادة والروح .

فيد الجسم بها انشق الحجر ويد الروح لها انشق القمر

إن غفلة القلوب زادت بازدياد أنواع الملاهى وأدواتها حتى اقتحمت على الناس مساكنهم من وراء الجُدر، وفيم يوقظ الجانب الحيوانى فى الإنسان ، ويقظته لا تكون إلا على حساب الجانب الروحانى ، وخاصة فى الناشئين والناشئات ويعجبنى ما يقوله فى هذا الشأن فيلسوف المسلمين الذى عاش عمره يفخر بالإسلام وينادى المسلمين بإصلاح نفوسهم وذات بينهم ، السيد محمد إقبال رحمه الله ــ شاعر الإسلام الباكستانى ــ حين قال :

هى المَدَنِيَّةُ الحَمْقَاءُ أَلْقَتْ بِهِمْ بَيْنَ المَذَاهِبِ حَائِرِينَ

لَقَدْ صَنَعَتْ لَهُمْ صَنَمَ الْمَلاهِى لِتَحْجُبَ عَنْهُم الْحَرَمَ الأَمِينَ

لأنه رأى أن العمل فى الدين فى بلاد الإسلام وقف اليوم أكثره عند الظواهر، ولم يجاوزها للبواطن ؛ لأن المسلمين أخلدوا للراحة ، وأخذوا بالرخص والتأويلات ، ولم يأخذوا بالعزائم والمجاهدات كأسلافهم ؛ لذلك ساروا إلى حالة لا تسر ، فترى المصلين يملئون المساجد ، ويحجون بيت الله ، فإذا عاملت بعضهم رأيتهم ينقضون العهود ، ويتعدون الحدود ، ولو كانوا جادين فى عبادتهم ما رأيت منهم ذلك كما أن الشباب فَتُرَت همتهم فى الدين ، وانصرفوا إلى ما لا ينفع ، بل إلى ما يضر، كما قال بعض العارفين فى أبياته ناصحاً :

إذاوعَظَ الورى الوُعَّاظُ يوماً فَتَفْخَرُ بِالْكَـــــلامِ النَاشِـئَاتِ
فَأَجْهِزَةٌ تُثِيرُ لنافَسَـــــاداً غَوانٍ رَاقِصَاتٍ عَـــــارِيَاتِ
يُسَرُبُها الشَّبَابُ بِالإِعْتِنَـــاءِ ولا يَعْنَى الوضُوءُ ولا الْصَلاةِ
نَحُجُ الْبَيتَ رُواداً ولـــــكن قُلُوبٌ بَعْدَ ذلك مُخَرَّبَـــــاتِ
وكَمْ ذَا نَدَّعِى نُعْطِى زَكَـــاةً وليس لنا مع المولى زَكَـــاةِ
نَبِيعُ وَنَشترىلكن حَرامـــاً وأبوابُ الحلالِ مُعَطَـــــلاتِ
وكَمْ يَفْشُوا الرِّبَا فينا جِهــاراً وتُعجِبُنَا الفَتَاوى الفاســداتِ
وكم رَمَضَانَ نُحْيِيهِ بِلَهْـــوٍ لياليهِ بإثمٍ ساهـــــــراتِ
مَحَاكِمُنا قد امتلأت نِسَـــاءً وهل ترضى بكثرتها القُضَــاةِ
طِباعُ الناسِ أمست كالأفاعى فأَلْيَنُهَا مَلامسْ لاذعـــــاتِ

ويتحسر الشاعر الباكستانى محمد إقبال على ترك المسلمين للأخلاق النبوية فيقول :

طُوِّفْتُ فى أرضِ الأَعَـاجِمِ ثُـــمَّ فـــى أَرضِ الْعَـــرَبْ
لَمْ ألقى فيهـا المصـطفى وَلَكَـــمْ رَأَيــتُ أَبَــا لَهَــبْ

وإنى أقول لشبابنا : لقد كان للإسلام بالشباب الناشئ فـى طاعة الله قوة جسدية وروحية ؛ فمثلاً تولى أسامة بن زيد

الصحابى قيادة الجيش وهو دون العشرين ــ يعنى كان فى سن ١٧ من عمره ــ بأمرٍ من مولانا رسول الله ﷺ ، وكان فى الجيش شيوخ الصحابة الأجلاء ، وفيهم أبوبكر وعمـر بن الخطاب ، أترى كان أسامة يجود بنفسه فى سبيل إعلاء كلمة الدين ويبخل بالعبادة ثم كان يؤخر العبادة لشـيخوخته وهو لا يدرى متى أجله . وإنى أنصح شـبابنا وفتياتنـا أن يحفظوا المُثل العليا التـى ضـربها أسـلافنا الصـالحون والصالحات ، وأن يغتنموا الشباب قبل الهرم ، والصحة قبل السقم والغنى قبل الفقر ، والفراغ قبل الشغل ، والحياة قبل الموت ونقول لفتيات الإسلام : إننا أخذنا كثيراً من ديننا عن أم المؤمنين سيدتنا عائشة رضى الله عنها ، وقـد خلَّفهـا رسول الله ﷺ إلى الرفيـق الأعلـى وهـى دون العشـرين وليذكرن كذلك أن السيدة فاطمة الزهراء ماتت فى شـبابها ولكنها فى حياتها كانت مثالاً رائعاً للتقـوى وقـد وصـفها السيد محمد إقبال الشاعر الإسلامى الباكستانى :

فمَها يُرددُ آى ربهـا بينمـــا يَدها تجُرُعلى الشَـعيرِرَحَاهَا
لما شكا المُحتاجُ خلفَ رِحَابِهَا رَقَّتْ لِتِلْكَ النفسِ فىشـكواها

جَادت لتُنْقَذَهُ بـــرَهْنِ خِمَارِهـــا ياسُحْبُ أين نَدَاكِ من جدواها
بَلَّتْ وِسَـــادتِهَا لآلـــئُ دَمْعَهَـــا من طُولَ خشيتها ومن تقواها
جبريلُ نحوالعرشِ يرفعُ دمعَها كالطَّلِ يَرْوِّى فىالجِنَان رُباها

وليذكرون كذلك أن السيدة رابعة العدوية سجلت للنساء فى محبة الله فخراً باقياً على الزمن فى مثل قولها :

أحبك حُبين حُبَ الهَـــــوى وحُبـــاً لأنـــك أهـــلٌ لـــذاكَ
فأما الذى هو حُبُ الهَـــوى فحبٌ شُغِلْتُ بِهِ عـــن ســواكَ
وأمـــــا الذى أنت أهلٌ له فكشفـــك لى الحُجْبِ حتىأراكَ
فلا الحمدُ فى ذا ولا ذاكَ لى ولكـــن لك الحمدُ فـــى ذا وذاكَ

وقولها رضى الله عنها :

كلهم عابدوك من خوفِ نـــــارٍ ويـــرونَ النجـــاةَ حظـــاً جزيـــلَ
أو بأن يسكنونَ الجِنانَ ويحظـــوا بقصـــورٍ ويشـــربون السلســـبيلَ
ليس لى فى الجنانِ والنارِ حـــظٌ أنا لا أبتغـــى بحُبـــى بديـــــلَ

وإنى أنصح المتصوفة من الشباب أن يبذلوا المجهود بـــين يد المعبود ، وأن يذكروا الحكمة الصوفية القائلـــة : "مـــن عرف ما يطلب هان عليه ما يبـــذل " . كمـــا أنصـــحهم أن يحرصوا على أورادهم ، ويلتزمـــوا جمـــاعتهم ويطيعـــوا مشايخهم ، ويوالوا زيارتهم ويُجِلْـــوهُمْ ، ويســـتمعوا إلـــى

إرشادهم ؛ فإن كلمة واحدة من كلماتهم النيرة أو لحظة من لحظاتهم المباركة قد تصعد بالمريد فى معارج الكمال ، وقد قال الإمام العارف بالله الحارث المُحاسبى فى كتابه الرعاية لحقوق الله عند قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ١٩ ﴾ . ســـورة الحشر ﴾ : أى أنساهم النظر إليهـــا ، وأول البليَّـــة تعطيـــل القلوب من فكر الآخرة وذكرها ، وعن ذلك يكون السهو ثم النسيان ، ثم الغفلة ، ثم التضييع لأمر الله عز وجـــل ، ثـــم مواريث السوء من الرَّينَ ، والقسوة الذين يحجُبـــان عـــن الآخرة ، ونعوذ بالله من هذا . ويعلل شاعر الإسلام محمـــد إقبال عدم ظهور التجلى فى الأمة ؟ بالغفلـــة التـــى عمـــت المسلمين ، ولو كان فيهم أهل الشوق لوقع التجلـــى لهـــم فيقول :

تجلى النورفوق الطور باقٍ فهل بقى الكليم بطور سينا

وقد يقول البعض : أين أئمة الصوفية الذين نأخـــذ عـــنهم التربية التى وصفت ؟ فأقول : إن هذه الأمة لا تخلـــو مـــن

خيارٍ يؤتم بهم فى التربية ؛ فإن لم نجد أئمة الصوفية من أمثال الجُنيد ، والجيلانى ، والرفاعى ، والبدوى والدسوقى عليهم رضوان الله ؛ فإننا نجد المتشبهون بهم من المتصوفة ، ولا شك أنهم فى هذا الزمان يعتبرون نسبياً قدوة صالحة للخروج بنا من ظلمات الغفلة القاتلة التى نشاهدها فى المجتمع الإسلامى ، ونسأل الله أن يجنبنا شرها

قيام الليل عند الصوفية :

والصوفية يتأسون فى قيام الليل بعمل مولانا سيدنا رسول الله ﷺ وعمل أصحابه ، ويقولون : أن رسول الله ﷺ قال : " نعم الرجل عبد الله بن عمر لو كان يصلى من الليل " فما فاتت ابن عمر بعد ذلك ليلة حتى يقوم فيها ، ويقولون كذلك : إن الله عز وجل جعل قيام الليل من أوصاف الصالحين بقوله الكريم ﴿ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ ﴾ سورة آل عمران . ويُستحب عند الصوفية من قيام الليل الثلثين وأقل الاستحباب عندهم قيام الثلث ويقولون : إن الصلاة أول الليل للمتهجدين ، وقيام أوسطه للقانتين ، وقيام آخره للمصلين والقيام من الفجر للغافلين . ويقول الصوفية منبهين لنا : أن

رسول الله ﷺ كُلِّف بقيام الليل بقوله تعالى : ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾ ﴾ . سورة الإسراء فإذا كان سيد الوجود أُمِرَ بالركوع والسجود ، فكيف يطمع فى الوصول من ليس له محصول ؟! وقد سُئل بعض الصوفية : كيف الليل عليك ؟ فقال : هو ساعة أنا فيها بين حالين أفرح بظلمته إذا جاء وأغتم بفجره إذا طلع ، ما تم فرحى به قط وما اِشتفيت منه قط . وقال الفُضيل بن عياض : إذا غربت الشمس فرحت بدخول الظلام لخلوتى بربى فإذا طلع الفجر حزنت لدخول الناس علىَّ . فرحتهم بالليل لأنهم ذاقوا لذة المناجاة ، واِستشعروا العطاء وعظمة العطية . وقال أبو سليمان : أهل الليل فى ليلهم ألذ من أهل اللهو فى لهوهم ولولا الليل ما أحببت البقاء فى الدنيا وقال بعضهم : إن الله عز وجل ينظر بالأسحار إلى قلوب المتيقظين فيملأها أنوارا فترد الفوائد على قلوبهم فتستنير فتشع منها الهدى إلى قلوب الغافلين . ويروى الصوفية أن الله تعالى أوحى إلى بعض الصديقين " إن لى عباداً من عبادى يحبونى وأحبهم ، ويشتاقون إلىَّ وأشتاق إليهم ويذكروننى وأذكرهم

وينظرون إلى وأنظر إليهم ، فإن حذوت طـريقهم أحببتـك وإن عدلت عنهم مَقَتُكْ ، قال يا ربِ ما علامـتهم ؟ قـال : يراعون الظلام بالنهار كما يراعى الراعى الشـفيق غنمـه ويحنون إلى غروب الشمس كما تحن الطير إلـى أوكارهـا عند الغروب ، فإذا جنهم الليل واختلط الظـلام ، وفُرشـت الفُرش ونُصبت الأَسِرْة ، وخلى كل حبيب بحبيبه ، نصـبوا إلىّ أقدامهم ، وافترشوا لى وجوههم ونـاجونى بكلامـى وتملَّقوا لى بإنعامى ، فبين صارخٍ وباكٍ ومتأوهٍ وشاكٍ وبين قائمٍ وقاعد ، وبين راكعٍ وساجد بعينى ما يتحملون لأجلـى وبسمعى ما يشتاقون لحبى أول ما أعطيهم أقذف من نورى فى قلوبهم فيخبرون عنى كما أخبر عنهم ، والثانيـة لـو كانـت السموات السبع والأرض وما فيها من موازينهم لاستقللتها لهم والثالثة أقبل بوجهى عليهم فترى من أقبلتُ بوجهى عليه ، يعلم أحدٌ ما أريد أن أعطيه " .

الفرق بين المشاهدة والحلول عند الصوفية

فالصوفية لا يقصدون الحلول حين يقولون : إن الله فـى ضميرهم ، بل يقصدون مقام المشاهدة الذى يتمتـع بـه

الصوفى منهم عندما يتجلى الحق سبحانه وتعالى علـى قلبه ، فيرى ربه بعين قلبه ، ويجتليه ببصر بصيرته من غير حلول ولا تحيز ، ولا انفصال ولا اتصال ، ويشـرح ذلك سيدى الإمام العز بن عبد السلام ﷺ فى قوله :

ولمَّا تجلـى مـن أُحـبُ تكرُّمـاً ... وأشهدَنى ذاكَ الجمـال المُعظَـمَ
تعـرَّف لى حتى تيقنـتُ أننـى ... أراه بروحى جهرةً لا توهُـمَ
وفى كلِ حالٍ أجتليه ولـم يَـزَلْ ... على طُورِ قلبى حَيْثُ كُنْتُ مُكلَـمَ
وما هو فى وصْـلِى بمُتَصِـل ... ولا بمُنفَصلٍ عنى وحاشاه منهما
وما قدرُ مثلى أن يُحـيطَ بقـدرِهِ ... وأين الثرى من رِفعةِ البدرِ إنمـا
أشاهدهُ فى صفو سِـرْى وأجْتَلِـى ... جمالَ تعالى عـزهُ أن يُقَسَّـمَ
كما أن بدرَ التَّمِ يُنظَرُ وجهـهُ ... بصفو غديرٍ وهو فى أُفُقِ السما

ويقول الإمام الشبلى رضى الله عنه :

فلمَّا أرانى الوجْدُ أَنَّكَ حَاضِرى ... شَهِدْتُكَ مَوْجُوداً بِكُلِ مَكَانِ
فَخَاطَبْتُ مَعْلُوماً بِغَيْرِ تَكَلُمِ ... ولاحَظْتُ مَوجُوداً بِغَيرِ عَيَانِ

ويقول الإمام الحلاج رضى الله عنه :

واللهِ مَا طَلَعَتْ شَمْسٌ ولا غَرُبَتْ ... إلا وحبُـكَ مقرونـاً بِأَنْفَـاسِ
ولا جَلَسْتُ إلى قَوْمٍ أُحَـدثُهُمْ إلاَّ ... وأَنْـتَ حَدِيثِـى بَـيْنَ جُـلاسِ
مالى وللناسِ يُلْحُونَنِى سَفَهـاً ... دينى لِنَفْسى ودِينُ النَّاسِ للنَّـاسِ

ويقول بعض الصالحين :

إننا مُلكُــهُ ومَوْعِدُنَــا الْحَشْر فَهَــلْ عَنْهُ لَحْظَــةً نَتَوانى

ويقول أيضا :

ومُذْ شَاهَدَتْ رُوحِــى جَلالُــكَ وارْتَقَــتْ تَجَرْدتُ عن مَعْنَاى فى عَالَمِ الْحِسِ

تَعشقتُ نَــورَ اللهِ وهــو بَصِــيرَتِى قَدْ وضَعَ البُرهانَ فى آيةِ الكُــرْسِ

أرأيتم كيف تعلق الصوفية بالله وجاهدوا أنفسهم فى سبيله وهاموا فى حبه ، وكيف آثروه علــى كــل شــئ فــآثرهم بالانتساب إليه ، وهداهم سبيل الرشاد ، مصداقاً لمــا قالــه تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ **سورة العنكبوت .**

❁ حقيقة التصوف ❁

التصوف : ليس كتباً تقرأ ؛ وإنما هو سلوك عملى وجهــاد دائم بقلب هائم ، يتدرج المؤمن فيه صــعَّداً علــى معــراج المحبة بإرشاد إمام القوم الذين وصفهم الله تعالى فقال :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ ﴾ **ســورة المائــدة .**

اللهم ارزقنا الاستقامة على الطريق لنكون من أهل الحــق والحقيقة يا رب العالمين .

علم التصوف الإسلامى :

فعلم التصوف الإسلامى من أجَلْ العلوم قدراً ، وأعظمهــا محلاً وفخراً ، وأسناها شمساً وبدراً ، وكيف لا وهو لُبــابُ الشريعة ومِهاد الطريقــة ومنــه تشــرق أنــوار الحقيقــة فالتصوف بالنسبة إلى أحكام الدين الإسلامى كالروح بالنسبة للجسد ، فهو روح الشريعة الغرَّاء وفحواها ، فلا يقتصــر الدين على الأحكام الفقهية ، ولا تُدرك هذه الأحكام إلا بفهم الجانب الروحى منها فهماً حقيقياً ؛ فلابد للمتصوف من أن يكون مُلِّماً بأحكام الشرع ، متبعاً له اتباعــاً وثيقــاً ؛ فــلا تصوف إلا بفقه ، ولا فقــه إلا بتصــوف ، إذ لا عمــل إلا

بصدق توجه ولا هما إلا بإيمان . ومن هنا قال العلماء : من تصوف ولم يتفقه فقد تزندق ، ومن تفقه ولم يتصوف فقد تفسق ، ومن جمع بينهما فقد تحقق فتزندق الأول لأنه قائم لنفى الحكمة والأحكام ؛ فبذلك لا يكتمل عمله لجهله بأحكام الشرع الحنيف ، وتفسق الثانى لخلو عمله عن صدق التوجه والإخلاص المشروط فى الأعمال فإن ذلك هو الحاجز عن معصية الله وتحقق الثالث لقيامه بالحقيقة فى عين تمسكه بالحق .

التصوف والشريعة : فالتصوف إذاً هو روح الدين أما الشريعة فهى ظاهرة فحسب ، والمتصوف يعنى بباطن الأحكام وحقيقتها ، وسلامة القلب عند أداء العبادات والمعاملات ، أما الفقيه فأكثر عنايته بظاهر التعرف واستيفائه بأركانه وشروطه دون النظر لما اكتسبه القلب لتوضيح ذلك نضرب مثلاً فى النطق بالشهادة ، فالفقيه ينظر إليها نظرة ظاهرة ، ويربط بها أحكامها دون أن يتطرق إلى صدق العقيدة أو زيفها فى النطق بها ، فإذا نطق اللسان بالشهادة كان ذلك كافياً فى نظر الفقيه باعتباره مسلماً وأن

يعامله بالأحكام الشرعية على هذا الأساس ؛ بأن يرفع عنه حد السيف والجزية ، ويُورِثُه كسائر المسلمين وغير ذلك وليس له أن يبحث فيما إذا كان الناطق بها مؤمناً أو منافقاً أما التصوف فهو لا يقف عند حد الظاهر ، بل يعتنى بالباطن ، واِكتساب القلب للإيمان والتصديق ، ومثال آخر للفارق بين الشريعة والتصوف من الصلاة ، فالفقيه يبحث فى الصلاة من حيث أركانها وشروطها ، فيحكم بصحتها أوبطلانها لدى استيفائها لهذه الأركان والشروط ، أما المتصوف فيعنى بحالة القلب عند أداء الصلاة ، ويعنى بمسألة قبولها عند الله ، وهو ما لا يمكن أن يتطرق إليه الفقيه ، فمتى اِستجمع المصلى أركان الصلاة وشروطها كالإسلام والطهارة واِستقبال القبلة وأداء الأفعال التى تتكون منها الصلاة ، كانت صلاته كافيه فى نظر الفقيه ، أما المتصوف فهو يعنى بطرد الوساوس عند الصلاة واِتجاه القلب وسلامته فى أدائها ونفى الرياء عنها ، والعُجْب بها وغير ذلك مما يتصل بجوهر الصلاة وروحها ، فالمتصوف يقوم على الإرشاد فهو مدرسة . وقال بعض المتصوفين :

إنه لابد للإنسان المسلم من أن يكون متصوفاً ، لابد له من شيخ يرشده ومن لا شيخ له ، فالشيطان شيخه ، ومن لم يجد الشيخ الصالح فليكثر من الصلاة على حضرة الرسول الكريم ﷺ فيكون الرسول شيخاً له ، ولما كان التصوف الإسلامى هو العلم الدقيق الراقى والحقيقى ، وضع أئمة التصوف لهذا العلم هذه الحقائق العلمية العظيمة . حده وموضوعه ، وواضعه ، واِسمه ، واستمداده ، وحكم الشارع فيه ، وتصور مسائله ، وفضيلته ، ونسبته وثمرته .

أولاً حد علم التصوف : أما حده فقال الإمام الجُنيد رضي الله عنه : هو أن يميتك الحق عنك ويحيك به ، وأن تكون مع الله بلا علاقة ، وقيل الدخول فى كل شئ سنى والخروج من كل شئ دنى ، وقيل هو أخلاق كريمة ظهرت فى زمان كريم مع أقوام كرام ، وقيل أن لا تملك شيئاً ولا يملكك شئ ، وقيل اِسترسال النفس مع الله على ما يريد ، وقيل التصوف مبنى على ثلاث خصال : التمسك بالفقر والافتقار ، والتحقق بالبذل والإيثار وترك التدبير والاختيار . وقيل ذِكرٌ مع

اِجتماع ، ووجدٌ مع اِستماع ، وعملٌ مع اتباع ، وقيل الجلوس مع الله بلا هم ، وهو العصمة عن رؤية الكون

علامة الصوفى الصادق والصوفى الكاذب .

والصوفى الصادق علامته: أن يفتقر بعد الغنى ، ويُذل بعد العز ويُخفض بعد الشهرة . وعلامة الصوفى الكاذب : أن يستغنى بعد الفقر ويُعز بعد الذل ، ويُشتهر بعد الخفاء والصوفى : هو الذى سقط عنه الرياء وأصبح لا يرى إلا الله الواحد فى كل أقواله وأفعاله ؛ لذلك يكون بين الناس غريباً فى أحواله فريداً فى كماله ، فلا يقبله من كان به نقص ؛ لذلك قال الحسن بن منصور رضى الله عنه : الصوفى واحدٌ فى الذات ، لا يقبله أحد ولا يقبل أحد ، وقيل الصوفى كالأرض يُطْرَحُ عليه كل قبيح ، ولا يخرج منه إلا كل مليح ، ويطأه البَرُّ والفاجر ، كما قال فيه الحق : ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ﴿٦٣﴾﴾ سورة الفرقان .

وقال شيخنا الشبلى رضي الله عنه الصوفى : منقطع عن الخلق متصل

بالحق لقوله تعالى : ﴿ وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى ﴿٤١﴾ ﴾ سورة طه ، ثم قال أيضاً الصوفية أطفال فى حِجْرِ الحق ، وقيل الصوفى لا تُقِلُّه الأرض ولا تُظِلُّه السماء ــ يعنى لا يحَصُره الكون ــ ؛ لكونه عبداً ربانياً فى قبضة الحق فوق كل الأسباب ، ومع الحقيقة سراً وحالاً . وقال الإمام الشعرانى رضى الله عنه فى طبقاته : التصوف : عبارة عن علمٌ انقدح فى قلوب الأولياء حين اِستنارت بصائرهم بالعمل بالكتاب والسنة فكل من عمل بهما حصَّل من ذلك علوم وآداب وأسرار وحقائق تعجز عنها الألسن .

وقال بعض العارفين :

علمُ التصوفُ ليس يُدركهُ إلا أخو فطنةً بالحق معروفُ
وكيف يُدركه من ليس يشهده وكيف يشهدُ ضوءَ الشمسِ مكفوفُ

ثانياً موضوع علم التصوف :

أما موضوع التصوف فهو الذات العليَّة ؛ لأنه يبحث عنها باعتبار معرفتها إما بالبرهان أو بالشهود والعيان ، فالأول للطالبين والثانى للواصلين . وقيل موضوعه النفوس والقلوب والأرواح ؛ لأنه يبحث عن تصفيتها وتهذيبها

وهى أفعال القلب والحواس من حيث التزكية والتصفية

(لأن من عرف نفسه عرف ربه)

ثالثاً واضع هذا العلم :

أما واضع هذا العلم والأستاذ الأول للصوفية : فهو سيدنا رسول الله ﷺ علمه الله بالوحى والإلهام ، فنزل الأمين جبريل عليه السلام أولاً بالشريعة ، فلمَّا تقررت نزل ثانياً بالحقيقة فخصَّ بعضاً دون بعض ، وأول من تكلم فيه وأظهره سيدنا على بن أبى طالب كرم الله وجهه و ﷺ وأخذه عنه الإمام الحسن البصرى (وأمه اسمها خيرة مولاة لأم سلمه زوج النبى ﷺ أم المؤمنين ، وأبوه مولى زيد بن ثابت) توفى الحسن البصرى سنة عشر ومائة هجرية ، وأخذه عن الحسن سيدنا حبيب العجمى ، وأخذه عن حبيب أبو سليمان داود الطائى (توفى سنة اِثنتين ومائة هجرية) وأخذه عن دواد الطائى أبو محفوظ معروف بن فيروز الكرخى ﷺ وأخذه عن معروف الكرخى أبو الحسن سرى بن مفلس السقطى (توفى سنة إحدى وخمسين ومائة) وأخذه عن السرى إمام هذه الطريقة ومظهر أعلام الحقيقة أبو القاسم

محمد بن الجُنيد الخزار (أصله من نهاوند وتربى بالعراق وتفقه على أبى ثور وصحب الإمام الشافعى ، فكان يُفتى على مذهب أبى ثور ، ثم صحب خاله السرى ، وأبا الحارث المحاسبى وتوفى سنة سبع وتسعين ومائتين ، ودُفن ببغداد) ثم انتشر التصوف فى أصحابه ، وتنقل من عارف إلى عارف ولا ينقطع حتى يوم الدين ، فانتقل إلى الأقطاب المشهورة الرفاعى والشاذلى والدسوقى والبدوى . ولقد كان الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام يحيا حياة روحية بالغة السمو والصفا ، وكانت وراء كلماته وتعاليمه حقائق روحية ، لم يفهمها حق فهمها ولم يلمسها على حقيقتها إلا المقربون منه المخالطون له ، وقد روى عن أبى هريرة ﷺ أنه قال : حفظت عن رسول الله ﷺ من وعائين أما أحدهما

فبثثته ، وأما الآخر فلو بثثته لقطع هذا الحلقوم . وقال بعض العارفين : إن رسول الله ﷺ أُعْطِىَ ثلاثة علوم علم

الشريعة فنشره بين الأمة ، وعلم خُيِّر فيه وأعطاه بعض الصحابة دون بعض ، وعلم عَلِمَهُ وأُمِرَ بكتمه وهو علم سر القدرة . أما علوم العارفين بالله فتؤخذ مشافهة من عارف إلى عارف إلى رسول الله ﷺ وتُفاض عليهم من باب من القرآن : ﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ سورة الكهف . وهذا علم العارفين ، ولا يعطى هذا العلم إلا لرجل طرح الأكوان وأحب الرحمن ، واقتفى بالقرآن ، واتبع سيد الأنام ، وهذا العارف لو خطرت فى قلبه خطرة دون الله تعالى سهواً لتعطل سره وما كان من العارفين ؛ لذلك كان يقول سلطان العاشقين سيدنا عمر بن الفارض :

ولو خطرت لى فى سِواك إرادةٌ على خاطرى سهواً قضيتُ بِردَّتى

رابعاً اسم علم التصوف : أما اسمه فهو علم التصوف : أى أنه من الصفاء ، كما قال سيدى أبو الفتح البُستى ﷺ :

تخالفَ النَّاسُ فى الصُوفِى واختَلَفُوا جَهْلاً وَظَنُوهُ مُشْتَقَاً مِنَ الصُّوفِ
ولَسْتُ أَمْنَحُ هَذا الاسمِ إلا فَتَىً صَافَى فَصُوفِيا حَتَى سُمىَ الصُّوفى

خامساً استمداد علم التصوف :

أما استمداده أى علم التصوف ، فهو مستمدٌ من الكتاب والسنة ، وإلهامات الصالحين وفتوحات العارفين .

سادساً حكم الشارع فيه :

أى حُكمهُ ، فقد قال الإمام الغزالى : إنه فرض عين ، إذ لا يخلو أحدٌ من عيب أو مرض إلا الأنبياء عليهم السلام وقال الإمام الشاذلى ﷺ : من لم يتغلغل فى علمنا هذا مات مُصِرّاً على الكبائر وهو لا يشعر ، وحيث كان فرض عينٍ يجب السفر إلى من يأخذه عنه ، إذا عُرِفَ بالتربية واشتهر الدواء على يده وإن خالف والديه ، كما قال الشيخ السنوسى ﷺ : النفس إذا غلبت كالعدو إذ فَجَأْ تجب مجاهدتها ، والاستعانة عليها وإن خالف والديه .

وما أحسن قول القائل :

أُخَاطِرُ فى مَحَبَتِكُمْ بِرُوحِى وَأَرْكَبُ بَحْرَكُم إمَّاوإمَّا
وأَسْلُكُ كُلَ فَجٍ فى هَواكُم وَأَشْرَبُ كَأْسَكُم ولو كَانَ سُمَاً

ولا أَصْغَى إِلَى مَنْ قَدْ نَهَانِى وَلِىأُذُنٌ عَنِ الْعُزَّال صُمَّا

أُخَاطِرُ بِالْخَواطِرِ فى هَوَاكُم وَأَتْرُكُ فى رِضَاكُم أَبَاً وَأُمَاً

سابعاً تصور مسائل علم التصوف :

وأما تصور مسائله ، فهو أحوال معرفتها من الكلمات المتداولة ، كالإخلاص ، والصدق ، والتوكل ، والزهد والورع ، والرضا ، والتسليم ، والمحبة ، والفناء والبقاء وكالذات ، والصفات ، القدرة ، والحكمة والروحانية والبشرية ، ومعرفة الحال ، والوارد والمقام ، وكون الخلوة والصمت على أنهما مطلوبين .

ثامناً فضيلة علم التصوف :

وأما فضيلته (أى فضيلة التصوف) فقال الإمام الجُنيد : لو نعلم أن تحت أديم السماء أشرف من هذا العلم الذى نتكلم فيه مع أصحابنا لسعيت إليه . وقال الشيخ السقطى ﷺ : وكل من صدَّق بهذا العلم فهو من الخاصة ، وكل من فهمه فهو من خاصة الخاصة ، وكل من عبَّر عنه وتكلم فيه فهو كالنجم الذى لا يُدرك والبحر الذى لا يُنْزَف . وقال بعض الصالحين : إذا رأيت من فُتِحَ له بالتصديق فى هذه الطريقة فبشره ، وإذا رأيت من فُتِحَ له فى الفهم فيه فاغتبطه ، وإذا

رأيت من فُتِح له فى النطق فيه فعظمه ، وإذا رأيت منقـداً عليه ففر منه فرارك من الأسد واِهجره . وما من علـمٍ إلا وقد يقع الاستغناء عنه فى وقت ما إلا علم التصـوف فـلا يستغنى عنه أحد فى وقت من الأوقات .

تاسعاً نسبة علم التصوف :

وأما نسبته من العلوم ، فهو كلٌ لها وشرطٌ فيهـا . وقـال الإمام السيوطى (سيدى جلال السيوطى رضى الله عنه) : نسبة التصوف من العلوم ، كعلم البيان مع علم النحو يعنى هو كمالٌ فيها ومُحسنٌ لها ، وقال الشيخ ذروق ﷺ : نسبة التصوف من الدين نسبة الروح من الجسـد ؛ لأنـه مقـام الإحسـان الـذى فسـره رسـول الله ﷺ لجبريـل عليه السلام : (أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك) ، إذ لا معنى له سوى ذلك .

عاشراً فائدة علم التصوف :

وأما فائدته فتهذيب القلوب ، ومعرفة علام الغيوب وسخاوة النفوس ، وحسن الخلق مع كل مخلوق وإصلاح الإنسـان

ظاهراً وباطناً ، فإن الصوفى من تصفى من الكدر ، واِمـتلأ من العبر ، واِنقطع لعبادة ربه عن البشر .

وكما قال بعض الصالحين :

لَيْسَ التَّصَوْفُ لِبْسُ الصُّوفِ تُرْقِعُهُ ... ولا بُكَاؤُكَ إِنْ غَنَى الْمُغَنُّـونَ
ولا صِيَاحٌ ولا رَقْصٌ ولا طَـرَبٌ ... ولااضْطِرَابٌ كَأَن قَدْصِرْتَ مَجْنُونَ
بَلْ التَّصَوفُ أَنْ تَصْفُو بِلا كَـدَر ... وَتَتْبَعِ الْحَقَ وَالْقُرْآنَ وَالدِّيـنَ
وَأَنْ تُرَى خَاشِعَاً للهِ مُكْتَئِبَـاً ... على ذُنُوبِكَ طُولَ الدَّهْرِ مَحْـزُونَ

فعلم التصوف ليس هو اللقلقة باللسان ، وإنما هـو أذواقُ ووجدان ، ولا يؤخذ من الأوراق ، وإنما يؤخذ من الأذواق وليس ينال بالقيل والقال ، وإنما يؤخذ من خدمـة الرجـال وصحبة أهل الكمال ، والله ما أفلح من أفلح إلا بصحبة من أفلح . ثم بعد ذلك نبين ما هو الشيخ المربى ؟

۞ الشيخ المربى ۞

الشيخ المربى : هو الشيخ العـارف والمربـى الصـوفى الملهم . فلما كان علم التصوف هو الجامع والجامعة العلمية الراقية ، حقيقة روحاً ومعنى ، كان لابد من بيعة صـادقة لتلقى هذا العلم ، على يد معلمٍ عارف واصل ، وأن تكـون

للعارف صفاته التى يتنزه بها مع العلم الكامل ، فكانت صفات العالم أن يكون من العارفين الذين تجردوا من الأسباب بيد الحق ، فهذا شأن الصَّدِيقِين ، لا يخرجون من شئ حتى يكون الحق سبحانه هو الذى يتولى إخراجهم وأن يكون الشيخ تجرد ظاهراً وباطناً ، فتجريد الظاهر : هو ترك كل ما يشغل الجوارح عن طاعة الله ، وتجريد الباطن : هو ترك كل ما يشغل القلب عن الحضور مع الله ، ومن كل وصف ذميم ، وتحليته بكل وصفٍ كريم ، وأن يكون من أهل المحبة والمعرفة .

أقسام أهل العناية :

فالعباد المخصوصون بالعناية قسمين :

قسم وجههم الحق لإقامة الدين ، وحفظ شرائع المسلمين وهم العلماء والصلحاء . وقسم أقامهم الحق لمحبته واِختصهم بمعرفته ، وهم العارفون الكاملون سلكوا سواءً الطريق ووصلوا إلى عين التحقيق . وبينهما فرقٌ كبير لأن أهل الخدمة (وهم العلماء) طالبون الأجو وأهل المحبة (وهم العارفون) رفعت عنهم الستور ، وأهل الخدمة

يأخذون أجورهم وراء الباب ، وأهل المحبة فى مناجاة الأحباب ، وأهل الخدمة مسدول بينهم وبينه الحجاب ، وأهل المحبة مرفوع بينهم وبينه الحجاب ، وأهل الخدمة من أهل الدليل والبرهان ، وأهل المحبة من أهل الشهود والعيان وأهل الخدمة لا تنفك عنهم الحظوظ ، وأهل المحبة تصب عليهم الحظوظ ، وأهل الخدمة محبتهم مقسومة ، وأهل المحبة محبتهم مجموعة ؛ فلذلك دام أهل الخدمة فى خدمتهم ، ونفذ المحبون إلى شهود محبوبهم ، فلو ترك أهل الخدمة الحظوظ ، وحصروا محبتهم فى محبوب واحد لنفذوا إلى محبوبهم ، وشهدوه ببصر يقينهم ، واستراحوا من تعب خدمتهم ، ولكن حكمة الله أقامتهم فى خدمتهم وقد قال الإمام سلطان العارفين سيدى أبو يزيد البسطامى ﷺ : اِطلع الله على قلوب أوليائه ، فمنهم من لم يصلح لحمل المعرفة صرفاً فشغلهم بخدمته . وقال سيدى أبو العباس الدينورى ﷺ : (وهو من أئمة التصوف) إن لله عباداً لم يستصلحهم لمعرفته فشغلهم بخدمته ، وله عباد لم يستصلحهم لخدمته فأهلهم لمحبته . وقال سيدنا يحيى

بن معاذ ﷺ : الزاهد صيد الحق من الدنيا ، والعارف صيد الحق من الجنة ، أى مبيناً أن مقام العارف أرقى من مقام الزاهد ، فالزاهد اصطاده الله من الدنيا فقبضه وأدخله الجنة والعارف اصطاده الحق من الجنة فأدخله الحضرة ، أى اصطاده من جنة الحس وجعله فى جنة المعنى : وهى جنة المعارف . فأهل الخدمة تجلى لهم الحق بصفة الجلال والهيبة ، فصاروا مستوحشين من الخلق ، قلوبهم شاخصة لما يرد عليها من حضرة الحق ، قد نحلت أجسادهم واصفرت ألوانهم وخمصت بطونهم ، وبالشوق ذابت أكبادهم ، وقطعوا الدياجى بالبكاء والنحيب واستبدلوا الدنيا بالمجاهدة فى الدين ، ورغبوا فى جنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين . وأهل المحبة تجلى لهم الحق تعالى بصفة الجمال والمحبة وسكروا بخمر لذيذ القربة شغلهم المعبود عن أن يكونوا من العُبَّاد ، ولا من الزُّهَاد اشتغلوا بالظاهر والباطن وهو الله ، فحجبوا عن كل ظاهر وباطن ، زهدوا فى النعيم والإنعام ، واشتغلوا بمشاهدة الملك العلام . فالعارف هو دليل السالك .

علامة الشيخ المربى :

ولابد للسالك من أن يبحث عن عالم عارف بالله ، وعلامة العارف أنه لا يسهو إذا سهى الناس ، ولا يجهل جمال الله ولا جلال الله ، ولا أيام الله ، ولا أحكام الله ، ولا يقف مع عمله وأذكاره ، ولذا يقول الله لرسوله الكريم :

﴿ قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ ﴾

سورة الأنعام . فالاستسلام والرضا شرط فى السير، وشرط فى الإيمان وشرط فى الإسلام ، ومن أضر ما يكون على السالك الشيخ الجاهل الذى لا يعلم الشريعة ، ويُحْرَم الأخذ عنه ؛ لأنه يفتن المريد ، وبقوله : أنت منَّا نحن منك . ومن أخطر ما يكون على السالك الأمانى الكاذبة ووقوفه مع المنامات ورؤيته أذكاره ، كما قال سلطان العاشقين سيدنا عمر بن الفارض رضى الله عنه :

رضوا بالأمانى وابتلوا بحظوظهم
وخاضوا بحار الحب دعوى فما ابتلوا

العلوم التى يجب أن يحيط بها الشيخ المربى : وقال بعض الصالحين : إن للسالك على الشيخ أن يتعلم منه هذا العلم ، ثم

بين فقال : ثمانية علوم حق للسالك أن يتعلمها من العارف ، وما دام حقٌ للسالك أن يتعلمها من العارف فلابد من أن يكون العارف محيطاً بكل أسرار هذه العلوم .

فأولها : علم يوصلك إلى طهارة ظاهرك

ثانيها : علم يوصلك إلى طهارة باطنك

ثالثها : علم يسوق روحك إلى ربك

رابعها : علم ينزه سرك عما سواه

خامسها : علم يسوقك بسوط الخوف

سادسها : علم يدنيك من حضرة الشوق

سابعها : علم يخرجك من الملك والملكوت

ثامنها : علم يعرفك بعالم الجبروت

والعلوم مائة ألف علم وأربعة وعشرون ألفا (أى يعنى المقامات التى يصل إليها السالك) ، فإذا لم يتعلمها لا يسمى عارفا ، ولا يصلح لإعطاء الطريق ، وهو ضالٌ مُضِل وخائنٌ لله ولرسوله . وقد قال سيدى على المرصفى رضى الله عنه : علامة الشيخ أن يكون عليماً بأصول علم

الشريعة والطريقة وفروعهما ، بما لا يستغنى عنه المريد فى جميع أحواله عالماً بالله ، أمينا لله ، ناصحاً لخلق الله عارفاً بخواطر النفس المحمودة والمذمومة عارفاً بعللها وأمراضها عارفاً بغذائها وداوئها فى أوقاتها ، فيسلم المريد نفسه إليه ولا يبقى معه إرادة بحالٍ من الأحوال ، ويكون كالطفل الصغير مع والديه ، ويؤمن بأنه ليس فى عصره مثله ، لئلا يشغل خاطره بغيره ، فيصير من قبيل مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ، ولا يذرى أحداً من الأولياء فيحرم البركة ، ولا يكون التفاته بالكلية إلا إلى شيخه فقط . وقال الشيخ نجم الدين البكرى : الشيخ هو الذى سلك الطريق وعرف فيها المخاوف والمهالك فيرشد المريد وينبهه فى الأحيان بالمنازل والمقامات والأحوال ويشير عليه بما ينفعه ولا يضره ، وأن يكون الشيخ عارفاً بالخواطر الربانية والملكية ، والخواطر القلبية والنفسانية والشيطانية ، فلابد أن يكون عند الشيخ دين الأنبياء وتدبير الأطباء وسياسة الملوك ، غير طالب للرياسة . وقال سيدى أبو مدين رضى الله عنه : الشيخ من جمعك فى

حضوره ، وحُفِظَ فى مغيبه وشهدت لـه ذاتـك بالتقـديم وسرك بالاحترام والتعظيم وهذبك بأخلاقه وأدبك بإطراقـه وأنار باطنك بإشراقه . فالمشيخة : مرتبة شريفة ومنزلـة رفيعة ، والمتصف بها على الحقيقة يسمى شيخاً ، ومرشداً ومربيا ًوقدوةً ووارثاً وأستاذاً ومعلماً ، ومُفِيـدَاً . ولـيس للمشيخة حـد ، فالشـيخ دائمـاً وأبـداً طالـب الزيـادة لقوله تعـالى : ﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۗ وَلَا تَعۡجَلۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مِن قَبۡلِ أَن يُقۡضَىٰٓ إِلَيۡكَ وَحۡيُهُۥۖ وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا ﴿١١٤﴾ ﴾ سورة طـه . ثم نذكر المشايخ من حيث الاسم :

المشايخ من حيث الاسم :

فعددهم من حيث ذكر الاسم خمسة .

أولاً : شيخ أقعده شيخه ، لما اِستقلت عنده حالته ، وكملت لديه تربيته ، وتمكن مقامـه ، حُـلَّ فطامـه ، ورآه أهـلاً للاقتداء ، وإرشاد الخلق .

ثانياً : شيخ دخل تحت حكم شيخه ، وتأدب بآدابه وكمل له الاقتداء به ، ولم يبق إلا الإذن من الشيخ ، فعاجل الشـيخ

موت قبل أن يأذن له ، فأمر هذا فى منامـة ، أن يجلـس للخلق ويرشدهم ، فهذه عناية من الله ، أورثها له لاقتدائه بشيخه .

ثالثاً : وشيخاً أقعده شيخه لإلباس الخرقة وتتويب الناس فقط لعدم أهليته للاقتداء به ، فهو فى الحقيقة مسـند لا مفيـد ففعله ذلك بمعنى الرواية لا بمعنى الحقيقة ؛ لذلك يقـول : ألبستك هذه كما ألبسنيها شيخى فلان .

رابعاً : وشيخ أقعده وجوه النـاس والرؤسـاء والأغنيـاء بإقبالهم عليه وترادهم إليه لأمر ما عنه اشتهر ، ونفـذت كلمته وقبلت شفاعته ، وقال الناس قال الشيخ وقيل للشيخ فإن تغيرعليه الرؤساء والأغنياء جالت عنه الأشياء وهـذا موجود فى هذا الزمان يشهد به العيان .

خامساً : شيخ أقعده عامة الناس لما حصل لهم من حسـن سيمته ، ووصل لهم من جميل طريقتـه ، فـأقبلوا عليـه ولازموا خدمته واحترموه ، ونالوا بصحبته خيراً وحصـلوا بمعرفته أجراً فلا بأس به .

وقد قال بعض العارفين مبيناً الشيخ العارف :

وللشيخِ آيَاتٌ إِذَا لَمْ تَكُنْ لَهُ ... فَمَا هُوَ إِلاَّ فى لَيَالِى الْهَوى يَسْرِ
إِذَا لَمْ يَكُنْ عِلْمٌ لَدَيْهِ بِظَاهِرٍ ولا بَاطِنٍ ... فاضْرِبْ بِهِ لُجَّةَ الْبَحْرِ
وإِنْ كَانَ إِلا أَنَّهُ غَيْرُ جَامِعٍ ... لوصْفَيْهِمَا جَمْعَاً عَلَى أَكْمَلِ الأَمْرِ
فَأَقْرَبُ أَحْوالُ الْعَلِيلِ إِلى الْرَّدَى ... إِذَا لَمْ يَكُنْ مِنْهَا الْطَبِيبُ عَلَى خَبَرِ
وآيَتُهُ أَلا يَمِيلَ إِلَى هَوىً ... فَدُنْيَاهُ فَى طَّيِ وأُخْرَاهُ فى نَشْرِ
وَإِنْ كَانَ جَمَّاعُ لأَكْلِ طَعَامِهِ ... مُرِيداً فَلا تَصْحَبْهُ يَوماً مِنَ الْدَّهْرِ
ولا تَسْأَلَنْ عَنْهُ سوى ذِىبَصِيرَةٍ ... خَلْىٍ مِنَ الأَهْواءِ لَيْسَ بِمُغْتَرِ
وَمَنْ لَمْ يُوافِقْ شَيْخَهُ فى اِعْتِقَادِهِ ... يَظَلُ مِنْ الإِنْكَارِ فى لَهَبِ الْجَمْرِ
وَمَنْ يَعْتَرِضْ وَالْعِلْمُ عَنْهُ بِمَعْزِلٍ ... يَرىالنَّقْصَ فىعَيْنِ الْكَمَالِ ولا يدرى
ولا تَعْرِفاً فى حَضْرَةِ الْشَّيْخِ غَيْرَهُ ... ولا تَمْلأَ عَيْنَاً مِنَ الْنَّظَرِ الْشَذْرِ
فَذُوالْعَقْلِ لايَرْضَى سِواه وإِنْ نَأَى ... عَنِ الْحَقِ نَأْىَاللِيلِ عن واضح الفجرِ

ثم بعد ذلك نذكر آداب المريد مع شيخه

❁ آداب المريد مع شيخه ❁

الآداب التى تكون مع الشيخ فمرجعها إلى ثمانية أمور أربعة ظاهرة وأربعة باطنة .

فأما الظاهرة :

أولها : **إمتثال أمره وإن ظهر له خلافه واجتناب نهيه وإن كان فيه حتفه ، فخطأ الشيخ أحسن من صواب المريد .**

ثانيها : **السكينة والوقار فى الجلوس بين يديه ، فلا يضحك المريد بين يديه ، ولا يرفع صوته عليه ، ولا يتكلم حتى يستدعيه للكلام ، أو يفهم عنه بقرائن الأحوال ، كحال الذكر بخفض صوت ورفق ولين ، ولا يأكل معه ولا بين يديه ، و لا ينام معه أو قريباً منه ، وألا يعاشر من كان الشيخ يكرهه ، أو من طرده الشيخ عنه ، ويحب من أحبه الشيخ ، ويكره من يكرهه الشيخ ، وألا يتجسس على عبادة الشيخ أو أحواله ، وألا يفشى سر شيخه ولو نشر بالمنشار وألا يتضجر من أى خدمة ألزمه بها ، وأن يحسن الظن به وألا يدخل عليه خلوته إلا بإذنه ، ولا يزوره إلا على طهارة وإذا قال له شيخه وهو صائم فى النفل أفطر وجب عليه الفطر ، وعلى المريد أن يلتزم بالورد الذى رتبه وعينه له شيخه ، فإن مدد الشيخ فى ورده فمن تخلف عن الورد فقد حُرم المدد وهيهات أن يفلح فى الطريق .**

ثالثاً : **المبادرة إلى خدمته بقدر الإمكان بنفسه أو بماله أو بقوله ، فخدمة الرجال سبب الوصال لمولى الموالى فقد قال بعض الصالحين :**

إِنَّ الْخَدِيمَ ظَنُّهُ جَمِيـــل دَلَ عَلَى فَلاحِهِ دَلِيـــــل
أَهّلَ نَفْسَهُ لِخِدْمَةِ الرِّجَال لِكَى يَنَالَ مِنْ حَبِيبِهِ الْوصَال

ورابعها : دوام حضور مجلسه ، فإن لم يكن فتكرير الوصول إليه إذا بقدر تكرير الوصول إليه يقرب الوصول فمدد الشيخ جارى كالساقية أو القادوس ، فإذا غفل عن الساقية أو القادوس تخرم وانقطع الماء إلى غيره ، وأيضاً تكرير الوصول يدل على المحبة ، وبقدر شدة المحبة تكون الشربة ، ولذلك قال الشيخ المجذوب ﷺ : لا محبة إلا بأصول ولا وصول إلا غالى ولا شراب إلا مختوم ، ولا مقام إلا عالى . وقال سيدى على الجمل ﷺ : اِعلم أنه لا يُقَرِبُ طالب الوصول إلى الله تعالى شئٌ مثل جلوسه مع عارف بالله إن وجده ، فالجلوس مع العارف بالله أفضل من العزلة والعزلة أفضل من الجلوس مع العوام الغافلين ، والجلوس مع العامى الغافل ، أفضل من الجلوس مع الفقير الجاهل كما أن العارف بالله يجمع بين المريد ومولاه بنظرة أو بكلمة ، كذلك الفقير الجاهل بالله ربما أتلف المريد عن مولاه بنظرة أو بكلمة .

وأما الآداب الباطنية

فأولها : إعتقاد كماله ، وأنه أهل للشيوخة والتربية لجمعه بين شريعة وحقيقة ، وبين جذب وسلوك ، وأنه على قدم النبى صلى الله عليه وسلم .

ثانيها : تعظيمه ، وحفظ حرمته غائباً وحاضراً ، وتربية محبته فى قلبه وهو دليل صدقه ، وبقدر التصديق يكون التحقيق ، فمن لا صدق له لا سير له ، ولو بقى مع الشيخ ألف سنة .

ثالثها : إنعزاله عن عقله ورياسته وعلمه وعمله ، إلا ما يرد عليه من قبل الشيخ ، كما فعل سيدى أبا الحسن الشاذلى عند ملاقاته بشيخه سيدى ابن مشيش ، إغتسل من علمه وعمله قبل أن يصل إلى شيخه ، لينال الشراب الصافى من بحر مدده الوافى .

ورابعها : عدم الانتقال عنه إلى غيره ، فهذا من أقبح كل قبيح وأشنع كل شنيع ، وهو سبب تسويس بذرة الإرادة فتفسد شجرة الإرادة لفساد أصلها ، وهذا مع شيوخ التربية العارفين من أهل اليقين ، أما شيوخ أهل الظاهر فلا بأس أن ينتقل

منهم إلى أهل الباطن إن وجدهم ولا يحتاج إلى إذن . وقال سيدى أبو يزيد البسطامى ﷺ :

وَأَنْزِلِ الْشَيْخَ فىأَعْلَــىَ مَنَازِلِــهِ وَاجْعَلْهُ قِبْلَةَ تَعْظِــيمٍ وَتَنزِيــه
وَلَسْتَ تَفْضُلَ هَذَا إنْ ظَنَنْتَ بِــهِ نَقْصاً وَلا خَلَــلاً فِيمَــا يُعَانِيــه
وَاتْرُكْ مُرَادَكَ وَاسْتَسْلِمْ لَهُ أَبَــداً وَكُنْ كَمَيتٍ مُخَلى فــى أَيَادَيــه
أَعْدِم وُجُودَكَ وَلا تَشْهَدْ لَهُ أَثَــراً وَدَعْهُ يَهْدِمْهُ طَوْراً ثُــمَّ يَبْنِيــه

ثم بعد ذلك نذكر آداب المريد مع إخوانه الاخوان فى الطريــق

آداب المريد مع اخوانه : أما الآداب مع الإخوان فأربعة

أولها : حفظ حرمتهم غائبين أو حاضرين ، فــلا يغتــاب أحداً ولا ينقص أحداً ، فلا يقول أصحاب ســيدى فــلان كُمَّال ، وأصحاب سيدى فلا نُقَّــص ، أو فــلان عــارف أو فلان ليس بعارف ، أوفلان وضعيف ، وفــلان قــوى أو غير ذلك ، فهذه عين الغيبة ، وهى حرام بالإجمــاع لا سيما فى حق الأولياء ، فإن لحــومهم ســموم قاتلــة فليحذر المريد جهده من هذه الخصلة الذميمــة ، وليفــر ممن هذا طبعه فراره من الأسد ، فالأولياء كالأنبيــاء فمــن فرَّق بينهم ، حُرِمَ خيرهم وكفر نعمتهم ، فقد قــال بعــض

الصوفية : من كسره الأولياء لا يجبره الشيخ ، ومن كسره الشيخ يجبره الأولياء ؛ لأن إذاية ولى واحد لــيس كإذايــة أولياء كثيرة ، ومن كسره الشيخ يشفع فيه الإخوان فيُجبر قلب الشيخ .

ثانيها : نصيحتهم لتعليم جــاهلهم ، وإرشــاد ضــالهم وتقوية ضعيفهم ، ومخاطبة الناس بقدر ما يفهمون .

ثالثها : التواضع لهم ، والاستنصاف من نفسك معهــم وخدمتهم بقدر الإمكان ، ودفع ما يشغلهم عن ذكــر الله فذلك جهاد وبر .

رابعها : شــهود الصــفا فــيهم ، واعتقــاد كمــالهم فلا ينتقص أحداً ، ولو رأى منهم ما يوجب الــنقص فــى الظاهر فالمؤمن يلتمس المعاذير ، فأهل الصفا لا يشــهدون إلا الصفا ، وأهل الكمال لا يشــهدون إلا الكمــال ، وأهــل النقص لا يشهدون إلا النقص ، وللمحسن إحســانه وعلــى المسئ إساءته .فقد قال سيدنا رسول الله ﷺ : " خصــلتان لــيس فوقهما شئ من الخير حسن الظن بالله وحسن الظن بعباد الله وخصلتان ليس فوقهما شئ من الشر سوء الظن بالله وسوء

الظن بعباد الله " . فهذه جملة آداب يجب على المريد مراعاتها والتحفظ عليها سواءٌ كان طالباً أو سائراً أو واصلاً . فالتصوف كله آداب ، لكل وقت آداب ، ولكل حال آداب ، ولكل مقام آداب ، فمن لزم الأدب بلغ مبلغ الرجال ومن حُرم الأدب فهو بعيد من حيث يظن القرب ، مردود من حيث يظن القبول . وقال بعض الصوفية : الزم الأدب ظاهراً وباطناً ، فما أساء أحد الأدب ظاهراً إلا عوقب فى الظاهر وما أساء أحد الأدب باطناً إلا عوقب فى الباطن . وقال : والأدب الظاهر للعيان دلالة الباطن فى الإنسان ، وهو أيضاً للفقير سند وهو للغنى زينة وسؤددُ . ثم بعد ذلك نبين أصول الطريق إلى الله .

۞ أصول الطريق إلى اللّه ۞

إن سلوك الطريق إلى الله ليس بالسهل ، إنه من أعظم الأمانات ، فالحركة فى طريق الله لها دقتها وميزانها الدقيق لأن الغاية هو الله . فالغاية عظيمة والوسيلة فى الوصول إلى الغاية مدد من الغاية (أى مدد من الله) ، وعين الله لا تنام فهو الرقيب وهو الحسيب ؛ لذلك لم يتركنا الحق فى

مجال إلا وبينه موضحاً على لسان حبيبه ومصطفاه ، فقد ورد فى السنة عن الحبيب المعصوم صلى الله عليه وسلم أنه قال : " الشريعة أقوالى والطريقة أفعالى ، والحقيقة أحوالى والتقوى رأس مالى ، والصدق دأبى ، والصبر طبيبى والزهد شعارى والامتثال دثارى ولى ساعة لا يسعنى إلا ربى " صدق رسول صلى الله عليه وسلم .

أصول الطريق عند سيدى محيى الدين بن عربى

ومن كلام سيدى محى الدين بن العربى ﷺ :

إن أصول الطريق خمسة أشياء :

أولاً : تقوى الله فى السر والعلانية وتحقيق التقوى بالرجوع والاستغفار .

ثانياً : اِتباع السنة فى الأقوال والأفعال وتحقيق اِتباع السنة بالتحفظ وحسن الخلق .

ثالثاً : الإعراض عن الخلق فى الإقبال والإدبار وتحقيق ذلك بالصبر والتوكل .

رابعاً : الرضا عن الله فى القليل والكثير وتحقيق الرضا عن الله بالقناعة والتفويض

خامساً : الرجوع إلى الله فى السراء والضراء وتحقيق الرجوع إلى الله بالحمد والشكر فى السراء والالتجاء إليه فى الضراء .

وأصول ذلك وقوامها خمسة :

(يعنى أصول الخمسة دول وقوامهم خمسة)

أولاً : علو الهمة فمن علت همته ارتفعت مرتبته

ثانياً : حفظ الحرمة فمن حفظ حرمة الله حفظ الله حرمته

ثالثاً : حسن الخدمة ؛ فمن حسنت خدمته وجبت كرامته

رابعاً : نفوذ العزمة ، فمن أنفذ عزمته دامت هدايته

خامساً : تعظيم النعمة ؛ فمن عظمت النعمة فى عينه شكرها ومن شكرهااستوجبت المزيد منها .

قال تعالى :﴿وَإِذ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ۝٧﴾سورة إبراهيم . وقال سيدى أبو الحسن الشاذلى رضي الله عنه : لا تنقل قدميك إلا حيث ترجو ثواب الله ، ولا تجلس إلا حيث تأمن غالباً من المعصية ، ولا تصاحب إلا من تستعين به على طاعة الله

تعالى ، ولا تصطفى لنفسك إلا من تزداد به يقينا . واِعلم أن من دلك على الدنيا فقد غشك ، ومن دلك على العمل فقد أتعبك ، ومن دلك على الله فقد نصحك .

علامة المتصنعيين لطريق الصوفية :

ثم قال أيضاً سيدى أبو الحسن الشاذلى: فى حق الذين جعلوا من الدين دنيا ، وانتسبوا إلى طريق القوم (إلى طريق الصوفية) دون شروطه فلم يفلحوا قال :

فقراء هذا الوقت قد ابتلوا بخمسة أشياء

١ــ إيثار الجهل على العلم . ٢ــ الاغترار بكل ناعق .

٣ــ التهاون فى الأمور . ٤ــ التعززبالطريقةدون العمل

٥ــ اِستعجال الفتح دون شروطه .

لذلك ابتلوا بخمسة أشياء

١- إيثارالبدعة على السنة ٢-اتباع أهل الغروردون أهل الحق

٣ــ العمل بالهوى ٤- الإهتمام بالسفاسف دون الحقائق

٥- ظهور الدعاوى دون الصدق .

فظهر فيهم بسبب ذلك خمسة أشياء

١- الوسوسة فى العبادات ٢ - الإسترسال مع العادات

٣- السمع والإجتماع فى عموم الأوقات .

٤- اِستمالة بحسب الإمكان .

٥- صحبة أبناء الدنيا حتى النساء والصبيان .

فالوسوسة : بدعة أصلها الجهل بالسنة أو خبل فى العقل والتوجه لإقبال الخلق إعراض عن الحق . ومن أصول الطريق إلى الله ، أن يكون المريد صادقاً مع نفسه ، ومع ربه ومع الناس ، فلا يدعى مع الله حالاً كذباً فيحبط كل عمله ، ويسلب منه العطاء .

علامة المدعيين للأحوا ل عند الإمام الجنيد :

لذلك قال الإمام الجُنيد رضى الله عنه : كل من ادعى مع الله حالاً ، ثم ظهرت عليه خمسة أشياء فهو كذاب .

أولها : إرسال الجوارح فى معاصى الله .

ثانيها : التصنع فى طاعة الله .

ثالثهاً : الطمع فى حطام خلق الله .

رابعها : الوقيعة فى أهل الله .

خامسها : عدم احترام المسلمين على الوجه الذى أمر به الله وقل أن يختم بالإسلام لمن هذا حاله نسأل الله العفو والعافية.

ثم ننتقل إلى آداب الطريق وبيان علل النفس والقلب والروح وعلاجها .

❁ آداب الطريق ❁

نقول وبالله التوفيق : إن لكل سالك طريق إشارات وبدايات يبدأ منها وغاية يقصدها ، فعلى قدر تعلقه بالغاية على قدر صدقه فى سيره إليها . والطريق إلى الله محفوف بالمخاطر والمكاره إلا من عصمه ربه ، إذاً لابد لسالك الطريق من مرشد وطبيب وحسن رفقة ؛ لأنه يبحث عن أثر المقربين الأخيار ليلحق بركبهم ، فعليه أن يتحلى بسجاياهم من صبر وجلد وحسن خلق وصدق فى البيعة ، فعلى المريد أن يعلم أن طريق السادة العارفين من أهل الحق ، هو الطريق المبين ، طريق غيب ليس محسوس ، وسلوك بالقلوب لأنه من الغَيوب ، ويعلم أن لا مطمع لعبد فيم حجب عن العامة من أسرار الغيب حتى تموت نفسه ، ويخرق عوائد العامة فحين إذن تُخرق له العوائد ، وتظهر له الفوائد ، وأن يكون المريد تشوقه إلى تطهر نفسه من العيوب أكثر من تشوقه إلى المقامات ، فإنه لا يصل إلى المقام إلا بعد شفائه من

العلل ، وتطهيره من الذلل ، كما قال سيدى ابن عطاء الله فى حكمه : " تشوقك إلى ما بطن فيك من العيوب خير من تشوقك إلى ما حُجب عنك من الغَيوب " فتشوق المريد إلى ما بطن فيه من عيوبٍ كالحسد ، والكبر ، وحب الجاه والرياسة ، وهم الرزق ، وخوف النقم ، وطلب الخصوصية وغير ذلك من العيوب ، والبحث عنها ، والسعى فى التخلص منها أفضل من تشوقك إلى ما حُجب عنك من الغيوب ؛ لأن تشوقك إلى ما بطن عنك من الغيوب سبب فى حياة قلبك ، وحياة قلبك سبب فى الحياة الدائمة والنعيم المقيم ، فلابد من أن تصل إلى مقام الكمال الذى يليق بحمل أمانة خاصة بالأقدار وذلك بعد معرفة العلل ودوائها والشفاء منها .

أنواع العيوب التى تجب معرفتها والشفاء منها :

واِعلم أيها المريد أن العيوب ثلاثة : عيوب النفس وعيوب القلب ، وعيوب الروح . نذكر أولاً عيوب النفس

أولاً : عيوب النفس : فعيوب النفس تعلقها بالشهوات الجسمانية كطيب المآكل والمشارب والملابس والمراكب والمساكن والمناكح وغير ذلك.

ثانياً عيوب القلب :

فعيوب القلب تعلقه بالشهوات القلبية كحب الجاه والرياسة والعز والكبر والحسد والحقد ، وحب المنزلة والخصوصية .

ثالثاً عيوب الروح :

عيوب الروح تعلقها بالحظوظ الباطنية كطلب الكرامات والمقامات والقصور والحور وغير ذلك .

فتشوق المريد إلى شئ من ذلك قادح فى عبوديته مانع له من القيام بحقوق ربوبيته ، فاشتغاله بالبحث عن عيوبه النفسانية والقلبية والروحانية ، وسعيه فى التطهير من جميع ذلك أولى من تشوقه إلى ما حُجب عنه من علم الغَيوب ؛ فإن ذلك هو الحجاب بينه وبين سر الحقيقة ، وفى ذلك يبين سيدى ابن عطاء الله : أن التخلية ثمرتها التحلية (أى التخلى عن التشوق ثمرته التحلى بالمعرفة والتذوق) فقال فى حكمه : " الحق ليس بمحجوب عنك إنما المحجوب أنت عن النظر إليه ، إذ لو حجبه شئ لستره ما حجبه ولو كان له ساتر لكان لوجوده حاصر ، وكل حاصر لشئ فهو له قاهر ، وهو القاهر فوق عباده) ، أى أن الحق سبحانه

مُحال فى حقه الحجاب فلا يحجبه شئ ، ظهر لكل شئ وقبل كل شئ وبعد كل شئ ، فلا ظاهر معه ولا موجود سواه فهو ليس بمحجوب عنك ، وإنما أنت المحجوب عن النظر إليه لاعتقادك الغيرية ، وتعلق قلبك بالأمور الحسية دون المعنوية ، فلو تعلق قلبك بطلب المولى وأعرضت بالكلية عن رؤية السوى لنظرت إلى نور الحق ساطعاً فى مظاهر الأكوان ، وصار ما كان محجوب عنك بالوهم يُرى بالشهود والعيان ، فالناس كلهم يشاهدون ولا يعرفون ، وكلهم فى البحر ولا يشعرون ، فما حجب الناس عن الله إلا الوهم والوهم : أمر عدمى لا حقيقة له ، ولما كان حجاب الروح عن المعرفة أمر وهمياً عدمياً لا حقيقة له ، وهو موقعها بأوصاف البشرية ، فلو صحت لعرفت وقد أشار سيدى ابن عطاء بحكمته فقال : " **أخرج من أوصاف بشريتك عن كل وصف مناقض لعبوديتك، لتكون لنداء الحق مُجيباً ومن حضرته قريباً** " . فبين أن أوصاف البشرية هى الأخلاق التى تناقض خلوص العبودية ومرجعها إلى أمور :

الأول : تعلق القلب بأخلاق البهائم وهى شهوة البطن والفرج

وما يتبعهما من حب الدنيا وشهواتها الفانية ، فقال تعالى : ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾ ﴾ سورة آل عمران .

الثانى : تخلقه بأخلاق الشياطين كالكبر ، والحسد ، والحقد والغضب ، والقلق ، والبطر ، وحب الجاه ، والرياسة والمدح ، والقسوة ، والفظاظة ، والغلظة ، وتعظيم الأغنياء واِحتقار الفقراء ، وخوف الفقر ، وهم الرزق ، والبخل والشح ، والرياء ، والعُجب ، وغير ذلك مما لا حصر له . فإذا خرج المريد من أخلاق البهائم والشياطين ، وتخلق بأخلاق الروحانيين كالزهد ، والورع ، والقناعة ، والعفة والغنى بالله ، والأنس به ، إذا خرج المريد من أخلاق الشياطين تخلق بأخلاق المؤمنين أو أخلاق الملائكة كالتواضع ، وسلامة الصدور ، والحلم ، والسكينة والرزانة والطمأنينة ، والسهولة ، والليونة ، والاكتفاء بعلم الله

والشفقة ، والرحمة ، وتعظيم الفقراء ، والمساكين ، والكرم والسخاء ، والجود ، والإخلاص ، والصدق ، والمراقبة والمشاهدة ، والمعرفة ، فإذا تخلق المريد بهذه الأخلاق وتحقق بها ذوقاً بعد أن تخلص من أضدادها ، كان عبداً خالصاً لمولاه حراً من سواه ، وكان لندائه مجيباً ومن حضرته قريباً ، ومن أجل تحقيق ذلك فإنه على المريد أن يعرف الدواء .

دواء علل النفس والقلب والروح :

فالدواء فى ستة : الجوع ، السهر ، الصمت ، العزلة الخلوة ، كثرة الذكر ، والاستغفار ، والصلاة على النبى المختار صلى الله عليه وسلم . واِعلم أيها المريد الطائع أن اِفتقارك إلى علم الله وعفوه فى حال الطاعة أعظم من افتقارك إليه فى حال المعصية ؛ لأن الطاعة بساط العز والرفعة وللنفس فيها شهوة ومتعة ؛ ولأن الناس يلحظون صاحب الطاعة الظاهرة ، وينظرون إليه بعين التعظيم ويبادرون إليه بالخدمة والتكريم ، وكل ما عُظِّم فى عين الخلق ، سقط من عين الحق ، إن كان يفرح لذلك ويقنع به

دون الملك الحق ، وذلك بخلاف المعصية ؛ فإن المعصية بساط الذل والانكسار ، ومحل السقوط والاحتقار ، وكل ما سقط من عين الخلق عَظُمَ فى عين الحق ، لذلك فالعبد فى حالة الطاعة لله أحوج إلى حلمه وعفوه منه فى حال معصيته ، لأن الطاعة التى ينشأ عنها العز والاستكبار أقبح من المعصية التى تورث الذل والافتقار ، بل فى الحقيقة ليست بطاعة ؛ لأن الطاعة التى توجب البعد ليست بطاعة والمعصية التى توجب القرب ليست بمعصية ، وفى ذلك يقول سيدى ابن عطاء : " **أنت إلى حلمه إذا أطعته أحوج منك إليه إذا عصيته** " وفى الحديث يقول الله تبارك وتعالى : " أنا عند المنكسرة قلوبهم من أجلى . " ويقول سيدى أبا اليزيد البسطامى ﷺ : " توبة المعصية واحدة وتوبة الطاعة ألف توبة ،فقد كان الرسول الكريم ﷺ إذا صلى استغفر ثلاثاً تعليماً للأمة فى شهود التقصير ، وإلا فلا اِستغفار من طاعة ، ولا ذنب على المختار ﷺ . فاعلم أيها المريد السالك المطيع : أن المقصود من الطاعة هو الخضوع والخشوع والانقياد والتذلل والانكسار ، فإذا خلت

الطاعة من هذا المعانى واتصفت بأضدادها ، فقد فقدت الثمرة ؛ فثمرة الطاعة هى الذل والانكسار ، وثمرة المعصية هى القسوة والاستكبار ، فإذا انقلبت الثمرات انقلبت الحقائق وصارت الطاعة معصية والمعصية طاعة ؛ ولذلك قال ابن عطاء ﷺ : " **معصية أورثت ذلاً وافتقاراً خير من طاعة أورثت عزاً واستكباراً** " وفى الحديث " رب ذنب أدخل صاحبه الجنة قالوا : وكيف يا رسول الله ؟ قال : لا يزال تائباً فاراً منه خائفاً من ربه حتى يموت فيدخله الجنة " . وقال سيدى أبا العباس المرسى ﷺ : " كل إساءة أدب تثمر أدب فليست بإساءة أدب " ، وكان ﷺ يكرم الناس على قدر رتبتهم عند الله حتى أنه إذا دخل عليه مطيع لا يبالى به وربما دخل عليه عاص فأكرمه ؛ لأن ذلك الطائع أتى وهو متكبر بعمله وناظر لفعله ، وذلك العاصى دخل بكسرة معصية وذلته ومخالفته " وقال سيدى أبا يزيد البسطامى ﷺ : " نوديت فى سرى خزائنى مملوءة بالخدمة فإن أردتنا فعليك بالذلة والافتقار " . وقال سيدنا رسول الله ﷺ : " لو

لم تذنبوا لخشيت عليكم ما هو أشد من ذلك العُجب " صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقال عليه الصلاة والسلام : " لولا أن الذنب خير من العُجب ما خلى الله بين مؤمن وذنب أبداً " . وقال سيدى أبو مدين رضى الله عنه " إنكسار العاصى خير من صولة المطيع وقال أيضاً معصية بالله خير من ألف طاعة بالنفس ومعنى ذلك أن العبد إذا أُجريت عليه ذَلة لم يقصدها بقلبه ، وإنما جرته القدرة إليها رغماً على أنفه ثم ندم وانكسر فهى فى حقه خير من ألف طاعة يشهد فيها نفسه ، ويتبجح بها على عباد الله وذلك لمعصية الولى فى دائرة الأسباب ولكن مددها علم من الحقيقة وُتجرى عليه بقلم القدرة كما كانت مع إمامنا الخضر ونبى الله موسى عليهما السلام وفى ذلك يقول سلطان العاشقين سيدى عمر بن الفارض رضى الله عنه :

أسلمتُ نفسى حيثُ أسلمنىالهوى ... وما لىّ فى حُكمِ الحبيبِ تَنَـازُعُ
فطوراً ترانى فى المساجدِ راكـعاً ... وإنىّ طوراً فى الكَنَـائسِ رَاتِـعٌ
أرانىَّ كالآلاتِ وهو مُحَركـــى ... أنا قَلَمٌ والاقْتِـدَارُ أَصَابِـعٌ
ولَسْتُ بِجَبْرِىّ ولَكْنْ مُشَاهِـدٌ ... فِعال مُريدٍ ما لَهُ مَـنْ يُدَافِـعُ
فآونةً يَقْضِى عَلَىَّ بِطَاعَـةٍ ... وَحِيناً بِمَا عَنْهُ نَهَتْنَا الشَّـرَائِعُ
لِذَاكَ تَرَانِى كُنْتُ أَتْـرُكُ أَمْـرَهُ ... وَآتِى الْذى أَنْهَاه والجَفْنُ دَامِـعُ
ولِىْ نُكْتَةٌ غَرَّاءَ سَـوْفَ أَقُولُهَـا ... وحُقَّ لَهَا أَنْ تَرْعَوِيْهَا الْمَسَـامِعُ
هى الْفَرْقُ مَا بَيْنَ الْوَلِىِّ وَفَاسِـقٍ ... تَنَبْهْ لَهَا فَالأَمْرُ فِيهِ فَظَائِـعُ
وما هو إلا أَنَّهُ قَبْـلَ وَقْعِـهِ ... يُخَبِّر قَلْبِى بِالْذى هُوَ وَاقِـعُ
فآتى الذى يَقْضِـيهِ فِـىَّ مُـرَادُه ... وعَيْنِى لَهُ قَبْلَ انْفِعَالٍ تُطَالِـعُ
فَكُنْتُ أَرَىَ فِيهَا الإِرَادَةُ قَبْلَمَـا ... أَرَى الْفعْلَ مِنْى والأَسِيرُ مُطَـاوِعُ
فآتى الذى تَهْوَاهُ نَفْسِى وَمُهْجَتِـى ... لِذلكَ فِى نَارٍ حَوَتْها الأَضَالِـعُ
إذا كُنْتُ فى حُكْمِ الْشَّرِيعَةِ عَاصِـياً ... فَإِنىَّ فِى عِلْمِ الْحَقِيقَةِ طَائِـعُ

فأشار إلى الفرق بين معصية الولى ، ومعصية الفاسق وذلك فى ثلاثة أوجه : فالولى لا يقصدها ، ولا يفرح بها ولا يصر عليها ، والفاسق بالعكس من ذلك فى الجميع فمعصية الولى حدها الظاهر ؛ ولذلك قال ابن عطاء : " ليت شعرى لو قيل له أتتعلق همة العارف بغير الله تعالى ؟ لقال لا . " ، وقيل للجُنيد : أيزنى العارف ؟ فقال : وكان أمر الله

قدراً مقدورا . فاعلم أيها المريد الصادق أنه لا تصح العبادات بين يدى الله إلا إذا نسيت نفسك ، وتعلق القلب والقالب بالله وحده ، ولا ترى لنفسك بين يدى الله أثراً من عز أو جاه أو مقام ، ولا ترى فى طاعة الله إستنكاف بين يدى الخلق ، فبذلك تكون قد عظمت نفسك على ربك ، وهذه قصة الرجل الذى كان مع سيدى أبا اليزيد البسطامى : بقى معه ثلاثين سنة فكان لا ينقطع عن مجلسه ، ولا يفارقه فقال له يوماً يا أستاذى : أنا منذ ثلاثين سنة أصوم النهار وأقوم الليل وقد تركت الشهوات ، ولست أجد فى قلبى شيئاً من هذا الذى تذكر ، وأنا أؤمن بكل ما تقول وأصدقه . فقال له أبو يزيد ﷺ : " لو صليت ثلثمائة سنة وأنت على ما أراك عليه لا تجد منه ذرة . قال : فلما يا أستاذ ؟! قال : لأنك محجوب بنفسك . قال : أفلهذا دواء حتى ينكشف هذا الحجاب ؟ قال : نعم ولكنك لا تقبل ولا تعمل . قال : بلى أقبل وأعمل ما تقول ، قال أبو يزيد : إذهب الساعة إلى الحجام (يعنىإلى الحلاق) واِحلق رأسك بالموس ولحيتك وانزع هذا اللباس الفاخر (يعنى اللباس الفاخر اللى إنت

لبسه اِخلعه) وإئتذر بعباءة (يعنى اِلبس من أرخص الثياب) وعلق فى عنقك مخلاة واِملأها جوزاً (يعنى اِملأها جوز ولوز) واِجمع حولك صبيان ، وقل بأعلى صوتك يا صبيان من يصفعنى صفعة أعطيته جوزة ، واِدخل سوقك الذى تعظم فيه (يعنى روح الوظيفة بتاعتك ــ لأنه كان صاحب منصب ــ وأنت على هذا الحال) قال له ادخل سوقك وأنت على هذا الحال حتى ينظر إليه كل من عرفك فقال يا أبا يزيد : سبحان الله ! أيقال لمثلى هذا وتحسب أنى أفعله ؟ ! فقال له سيدنا أبا اليزيد : قولك سبحان الله شرك بالله ، فقال له : وكيف ؟ ! فقال أبو يزيد : لأنك عظمت نفسك فسبحتها ، قال يا أبا يزيد : لست أقدر على هذا ولا أفعله ، ولكن دلنى على غير هذا حتى أفعله . فقال له أبو يزيد : اِبدأ بهذا قبل كل شئ حتى يسقط جاهك ، وتذل نفسك ثم بعد ذلك أعرفك ما يصح لك ، فقال : لا أطيق هذا ، قال : إنك قلت إنك تقبل وتعمل ، وأنا أعلم أن لا مطمع لعبدٍ فيما حُجب عن العامة من أسرار الغيب حتى تموت نفسه ويخرق عوائد العامة فحين إذٍ تُخرق له العوائد وتظهر له الفوائد

دواء العلل والعيوب

ثم نبين العزلة مع الفكرة ، فمن الأدوية التى ذكرنها فى آداب الطريق العزلة .

١ـ العزلة :

فإنه لما كان التخلص من دمائن الرياء ، ومخادع النفوس لا يكون فى الغالب إلا بالفكرة ، ولا تتم الفكرة إلا بالعزلة لذلك قال سيدى ابن عطاء ﷺ : " ما نفع القلب شئ مثل عزلة يدخل بها ميدان الفكرة ؛ فإن القلب هو القوة المستمدة لقبول العلم "

مفهوم العزلة : **والعزلة هى انفراد القلب بالله**

مفهوم الفكرة : **والفكرة هى سير القلب إلى حضرة الرب**

وهى على قسمين :

١ــ فكرة تصديق وإيمان ٢ــ وفكرة شهود وعيان

فلا شئ أنفع للقلب من عزلة مصحوبة بفكرة ، لأن العزلة كالحمية والفكرة كالدواء ؛ فلا ينفع الدواء من غير حمية ولا فائدة فى الحمية من غير دواء (يعنى لا خير فى عزلة لا فكرة فيها ، ولا نهوض لفكرة لا عزلة معها) إذاً

المقصود من العزلة هو تفرغ القلب ، والمقصود من تفرغ القلب : تمكن العلم بالله فيه باشتغال الفكرة ، فهذا دواؤه وغاية صحته وسلامته ، وهو الذى سماه الله القلب السليم بقوله : ﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ ﴾سورة الشعراء . وقد قال العلماء : إن القلب كالمعدة إذا قويت عليها الأخلاط مرضت ، ولا ينفعها إلا الحمية وهى قلة موادها ومنعها من كثرة الأخلاط . وفى الحديث : " المعدة بيت الداء والحمية رأس الدواء " كذلك القلب إذا قويت عليه الخواطر واِستحوذ عليه الحس مرض وربما مات ، ولا ينفعه إلا الحمية منها ، والفرار من مواطنها : وهى الخلطة بأهل الغفلة ؛ فإذا اِعتزل عن الناس واِستعمل الفكرة نجح دواؤه واِستقام القلب ، وإلا بقى سقيما حتى يلقى الله بقلب سقيم بالشك والخواطر الرديئة .

ثمار العزلة : فقد قال سيدى أبا الحسن الشاذلى ﷺ : ثمار العزلة الظفْر بمواهب المنة وهى أربعة :

١ـ كشف الغطاء ٢ـ تنزل الرحمة

٣ـ تحقق المحبة ٤ـ لسان الصدق فى الكلمة

قال تعالى : ﴿فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾ ﴾ سورة مريم . ..

العزلة مع الصمت والجوع والسهر :

فنذكر العزلة مع الصمت والجوع والسهر : إن العزلة لأهل البداية تربية وعلاج ، ودواء من مرض بالقلوب والنفوس فأهل البداية مع مقام الشريعة فناؤهم فى الأفعال ، أما العزلة لأهل النهاية فعزلة مصحوبة معهم ولو كانوا وسط الخلق ؛ لأنهم رضى الله عنهم أقوياء تستوى عندهم الخلوة والخلطة ؛ فإنهم فى مقام الإحسان يأخذون النصيب من كل شئ ، ولا يأخذ النصيب منهم شيئاً . فإذا أضاف المريد إلى العزلة الصمت والجوع والسهر فقد كملت ولايته للحق وظهرت عنايته وأشرقت عليه الأنوار ، واِنمحت من مرآة قلبه صور الأغيار ، فقد قال ابن عطاء ﷺ : " **كيف يُشْرِقُ قلبٌ صور الأكوان منطبعة فى مرْآهُ** " وقد جعل الله قلب الإنسان كالمرآة الثقيلة ينطبع فيها كل ما يقابلها ، وليس

لها إلا وجةٌ واحد ، فإذا أراد الله عنايته تُعلَقُ فكرته بأنوار ملكوته وأسرار جبروته ، ولم يُعلَقْ قلبه بمحبة شئ من الأكوان الظلمانية والخيالات الوهمية ؛ فانطبعت فى مرآة قلبه أنوار الإيمان والإحسان ، وأشرقت فيها أقمار التوحيد وشموس العرفان ، فقد قال الحبيب المصطفى فى حديثه الشريف:" لكل شئ مَصْقَلَة ، وَمَصْقَلَةُ القلوب ذكر الله " .

٢ـ الصمت :

وفى الصمت سلامة ؛ لأن اللسان مجلب الآفات ، فقد قال الرسول الكريم ﷺ لمعاذ بن جبل : " يا معاذ أنت سالمٌ ما سكت ، وإذا تكلمت فلك أو عليك ، يا معاذ أمسك عليك لسانك ، وليسْعك بيتك ، وابك على خطيئتك " وقال صلى الله عليه وسلم لأبى ذر : " يا أبا ذر عليك بالصمت فإنه مطردة للشيطان وعون لك على أمر دينك ".

٣ـ الجوع :

وفى الجوع فقد قال رسول الله ﷺ : " إذا خلى جوف الإنسان من الطعام والشراب ملأ الله جوفه نوراً " وقال : " إن الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم ألا فضيقوا مجاريه

بالجوع والعطش " .وفى الحديث القدسى : لم يلتحف العباد بلحافٍ أبلغ عندى من قلة الطُعم ." وقال صلى الله عليه وسلم : " المؤمن يأكل فى معىٍ واحد والكافر يأكل فى سبعة أمعاء " وقال صلى الله عليه وسلم : " ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطنه ، بحسب ابن آدم لقيمات يقمن بها صلبه ، فإذا كان لا محالة فثلثٌ لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه " . وقال لقمان لابنه وهو يعظه : " يا بنى إذا امتلأت المعدة نامت الفكرة ، وخرصت الحكمة وقعدت الأعضاء عن العبادة " . هذا حال الشبع أما حال الإقلال من الطعام : " فالقلب يصفوا والقريحة تتقد والبصيرة تنفذ ، والشهوة مغلوبة ، والنفس مقهورة على أمرها .

٤ـ السهر :

وفى السهر فقد مدح الله عبيداً بقوله تعالى:﴿وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمۡ سُجَّدٗا وَقِيَٰمٗا ﴾سورة الفرقان . وقال تعالى: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ يَدۡعُونَ رَبَّهُمۡ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ سورة السجدة ، واعلم أن فى

السهر تربية للنفس حيث تكبح فيها شهوة النوم التى تؤدى للغفلة ، لذلك جعل الله وقت الخواص من عباده وقت السحر فقال تعالى :﴿ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلْقَٰنِتِينَ ٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾ ﴾ سورة آل عمران .

٥ـ الخلـــــوة :

ثم نتحدث عن الخلوة : الخلوة للعارف جلـوة حلـوة ، أى أنها خلوة حبيب بمحبوب ، لتلقـى الإلهامـات النورانيـة وكشف الأسرار الملكوتية ؛ فإن ذلك فـى عـرف العـوام والخواص متفق عليه ، فإن أى إنسـان يريـد أن يختلـى بمحبوبه بعيداً عن المجالس العامة ، والاختلاط يكون الصفو والصفاء ، والسر والأسرار ، وتلقـى العـارف المواهـب الربانية تكون خيراً للناس جميعاً ؛ فإنه خليفـة لله تحلـى بصفات الله أمين على كل خلق الله . الخلوة للمبتدئ تربيـة وارتحال من حال إلى حال ، ومن رؤية الحس إلى المعنـى ومن علم اليقين إلى عين اليقين ، ومن الجهل إلى المعرفة ومن المُلك إلى الملكوت ؛ ولذلك كان سيدى أبو مـدين ﷺ إذا ذهب إليه مريد صادق فى بيعته يأمره بدخول الخلوة لمدة عام

فى ساحة الشيخ للتربية ، فيخرج بعد العام ارتقى مـن حـال الحس إلى حال المعنى ، ومن رؤية الكون إلى حقيقـة الكـون ويكون من أصحاب الأحوال الذين يحملون أمانة فـى الكـون فالخلوة مدرسة وجامعة للتربية الراقية وجنـة للعـارفين ، إذ يلتمسون فيها الأنس بمحبوبهم وخالقهم .

فوائد الخلوة : إن فوائد الخلوة عشرة فوائد :

الفائـــدة الأولى : الســـلامة مـــن آفـــات اللســـان

فإن كان وحده لا يجد معه من يتكلم ، وقد قال عليه الصلاة والسلام : رحم الله عبداً سكت فسلم ، أو تكلم فغنم .وقال بعض الصالحين : إذا رأيت الفقيـر يـؤثر الخلـوة علـى الاجتماع والصمت على الكلام والصيام على الشبع فاعلم أن حبجه قد عُسِّل (يعنى قد امتلأ نوراً وخيراً) وإذا رأيته يؤثر الخلطة والكلام و الشبع على ضـدها فـاعلم أن حبجـه خاوى . ففى كثرة الكلام قلة الورع وعـدم التقـوى وطـول الحساب ونشر الكتاب ، وكثرة الطالبين ، وتعلق المظلـومين بالظالمين ، وكثرة الأشهاد من الكرام الكاتبين بقوله صلى

الله عليه وسلم : أكثر خطايا ابن آدم فى لسانه وأكثر الناس ذنوباً يوم القيامة أكثرهم خوضاً فيما لا يعنى .

الفائدة الثانية : حفظ البصر والسلامة من آفات النظر فإن كان معتزلاً عن الناس ، سلم من النظر إليهم ، وإلى ما هم منكبون عليه من زهرة الدنيا وزخرفها فمن كثرت لَحُظَاتُه دامت حسراته .

الفائدة الثالثة : **حفظ القلب وصونه عن الرياء** فقد قال بعض الصالحين : " من خالط الناس داراهم ومن داراهم رآهم ، ومن رآهم وقع فيما وقعوا فهلك كما هلكوا " وقال بعض الصوفية : " حلاوة الطاعة مذاق لمن لا يسمع كلام الجاهلين ، ولا ينظر إلى اللاعبين ، ولا يعامل البطالين ولا يسكن إلى الهالكين .

الفائدة الرابعة : **حصول الزهد فى الدنيا والقناعة منها** وفى ذلك شرف العبد وكماله، وسبب محبته عند مولاه لقوله ﷺ: " ازهد فى الدنيا يحبك الله وازهد فيما فى أيدى الناس يحبك الناس " ومعنى الزهد: جمعه الحق تبارك وتعالى

فى آية فقال تعالى :﴿ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ ﴾ سورة الحديد. أى لا تحزن على ماضٍ ، ولا تفرح بما هو آتٍ ، واعلم أن علم الحركة والسكون إنما هو عند الله ، فاسكن إلى إرادة الله سكون التسليم والرضا .

الفائدة الخامسة : **السلامة من صحبة الأشرار ومخالطة أهل السوء** . ففى مخالطتهم فساد عظيم وخطر جسيم ففى بعض الأخبار " مثل الجليس السوء كمثل الكير إذا لم يحرقك بشرره علق بك من ريحه .

الفائدة السادسة : **التفرغ للعبادة و الذكر والعزم على التقوى والبر** .فلا شك إذا كان العبد تفرغ لعبادة ربه وانجمع عليه بجوارحه وقلبه ، ففى الخلوة تفرغ القلب من الخلق ، وتجمع الهمم بالخالق وتقوى العزائم على الثبات .

الفائدة السابعة : **وجدان حلاوة الطاعات وتمكن لذيذ المناجاة لفراغ سره** .فلا يكون المريد صادقاً حتى يجد فى الخلوة حلاوة ونشاط وقوة لا يجدها فى العلانية .

الفائـــدة الثامنـــة : **راحـــة القلـــب والبـــدن** فإن فى مخالطة الناس ما يوجب تعـب القلـب بالاهتمـام بأمرهم ، وتعب البدن بالسعى فى أغراضهم ، وإن كان فى ذلك الثواب فقد يفوته ما هو أعظم وأهم وهـو جمـع القلب فى حضرة الرب .

الفائـدة التاسـعة : **صـيانة نفسـه ودينـه مـن التعـرض للشرور والخصومات** . التى توجبها الخلطة بأرباب الدنيا من مزاحمة لهم فيها .

الفائدة العاشرة : **التمكن من عبادة التفكر والاعتبا ر** وهو المقصود الأعظم من الخلوة ففى الحديث : " تفكر ساعة خيـر من عبادة سبعين سنة " . فقد قال كعب ﷺ : من أراد شـرف الآخرة فليكثر من التفكر " . وكان أفضل عبادة أبـى الـدرداء التفكر ، وذلك لأنه يصل به إلى حقائق الأشياء ، وتبيين الحق من الباطل ، ويطلع بها أيضاً على خفايا آفات النفوس ومكائدها وغرور الدنيا ومعرفة الطهارة منها ، فقد قال الإمام الشـافعى ﷺ : ومن يذق الدنيا فإنى طعمتها ، وسيق إلىَّ عذبها وعذابهـا فلم أرها إلا غروراً وباطلاً ، كما لاح فى ظهر الفلاة .

❁ الـورد ❁

مفهومه الصحيح ومعناه الصريح .

الـورد: هو ما يرتبه العبد على نفسه أو الشيخ على المريد من الأذكار والعبادات . إذ أن أجل الإنسان الذى وهبـه الله إياه يحاسب عليه يوم القيامة ، فـإن كـان ذاكـراً لله كـل ساعاته وأوقاته ، كان الفوز والفلاح . وكمـا أن الإنسـان ينظم حركاته مع الحياة الدنيا بساعات عمل ، فمطلوب منه بل الأولى أن ينظم للحياة الآخرة ساعات عمل وبناء لتلـك الدار؛ لذلك الحبيب المصطفى ﷺ قال فى حديثه :" إنه ليُغان على قلبى فأستغفرالله فى اليوم سبعين مرة " فى روايـة " مائة مرة ". ولقد كان سادتنا الصالحون منهم مـن يقطـع الليل كله فى ركعتين يختم القرآن كله فى ليلة ؛ فلـولا مـا كانوا يجدون من حلاوة المناجاة مادامت لهم تلـك الحالـة فقد مـدحهم الله بقولـه: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَـٰمًا ﴿٦٤﴾ ﴾ سورة الفرقان . وقـال سـبحانه : ﴿ كَانُوا۟ قَلِيلًا

مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلۡأَسۡحَارِ هُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ سورة الذاريات . **وقال سبحانه:** ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ يَدۡعُونَ رَبَّهُمۡ خَوۡفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ **سورة السجدة . وقد دعا الرسول الكريم ﷺ إلى أن يكون المسلم على مطلب دائم للزيادة لعبادة الله ؛ فإن الزيادة توجب الترقى بين يدى الحق ، حيث قال سبحانه :**

﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ﴾ سورة آل عمران **فقال صلى الله عليه وسلم : " من استوى يوماه فهو مغبون ومن كان يومه شراً من أمسه فهو محروم ومن لم يكن فى الزيادة فهو فى النقصان ، ومن كان فى النقصان فالموت خير له) . وقال سيدى أبا الحسن الشاذلى رضى الله عنه : أدركت أقواماً كانوا على ساعاتهم أشفق منكم على دنانيركم ودراهمكم . وقال صلى الله عليه وسلم : " لاتأتى على العبد ساعة لايذكر الله فيها إلا كانت عليه حسرة**

يوم القيامة " وقال سيدى بن عطاء الله :

لايستحقر الورد إلا جهول .

أقسام الورد

ثم إن الورد ينقسم إلى ثلاثة أقسام .

١ــ ورد العُباد والزهاد من المجتهدين

٢ ــ ورد أهل السلوك من السائرين

٣ ــ ورد أهل الوصول من العارفين

أما ورد المجتهدين : فهو اِستغراق الأوقات فى أنواع العبادات ، وعبادتهم بين ذكر ، ودعاء ، واِستغفار ، وصلاة وصيام وقد أيَّد ذلك وذكره الإمام الغزالى رضى الله عنه فى إحياءه (أى فى كتاب إحياء علوم الدين) .

أما ورد السالكين : فهو الخروج عن الشواغل وتطهيرالقلوب من المساوئ والعيوب ، وتحليتها بالفضائل بعد تخليتها من الرزائل ، وذكرهم جمع القلب وحضور مع الرب على ذكر واحد من اليقين الشافى أما ورد الواصلين : فهو إسقاط الهوى ومحبة المولى وعبادتهم فكرة أو نظرة مع العكوف فى الحضرة حسب ما

أقامه مولاه يلتزم وهذا هو العارف .

ثمرة الورد

فالورد توجد ثمرته فى الدنيا والآخرة ، وبه يكون الورود على الملك المعبود . وقد ورد أن الإمام الجُنيد لم يترك ورده فى حال نزع الروح ، فقيل له فى ذلك فقال : ومن أولى منى بذلك وهذه صحائفى تُطوى ، فلم يترك الخدمة فى مثل هذه الحالة رضى الله عنه ، فكيف بسواه . وقيل للإمام الجنيد : إن جماعة يزعمون أنهم يصلون إلى حالة يسقط عنهم التكليف ، فقال ﷺ : وصلوا إلى سقر ، السرقة والزنى عندنا أهون ممن يقول هذه المقالة. نعم لقد صدق رضى الله عنه فى قوله هذا ، فإن الزانى والسارق عاص بزناه وسرقته ولا يصل إلى حد الكفر، أما القائل بسقوط الفرائض ، المعتقد بذلك فقد إنسل من الدين كإنسلال الشعرة من العجين . إذن فالعمل بالشريعة هو باب الدخول للحقيقة والوصول إلى ثمرة الطاعة والعبادة ؛ ولذلك قد رأى رجل سيدنا الإمام الجنيد ﷺ وفى يده سبحة ، فقال له الرجل : أنت مع شرفك هذا فى مقامك من العارفين تأخذ فى يدك

سبحة ؟ فقال نعم سبب وَصّلَنا إلى ماوَصلنا فلانتركه أبداً . فالشريعة باب والحقيقة بيت الحضرة ، قال تعالى :

﴿ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٨٩﴾ ﴾ سورة البقرة ، فلا دخول للحقيقة إلا من باب الشريعة ، وفى ذلك قال بعض الصالحين :

وثَالِثُ الْفُصُولِ فى الْشَّريعَةِ ... لأَنَّهَا إلى الْهُدَى زَيِعَة
فَكُلُ بَابٍ دُونَهَا مَسْدُود ... وَمَنْ أَتَىَ مِنْ غَيْرِهَا مَرْدُود
فَبِالْشَّرِيعَةِ الْوصَالَ لِلْمُنَى ... كَالْفَوْزِ بِالْبَقَاءِ مِنْ بَعْدِ الْفَنَا
وَمَنْ يَظُنُ الْخَيْرَ فِى سِوْاهَا ... فَإِنَّهُ وَاللهِ مَا دَرَاهَا

ثم نذكر ونقول :

❁ ورد الطريقة وسيلة الوصول للحقيقة ❁

والورد كما نذكر .

أولاً : المحافظة على الصلاة بوقتها وخشوعها .

ثانياً : ذكر الله بقراءة القرآن وكلمة التوحيد .

ثالثاً : الصلوات على الرسول الكريم ﷺ .

رابعاً : الإستغفار والدعاء .

خامساً: التحلى بآداب الإسلام الحنيف ، وحسن الخلق فى المعاملات مع الله ، ومع خلق الله كما أمر الله ، اتباعاً لكتاب الله ، واقتداءً بسُنَّة سيدنا ومولانا رسول الله ﷺ والتخلى عن الرذائل والعادات ، والتحلى بالفضائل .

أولاً الصلاة : لما كانت الصلاة هى الصلة بين العبد وربه جعلها الله قياماً بالقلب والقالب معاً ؛ فقال تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ ﴾ **سورة البقرة ، وقال سبحانه:** ﴿ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ ﴾ **سورة الأنفال وقال سبحانه:** ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمۡ وَٱلۡمُقِيمِي ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ **سورة الحج ، وقال سبحانه :** ﴿ رَبِّ ٱجۡعَلۡنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلۡ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾ ﴾ **سورة إبراهيم لأن الإقامة فى اللغة : هى الإكمال والإتقان ، كما يُقال :**

أقام فلان داره إذا أكملها ، وجعل فيها كل ما يحتاج إليه من كمالات ، إذن فإقامة الصلاة إتقانها ، فليس كل مُصلٍ مقيما ولذلك ذكر الله المُصلين بالغفلة فقال : ﴿ فَوَيۡلٞ لِّلۡمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ ﴿٥﴾ ﴾ **سورة الماعون ولم يقل فويل للمقيمين الصلاة ، وجعلها الله أول تكليف على كل الرسل ، فأول خطاب بين الحق ونبيه موسى عليه السلام قال له :** ﴿ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ﴿١٤﴾ ﴾ **سورة طه ، و قال سيدنا عيسى بلسان القرآن محدثاً قومه وهو فى المهد :** ﴿ قَالَ إِنِّي عَبۡدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيّٗا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيۡنَ مَا كُنتُ وَأَوۡصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمۡتُ حَيّٗا ﴿٣١﴾ ﴾ **سورة مريم وقد ذكر الله النبيين فى القرآن وأعقب ذكرهم بقوله :** ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيّٗا ﴿٥٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا

فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا ﴿٦٠﴾ ﴾ سورة مريم

وقال الحبيب المصطفى ﷺ : " الصلاة عماد الدين من أقامها فقد أقام دينه ، ومن تركها فقد هدم دينه " ، وقد جعلها الله فى بعض الأوقات لتشتاق النفس إليها وترتاح بها ، فَيَحُصل فيها الخشوع الحضور دون ملل ، وقيل: إن الله جعلها فى بعض الأوقات ليكون همك إقامة الصلاة ، وإتقانها والقيام بحقوقها الظاهرة والباطنة وسُننها ، والغيبة عن شُهودها برؤية الحق تبارك وتعالى ، فى ذلك قال بن عطاء الله : وجه للإقامة ليكون همُّك إقامة الصلاة لا وجود الصلاة . وكتب سيدنا عمر بن عبد العزيز ﷺ إلى عماله " إن أهم أموركم عندى الصلاة ، فمن حفظها وحافظ عليها فهو لما سواها أحفظ ، ومن ضيعها فهو لما سواها أضيع "

الخشوع فى الصلاة

ثم نذكر : قال تعالى : ﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾ ﴾ سورة المؤمنون ، وقال تعالى فى حديث قدسى : " ليس كل مصلٍ يصلى ، إنما أتقبل

الصلاة ممن تواضع بها لعظمتى ، ولم يبت مُصِرَّاً على معصيتى وآوى الغريب " . وقال صلى الله عليه وسلم : "من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم تُزده من الله إلا بُعدا " ، وقال صلى الله عليه وسلم : " إذا صلى العبد فلم يَتمَ ركوعها ولا سجودها ولا خشوعها ، لُفَّتْ كما يُلف الثوب الخَلِق ثم يُضربُ بها وجهه "، وقال صلى الله عليه وسلم : " المُصلى يُناجى ربه فمناجاة العبد ربه بالتلاوة والأذكار ، ومناجاة الرب العبد التفهم ورفع الأستار " ، فقال صلى الله عليه وسلم : يقول الله تعالى : " قسمت الصلاة بينى وبين عبدى ولعبدى ماسأل ، فإذا قال العبد الحمد لله رب العالمين قال تعالى : حمدنى عبدى ، فإذا قال : الرحمن الرحيم ، قال الله تعالى : مَجَّدَنِى عبدى ، فإذا قال : مالك يوم الدين قال الله تعالى : فوض إلىّ عبدى ، فإذا قال إياك نعبد وإياك نستعين ، قال الله تعالى : هذه بينى وبين عبدى فإذا قال اِهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم لاالضالين ، قال الله : هذه لعبدى ولعبدى ماسأل .

نتائج الصلاة وثمراتها :

وقد ذكر بن عطاء ﷺ نتائج الصلاة وثمراتها فى ست كل واحدة توصل إلى ما بعدها فقال رضى الله عنه :

الصلاة مطهرة للقلوب واستفتاح لباب الغيوب .

الصلاة محل المُناجاة ومعدن المُصافاة تتسع فيها ميادين الأسرار وتُشرق فيها شوارق الأنوار . فنبدأ بالأولى .

الأولى الصلاة مطهرة للقلوب :

أى إنما كانت الصلاة طُهرةٌ للقلوب من المساوئ والعيوب لما فيها من الخضوع والإنكسار والذل والإفتقار، فإذا خضع القلب لهيبة الجلال طُهِّرَ من سائر العلل ، ومُحيت منه الأغيار والعيوب ، وقَرُبَ إلى حضرة الحبيب ، ومُناجاة القريب فقرع الباب وطلب رفع الحجاب ، وهذا معنى قوله واستفتاح لباب الغيوب .

الثانية واستفتاح لباب الغَيُوب :

فا لغيوب : أسرار الملكوت وأسرار الجبروت ، وإنما كانت الصلاة استفتاحاً لباب الغَيُوب لما استحلت عليه من تطهير الظاهر والباطن ، فإذا تطهرالظاهر بالطهارة الحسية

والباطن بالطهارة المعنوية ، إستحق الدخول إلى الحضرة القدسية ، فأول ما يُتحف به قُربه إلى الباب وسماع خطاب الأحباب من وراء حجاب ، فيتمتع بمناجاة الأحباب ولذيذ الخطاب .

الثالثة الصلاة محل المناجاة :

فالمناجاة : هى المُسارة والمُكالمة مع الأحباب ، فلا يزال العبد يناجى ربه ويطلب قربه ، حتى تتمكن المحبة من القلب والإقبال من الرب ، فتصفو المحبة من كدر الجفا ويتصل الحب مع حبيبه فى محل الصفا ، وهو معنى قوله : معدن المصافاه .

الرابعة معدن المصافاة .

فالمعدن : هو الذهب والفضة ، استُعِيرا هنا لصفاء القلوب والأرواح لتصفيتها من مادة الأشباح .

فالمصافاة : خلوص المناجاة من تشويش الحس ، وكدر الهواجس ، فهى أرق وأصفى من المناجاة ، كما قال سلطان العاشقين عمر بن الفارض ﷺ

ولقد خَلوتُ مع الحَبيبِ وبَينَنَا سِرٌ أَرَقُ مِنَ النَّسيمِ إذا سَرَى

فإذا تمت التصفية وعظمت المحبة استحقت الروح رفع الحجاب وفتح الباب فتدخل إلى حضرة الأحباب وتخرج من ضيق الملك إلى سعة عالم الملكوت وهذا معنى قوله : تتسع فيها ميادين الأسرار .

الخامسة تتسع فيها ميادين الأسرار

والميادين : هى مجال الخيل استُعِير هنا لفضاء عالم الملكوت ، فإذا تنزهت الروح فى عالم الملكوت وجالت بفكرتها فى سعة أنوارها أشرقت عليها أنوار من الجبروت وهذا معنى قوله فى السادسة :

السادسة تشرق فيها شورق الأنوار

فقد أراد بالأسرار : أسرار الذات وهو لأهل الفناء **وبالأنوار** : أنوار الصفات وهو لأهل البقاء . وقال بعض الصالحين رضى الله عنه : إن المؤمن إذا توضأ للصلاة تباعدت عنه الشياطين فى أقطار الأراضين خوفاً منه ؛ لأنه تأهب للدخول على الملك ، فإذا كَبّر حُجب عنه إبليس وضُربَ بينه وبينه بسُرادق لا ينظر إليه ، وواجهه الجبار بوجهه ، فإذا قال : الله أكبر اطلع الملك فى قلبه فإذ ليس

فى قلبه أكبر من الله فيقول الملك : صدقت الله أكبر فى قلبك كما تقول فيتشعشع فى قلبه نور يلحق ملكوت العرش ، فينكشف له بذلك ملكوت السموات والأرض ، ويكتب له حشو ذلك النورحسنات . قال : وإن الغافل الجاهل إذا قام إلى الوضوء احتوشته الشياطين كما يحتوش الذباب على نقطة العسل فإذا كبر اطلع الملك فى قلبه ، فإذا كل شئ فى قلبه أكبر من الله عنده ، فيقول الملك : كذبت ليس الله فى قلبك كما تقول فيثور من قلبه دخان يلحق بعنان السماء فيكون حجاباً لقلبه عن الملكوت ، فَيَرُدُ ذلك الحجاب صلاته وتلتقم الشياطين قلبه ، ولاتزال تنفخ فيه وتنفث وتوسوس وتزين له حتى ينصرف من صلاته ولايعقل مافعل . فالصلاة تتفاوت بقدرالخضوع والخشوع والبقاع لبيت الله الحرام والمسجد النبوى ، وبيت المقدس (أى المسجد الأقصى) ورتبة الإمام وتقواه ففى الحديث الشريف " من صلى خلف مغفور غفرله " ثم ننتقل إلى أن نبين ذكرالله

❁ ذكر الله ❁

ذكرالله وقراءة القرآن .

نبدأ بقراءة القرآن ، القرآن الكريم : كلام رب العالمين يسره الله للذكر فقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾ ﴾ سورة القمر ، فقراءته عبادة لله وشفاء من كل داء ونور للمؤمن وثواب وشفاعة ، وقد قال الحبيب المصطفى ﷺ " أهل القرآن هم أهل الله وخاصته " وقال صلى الله عليه وسلم : " من استمع إلى آية من كتاب الله له حسنة مضاعفة ، ومن قرأها كانت له نوراً يوم القيامة وقال صلى الله عليه وسلم : " من أراد أن يكلم الله فليدخل فى الصلاة ، ومن أراد أن يكلمه الله فليقرأ القرآن وإن ملائكة الرحمن تتنزل على قارئ القرآن لتستمع إليه وإن السكينة لتُنزل للقرآن على قارئه " . روى الإمام مسلم فى صحيحه أن أبا سعيد الخدرى ﷺ حدث أن أُسيد بن حضير بينما هو يقرأ القرآن فى مربده إذ جالت فرسه (أى هاجت) فقرأ ثم جالت أخرى فقرأ ثم جالت أيضاً ، قال

أسيد : فخشيت أن تطأ يحيى فقمت إليها فإذا مثل الظُلة فوق رأسى فيها أمثال السُرج ، عرجت فى الجو حتى ما أراها ، قال : فغدوت على رسول الله ﷺ فقلت يارسول الله : بينما أنا البارحة من جوف الليل أقرأ فى مربدى إذ جالت فرسى ، فقال رسول الله ﷺ : " اقرأ ابن حضير ، قال : فقرأت ثم جالت أيضاً ، فقال رسول الله ﷺ :" إقرأ ابن حُضير " قال : فقرأت ثم جالت أيضاً ، فقال رسول الله ﷺ : " إقرأ ابن حُضير ، قال : فانصرفت ، وكان يحيى قريباً منها خشيت أن تطأه ، فرأيت مثل الظلة فيها أمثال السُرج عرجت فى الجو حتى ما أراها ، فقال رسول الله ﷺ : تلك الملائكة كانت تستمع لك ، ولو قرأت لأصبحت يراها الناس ما تستتر منهم ، ثم نذكر تنزل السكينة عند قراءة القر آن .

تَنَزُل السكينة عند قراءة القرآن : ففى رواية أخرى للإمام مسلم ﷺ فى صحيحه عن البراء قال : " كان رجل يقرأ سورة الكهف وعنده فرس مربوط بشطنين فتغشته سحابه ، فجعلت تدور وتدنو وجعل فرسه ينفر منها ، فلما أصبح أتى النبى ﷺ فذكرذلك له فقال : تلك السكينة تنزلت

للقرآن " ؛ لذلك كان لصحابة النبى ﷺ ورد يومى لقراءة القرآن ، فقد ورد أن سيدنا عثمان بن عفان ﷺ وهو أمير المؤمنين كان يبدأ بالختمة يوم الجمعة ، وينتهى بها يوم الخميس بصفة ثابتة ودائمة طوال حياته ، أى كل يوم خمسة أجزاء ، أى يختم القرآن كل أسبوع مره . فورد الطريقة ميسر جداً فنقول : قراءة جزء من القرآن كل يوم ويختم القرآن المريد مع أهلة الشهور العربية كل شهر . فقد قال الحبيب المصطفى ﷺ : " الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة والذى يُتَعْتِعُ فيه له أجران " صدق رسول الله ﷺ . ثم ننتقل إلى توضيح ذكر الله بكلمة التوحيد .

ذكر الله بكلمة التوحيد لاإله إلا الله .

كلمة التوحيد لاإله إلا الله ، لازمة للخلق ، الاعتقاد بها قلباً والاعتراف بها نطقاً ، والوفاء بها فعلاً .

فأما الاعتقاد بها قلباً : فأن يعتقد نفى القدرة عن جميع من توجهت إليه القلوب فى المنافع والمضار سواه .

أما الاعتراف بها نطقاً : فأن يقول لا إله إلا الله .

وأما الوفاء بها فعلاً : فأن يكون له من الثقة فى باب النوائب ، ومن التوكل فى باب الرزق ، ومن التفويض فى باب الحوائج ، ومن الصبر فى باب الشهوات ، ومن القناعة فى باب المنالات ، ومن الانقياد فى باب العبودات والتسليم فى باب المتشابهات ما يحفظ هذه الجوارح السبع التى ائتُمِنَ العبد عليها ، ووُكِّلَ العبد برعايتهن ، وهى اللسان والسمع البصر واليد والرجل والبطن والفرج ، من أن يعصى الله بجارحة منها . إن أفضل الأعمال التى ترفع المريد إلى المقامات وأقربها هو ذكر الله ، ولذلك قال بعض الصالحين : لاتترك الذكر لعدم حضور قلبك مع الله فيه لأن غفلتك عن وجود ذكره أشد من غفلتك فى وجود ذكره فعسى أن يرفعك من ذكر مع وجود غفلة إلى ذكر مع وجود يقظة ، ومن ذكر مع وجود يقظة إلى ذكر مع وجود حضور ومن ذكر مع وجود حضور إلى ذكر مع غيبة عما سوى المذكور ، وما ذلك على الله بعزيز . والذكر ركن قوى فى طريق التصوف ، وهو أفضل الأعمال ، فقال تعالى : ﴿ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾ ﴾ سورة

البقرة ، وقال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ﴿٤١﴾ ﴾ سورة الأحزاب ، قال بن عباس رضى الله عنهما : كل عبادة فرضها الله تعالى جعل لها وقتاً مخصوصاً ، وعذر العباد فى غير أوقاتها إلا الذكر لم يجعل الله له وقتاً مخصوصاً ، قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ﴿٤١﴾ ﴾ سورة الأحزاب وقال تعالى : ﴿ فَإِذَا قَضَيۡتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمۡۚ فَإِذَا ٱطۡمَأۡنَنتُمۡ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَۚ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا ﴿١٠٣﴾ ﴾ سورة النساء . وقال رجل : يارسول الله كثرت علىّ شعائر الإسلام فأوصنى بأمر أدرك به ما فاتنى وأوجز فقال : " لايزال لسانك رطباً بذكرالله " وقال عليه الصلاة والسلام : " لو أن رجلاً فى حجره دراهم يقسمها وآخر يذكر الله لكان الذاكر لله أفضل " وقال صلى الله عليه وسلم : " ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مَلِيكِكُمْ وأرفعها فى درجاتكم ، وخير لكم من

إنفاق الذهب والورق ، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم ؟ قالوا : وما ذاك يارسول الله ؟ قال : ذكر الله ، وقال صلى الله عليه وسلم : " سبق المفردون قالوا وما المفردون يارسول الله ؟ قال الذاكرون الله كثيرا " ، وعن على بن أبى طالب كرم الله وجهه قال : قلت يارسول الله أى الطريق أقرب إلى الله وأسهلها على عباد الله وأفضلها عند الله تعالى ؟ فقال : ياعلى عليك بمداومة ذكر الله ، فقال علىّ : كل الناس يذكرون الله ، فقال صلى الله عليه وسلم : ياعلىّ لاتقوم الساعة حتى لايبقى على وجه الأرض من يقول الله ، فقال له علىّ : كيف أذكر يارسول الله ؟ فقال له صلى الله عليه وسلم : غَمِض عينيك واسمع منى ثلاث مرات ثم قل مثلها وأنا اسمع منك ، قال صلى الله عليه وسلم : لا إله إلا الله ثلاث مرات مُغْمِضاً عينيه ، ثم قالها علىّ كذلك ثم لقنها علىّ للإمام الحسن البصرى ثم تنقلت فى التربية ، فلا مدخل على الله إلا من باب الذكر ، فإن الذكر منثور الولاية ولابد منه فى البداية والنهاية ، فمن أُعطى الذكر فقد أُعطى المنثور

ومن ترك الذكر فقد عُزل ، وأنشدوا .

والذكر أعظم باب أنت داخله لله فاجعل له الأنفاس حراسا

فعلى المريد أن يلتزم بالذكر على كل حال ، ولايترك الذكر باللسان لعدم حضور قلبه فيه ، بل يذكره بلسانه ولو كان غافلاً بقلبه ، فإن غفلتك عن وجود ذكره أشد من غفلتك فى وجود ذكره ؛ لأن غفلتك عن وجود ذكره إعراض بالكلية وفى وجود ذكره إقبال بوجه ما ، وفى شغل اللسان بذكر الله تزيين جارحة بطاعة الله ، وفى فقده تَعَرُضٌ لاشتغالها بالمعصية ، وقد قيل لبعض الصالحين : مالنا نذكر الله باللسان والقلب غافل ؟ فقال : اِشكرالله على ما وفق من ذكر اللسان ولو أشغله بالغيبة والنميمة ماكنت تفعل ؟ .

الذكر جماعة فى حلقات وفى مجالس .

والذكر جماعة فى حلقات ، وفى ومجالس محبوب ومرغوب ، من خلال نداء الإسلام بالجماعة فى الصلاة والجنازة ، والجهاد ، والتعاون على البر . مجالس الذكر جماعة تجمع المسلمين على المحبة ، والمودة ، والفطرة النقية الواحدة التى هى من صنع الواحد ، واجتمعت على

قلب واحد فى زمان واحد لذكر الله الواحد .

الجماعة لذكر الله :

فالجماعة لذكر الله الواحد : هى الفرحة بالتوحيد لإعلان الوحدانية بفرحة القلوب باطناً ، وفرحة الإنسان ظاهراً بالإجتماع بالجماعة على ذكر الله ، لاعلى ذكر أحد سواه . ففى الحديث القدسى " أنا عند ظن عبدى بى وأنا معه إذا ذكرنى ، فإن ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى ، وإن ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ خير من ملائه ، وإن تقرب منى شبراً تقربت منه ذراعاً ، وإن تقرب منى ذراعاً تقربت منه باعاً وإن أتانى يمشى أتيته هرولة " . وروى أصحاب السنن عن جابر بن عبد الله الأنصارى ﷺ قال : خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن فى مسجد المدينة فقال : إن لله سرايا من الملائكة تجول ، وتقف فى مجلس الذكر ، فإذا رأيتم رياض الجنة فارتعوا ، قالوا وما رياض الجنة يارسول الله ؟ قال : مجالس الذكر ، اغدوا وروحوا فى ذكر الله ، ومن كان يحب أن يعلم منزلته عند الله فلينظر كيف منزلة الله عنده ، فإن الله يُنْزِلُ العبد حيث أنزله من نفسه "

صدق رسول الله ﷺ . وقال صلى الله عليه وسلم : " من أكثر ذكر الله برئ من النفاق " ، وقال صلى الله عليه وسلم : " أكثروا ذكر الله حتى يقول المنافقون إنكم مراءون " ، وقال صلى الله عليه وسلم : " لايقعد قوم يذكرون الله تعالى إلا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده " .

❁ فضائل ذكر الله ❁

ومع فضائل ذكر الله ، قال الإمام الحسن البصرى ﷺ تفقدوا الحلاوة فى ثلاثة أشياء فى الصلاة والذكر وقراءة القرآن ، فإن وجدتم فذاك ، وإلا فاعلموا أن الباب مغلق فإن كل قلب لا يعرف الله لايأنس بذكر الله ، ولايسكن إليه قال تعالى : ﴿ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ سورة الزمر . وقال الإمام مالك بن دينار ﷺ: من لم يأنس بحديث الله تعالى عن حديث الخلق فقد قل علمه وعمى قلبه وضاع عمره . وقال سيدنا أنس بن مالك

ﷺ : ذكر الله علامة على الإيمان ، وبراءة من النفاق وحصن من الشيطان ، وحرز من النار . وقال الإمام النورى رفيق الإمام الجنيد : لكل شئ عقوبة وعقوبة العارف انقطاعه عن الذكر. وقال الإمام سهل : ما أعلم معصية أقبح من ترك ذكر هذا الرب . ويروى أن كل نفس تخرج من الدنيا عطشانة إلا الذاكر لله تعالى . وعن معاذ بن جبل ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : " ليس يتحسر أهل الجنة إلا على ساعة مرت بهم لم يذكروا الله فيها " ، وقال صلى الله عليه وسلم : " مامن قوم يقومون من مجلس لا يذكرون الله فيه إلا قاموا على أنتن من جيفة حمار وكان عليهم حسرة " . وروى الإمام الترمذى قال رسول الله ﷺ : " ما جلس قوم مجلساً لم يذكروا الله فيه ولم يصلوا على نبيهم إلا كان عليهم ترِه فإن شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم " . وقال سيدى أبو على الدقاق ﷺ : الذكر منشور الولاية ، فمن وفق للذكر فقد أعطى المنشور ، ومن عُزل عن الذكر فقد سُلِب الولاية . وقال الإمام القشيرى : الذكر ركن قوىٌ فى طريق الله ولا يصل أحدٌ إلا به . وسأل بعض المشايخ شيخاً

آخر فقال له : الذكر أفضل أم الفكر ؟ فقال له الشيخ : الذكر عندى أتم وأفضل من الفكر ؛ لأن الله تعالى يوصف بالذكر ولايوصف بالفكر ، وما يوصف به الله أفضل مما لايوصف به . وعن سيدنا عمر ﷺ : أن النبى ﷺ بعث بعثاً قِبل نجد فغنموا غنائم كثيرة وأسرعوا الرجعة ، فقال رجل ممن لم يخرجوا : مارأينا بعثاً أسرع رجعة ولا أفضل غنيمة من هذا البعث ، فقال النبى ﷺ : " ألا أدلكم على قوم أفضل غنيمة وأسرع رجعة ؟ قوم شهدوا صلاة الصبح ثم جلسوا يذكرون الله تعالى حتى طلعت الشمس ، فأولئك أسرع رجعة وفضل غنيمة " رواه الإمام الترمذى . وفى رواية أن رسول الله ﷺ قال : من دخل السوق فنادى بأعلى صوته فقال : لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو حى لايموت أبدا ، بيده الخير وهو على كل شئ قدير كُتب له ألف حسنه " . وروى الإمام البخارى عن أبى سعيد مولى ابن عباس : أن ابن عباس ﷺ أخبره أن رفع الصوت بالذكر حين ينصرف الناس من المكتوبة كان علىعهد رسول الله ﷺ . وقال ابن عباس : كنت أعلم إذا انصرفوا

بذلك . عن أبى سعيد الخدرى ﷺ أن رسول الله ﷺ سُئِل أى العُبَّاد أفضل وأرفع درجة عند الله يوم القيامة ؟ قال: الذكرون الله كثيراً ، قيل يارسول الله : ومن الغازى فى سبيل الله ؟ قال لو ضرب بسيفه حتى ينكسر ويتخضب دماً فإن ذاكر الله أفضل منه درجة " صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم . وعن أبى هريرة قال رسول الله ﷺ : ما قال عبد لاإله إلا الله مخلصاً من قلبه إلافُتحت له أبواب السماء حتى يفضى إلى العرش ما اجتنبت الكبائر " ، وعن مالك قال : بلغنى أن رسول الله ﷺ كان يقول : ذاكر الله فى الغافلين كالمقاتل خلف الفارين ، وذاكر الله فى الغافلين كغصن أخضر فى شجر يابس ، وذاكر الله فى الغافلين مثل مصباح فى بيت مظلم ، وذاكر الله فى الغافلين يريه الله مقعده فى الجنة وهو حى ، وذاكر الله فى الغافلين يغفر الله له بعدد كل فصيح وأعجم " والفصيح هم بنو آدم ، والأعجم هم الأنعام .

فضل الإجتماع على ذكر اللّه .

وفى فضل الإجتماع على ذكر الله ، فعن أبى سعيد الخدرى ﷺ قال : خرج معاوية على حلقة فى المسجد فقال: ما

أجلسكم ؟ قالوا : جلسنا نذكر الله تعالى ، قال : آلله ما أجلسكم إلا ذلك ؟ قالوا آلله ما أجلسنا غيره ، قال أما إنى لم أستلحفكم تهمة لكم ، وما كان أحد بمنزلتى من رسول الله ﷺ ، ولا أقل حديثاً منى ، وإن رسول الله ﷺ خرج على حلقة من أصحابه فقال : ما أجلسكم ؟ قالوا : جلسنا نذكر الله ونحمده على ما هدانا للإسلام ومَنّ علينا ، قال : آلله ما أجلسكم إلا ذلك ؟ قالوا آلله ما أجلسنا إلا ذلك ، قال : أما إنى لم أستحلفكم تهمة لكم ولكنه أتانى جبريل فأخبرنى أن الله تعالى يباهى بكم الملائكة " أخرجه الإمام مسلم والترمذى .

فضل قراءة آية الكرسى .

وفى فضل قراءة آية الكرسى بعد كل صلاة ، فقد قال رسول الله ﷺ : " من قرأ آية الكرسى دبر كل صلاة فليس بينه وبين الجنة إلا الموت " صدق رسول ﷺ

أحوال الذكر .

ثم نذكر الذكر بأحواله ، نرى فى زماننا أن هناك استعمال لكلمات دون فهم لمعناها الحقيقى مثل كلمة بدعه

معنى البدعة : هذه الكلمة معنها : ما أبدع أى ما حدث

من تغيير بإبداع لم يكن له مثيل من قبل ولم تتعرف عليه العقول ، كقول الله تعالى : ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾ ﴾ سورة البقرة

أنه أبدعهم دون النظر إلى سابقٍ أخذ عنه ونقل منه ، أما ماكان له أثر من قبل ودخل عليه جديد ، فإن ذلك يرجع إلى اِتفاق الحركة وثبات المعنى ، فإن كان لايُغْيِرُمن المعنى ولاينزلق عن الغاية فليس ببدعة ، وإنما هو بالنسبة لما هو ظاهر فى البناء وفى فن البناء وفى فن الزخرفة ، إنما هو تطور حسب الزمان والمكان ، إذا كان فى الإنسان أو البنيان ورباط البداية لاحق بالنهاية ، يعنى كان فى عهد سيدنا رسول الله ﷺ السقف من الجريد ، فإذا وقفنا وقلنا كان مسجد النبىمسقف بالجريد ، واِمتنعنا أن نسقف المسجد بالمسلح ونزينه بالزينة ، ووقفنا عند هذا الحد نقول هذه بدعة جديده ، يبقى هذا خطأ وهذا فهم خاطئ لأن مادام إبداع جديد ليُحسِن الحركة ، ومتفق مع أهل الزمان فى الحركة ليست بدعة ، ولابدعة إلا فى تغيير حدود

الله وكتم ما أنزل الله ، واِجتهاد الصالحين حسب زمانهم يقال بدعة حسنه ، والنبى ﷺ أدخله فى مضمون سنته قال : " من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة " لايسن السنة الحسنة إلا من كان عالماً عاملاً عارفاً صالحاً إجتهد لخدمة أهل زمانه ، إذن بدعة الصالحين حسنة ؛ لأن الصالح أمين على شريعة الله وسنة رسول الله وأمين على حدود الله .

رفع الصوت فى الذكر : أما الذكر بصوت مرتفع فلا بدعة فيه ؛ لأن المقصود أن كثيراً من المسلمين فى غفلة مع الدنيا عن الله ، فهذا جلب للذاكرين وتنبيه للغافلين وصحوة للأشباح مع الأرواح ، وهزةٌ للقلوب الوجلة وليس فى ذلك بدعة ؛ لأنه كان فى عهد سيدنا رسول الله ﷺ وفى عهد الصحابة ﷺ ، وثابت بالأحاديث الصحيحة منها ماأخرجه الإمام البخارى ومسلم عم ابن عباس رضى الله عنهما قال :" كنت أعلم إذا انصرفوا بذلك " يعنى كنت أعلم أن المصلين انصرفوا بالصلاة برفع صوتهم ، أى بذلك إذا سمعته . وروى الإمام البخارى عن أبى هريرة ﷺ عن

النبى ﷺ فيما يرويه عن رب العزة يقول الله تعالى : " أنا عند ظن عبدى بى ، وأنا معه إذا ذكرنى ، فإن ذكرنى فى نفسه ، ذكرته فى نفسى ، وإن ذكرنى فى ملأ ، ذكرته فى ملأ خير من ملائه " والذكر فى الملأ لايكون إلا عن جهر وقد ذكر الإمام النووى ﷺ أن النبى ﷺ كان يجهر مع الصحابة رضوان الله عليهم بصوته بالأذكار والتسبيح والتهليل . وأخرج البيهقى عن جابر ﷺ أن رجلاً كان يرفع صوته بالذكر فقال رجل لو أن هذا خفض من صوته كان أولى ، فقال رسول الله ﷺ : " دعه فإنه أواه " وكان هذا الرجل يسمى عبد الله ذو البجادين . وروى أن أناساً كانوا يذكرون الله تعالى بعد المغرب فأرسل إليهم عمر بن الخطاب ﷺ أن نوهوا الذكر أى ارفعوا أصواتكم بالذكر .

وصف الذكر جماعة .

ثم ننتقل إلى وصف الذكر جماعة واقفاً جائز . ورد فى السنن وفى أقوال الصحابة ومشايخ التصوف مايبين أن واقفاً للمبتدئين جذب للجسم من ثقل المادة إلى حركة اِتحادٍ مع الروح الصافية ، وعند المحبين وجد وفرح وهيام بذكرالمحبوب فذلك جائز ولابأس به ؛ ولذلك قال بعض العارفين رضى الله عنه :

فَقُلْ لِلذِى يَنْهَى عَنْ الْوَجْـدِ أَهْلَـهُ إِذَا لَمْ تَذُقْ مَعْنَى شَرَابِ الهوىدَعْنَّـا
فَإِنَّا إِذَا همْنَـا وَطَابَـتْ نُفُوسُـنَا وَخَامَرَنَا خَمْرُ الْغَـــرَامِ تَهَتْكَنَّـا
إِذا اهْتَزَتِ الأَرْوَاحُ شَوْقاً إِلى اللِّقَا تَرَاقَصْتِ الأَشْبَاحُ يَا جَاهِـلَ الْمَعْنَـى
فَيَاحَـادِىَ الْعُشَـاقِ قُـمْ وَاحْـدُوا قَائِماً وَزَمْزِمْ لَنَا بِاسْمِ الْحَبِيب وَرَوحْنَا

عن أنس ﷺ أنه قال : كنا جلوساً عند النبـى ﷺ إذ نـزل جبريل عليه السلام فقال يارسول الله إن فقراء أمتك يدخلون الجنة قبل الأغنياء بنصف يوم وهو خمسمائة عام ، ففرح النبى ﷺ من هذا وقال : أفيكم من ينشدنا ؟ فقال بدوىٌ (أى رجلٌ من البدو): نعم يارسول الله ، فقال صلى الله عليه وسلم : هات ، فأنشد البدوى وقال :

قد لسعت حية الهوى كبدى فلا طبيب لهـا ولا راقى
إلا الحبيب الذى شغفت به فعنده رُقيتـى وترياقـى

فتواجد النبى ﷺ وأصحابه الكرام حتى سقط ردائه المبـارك عن منكبيه وقال الرسول الكريم : " ليس بكريم من لم يهتز عند ذكرالحبيب " . وروى الحافظ أبو نعيم عن الإمام علـى بن أبى طالب كرم الله وجهه ﷺ ، يصف صحابة النبـى ﷺ ورضوان الله عليهم فقال : كانوا إذا ذكروا الله مادوا كمـا تميد الشجرة فى اليوم الشديد الريح ، وجرت دموعهم على

ثيابهم ، رضى الله عنهم وأرضـاهم وجـزاهم عنـا خيـر الجزاء . وروى البخارى فى صحيحه تعليقاً عن سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ أنه كان يأخذ بيد معاذ بن جبل ويقول لـه : يامعاذ قم بنا نؤمن ساعة ، فيقفان ويقـولان لاإلـه إلا الله لاإله إلا الله جماعة حتى يقول سيدنا عمر : هى هـى ورب الكعبة ومعنى قم بنا نؤمن ساعة : يعنى معناها قـم بنـا نتحقق من حقيقة الإيمان ، لنشاهد جمال الحقيقة بـذكر الله ولذلك ساعة أن يُكْشَف عنه الحجاب ويشاهد وهو فى حـال الذكر يقول : هى هى ــ أى الموصلة والمقربة والناجية ــ ورب الكعبة رضى الله عنه . وعن معاذ بن جبل قال : ما عمل العبد عملاً أنجى له من عذاب الله من ذكر الله .

آداب الذكر : ومن آداب الذكر والدخول فى الحضرة للذكر

أولا : الدخـول فيـه بنية للـه كالصلاة .

ثانيا : الدخول فيه على طهارة ووضوء .

ثالثاً : استحضار القلب مع عظمـة الله بالخشـية والوجَّـد واستحضار عظمة المذكور . رابعاً : غـض البصـر خامساً : نسيان نفسك وتعظيم ذكر ربك بحضور قلبك مع

المذكور ، واِستحضار عظمة المذكور فى قلبك .

سادساً : اِستحضارٌ بيقين وجود الله معك وفيك وفوقك وحولك بالعين والعون والمراقبة ، وناظرٌ فى قلبك فاعمل عملاً ترجو قبوله برفعة ورضوان وقرب ، واعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فاعلم يقيناً أنه يراك .

سابعاً : لاتبالى رؤية الناس حالك أثناء ذكرك الخالق . فلا تستنكف من الناس أنك تذكر خالقك ورازقك والمتفضل عليك بالنعيم أنت والناس جميعاً ، ولكن الإستنكاف أن يراك الناس أن تهيم فى ذكر مخلوق مثلك فهذا هو النفاق ، أما إذا رآك الناس فى هيام فى ذكر الله الخالق ، فهذا شرف لك وفخار تفخر به أمام الناس . كن فى فناء فى محبته وذكره وحده فهو الواحد ، فإن جمال الرؤية فى العبد أن يُرى لله طائعاً ذاكراً ، والقبح أن يُرى لله عاصياً ، كما قال بعض الصالحين :

لاتَعْصِى رَبَكَ قَائلاً أو فَاعلاً ... فَكلاهُمَا فى الصُّحف مَكْتُوبَانِ
جَمِّلْ زَمَانَكَ بِالْسُكُوت فَإِنَّهُ ... زَيْنُ الْحَلِيم وسِترةُ الْحَيْرَانِ
كُنْ حِلْسَ بَيْتِكِ إِنْ سَمِعْتَ بِفِتْنَةٍ ... وَتَوقَى كُلَّ مُنَافِقٍ فَتَّانِ

إن الذى ينهاك عن الذكر منافق النهى عن الذكر فتنة.

❁ الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم ❁

ثم نتحدث عن الصلاة على النبى ﷺ فى مضمون الورد الصلاة على النبى أمر من الله للمؤمن ، وفريضة على أهل المحبة ؛ قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ سورة الأحزاب ، شرف عظيم للعبد أن يدخل فى ذكر بدأ الله فيه بنفسه ثم بالملائكة ، ودعاك أن تدخل معهم لتنال هذا الشرف ، وتحظى العطاء بالقرب ، فإنه فخار للعبد ساعة أن يصلى على النبى يفخر ويقول : إنى فى ذكر بدأ الله به وهو فى ذكر به ، إن الله وملائكته يصلون على النبى يأيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما . فعن ابن مسعود ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : " أولى الناس بى يوم القيامة أكثرهم علىّ صلاة " ، وعن عمر بن الخطاب ﷺ أن النبى ﷺ قال :" إن جبريل أتانى فقال : من صلى عليك صلاة صلى الله عليه عشرا ورفعه عشر درجات " وعن أُبىّ بن كعب قال : قلت يارسول الله إنى أكثر الصلاة عليك ، فكم أجعل

لك من صلاتى ؟ قال : ما شئت ، قلت الربع قال : ما شئت فإن زدت فهو خير قلت فالنصف ، قال : ماشئت فإن زدت فهو خير ، قلت فالثلثين ، قال : ماشئت فإن زدت فهو خير قلت أجعل لك صلاتى كلها ؟ قال : إذن تُكفى همك ويُغفر لك ذنبك " اللهم صلى على سيدنا ومولانا رسول الله . وعن الإمام الحسين ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : " البخيل من ذُكرت عنده فلم يصلى علىّ " ، وعن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : " لاتجعلونى كقدح الراكب فإنّ الراكب يملأ قدحه ويضعه فإن اِحتاج إلى الشرب شرب أو إلى الوضوء توضأ وإلا إهراقه ، ولكن اِجعلونى فى أول الدعاء وأوسطه وآخره " ، وعن على بن أبى طالب ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : " مامن داعٍ إلا وبينه وبين السماء حاجب حتى يصلى على محمد على آل محمد ، فإذا فعل ذلك إنخرق الحجاب ودخل الدعاء وإن لم يفعل ذلك رجع الدعاء " وعن أنس ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : " إن أنجاكم يوم القيامة من أهوالها ومواطنها أكثركم علىّ فى دار الدنيا صلاة " إنه قد كان فى الله وملائكته كفاية ولكن خص المؤمنين بذلك

ليثبتهم عليه . ومن أقوال أبى بكر الصديق ﷺ قال : الصلاة على النبى ﷺ أفضل من عتق الرقاب ، وحب الرسول ﷺ أفضل من مهج الأنفس . ومن أقول سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ قال : الدعاء موقوف بين السماء الأرض لا يصعد منه شئ حتى تصلى على نبيك . وعن أنس ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ :" أكثروا الصلاة علىّ فى يوم الجمعة وليلة الجمعة فمن فعل ذلك كنت له شهيداً وشافعاً يوم القيامة " . عن سعيد بن المسيب ﷺ قال : ما من دعوة لايصلى على النبى ﷺ فيها إلا كانت معلقة بين السماء الأرض . اللهم صلى وسلم وبارك على سيدنا ومولانا محمد ﷺ صلاة تقربنا بها إليك وترضى بها عنا يا رب العالمين . فمن تعلق قلبه بحب سيد المرسلين وإمام المتقين ، وسيد الخلق أجمعين ، واشتغل بمحبته واشتغل بالصلاة عليه كان له من الله عطاء بالتجلى ، أن يكشف له عن رؤيةٍ من جمال النبى على قدر إستعداده ، والترقى فى مقام القرب إلى الله ورسوله ؛ فإن قدر رسول الله عظيم ، ومعرفة قدر

رسول الله لايقدرعليها بوصف إلا خالقه . فصلوات الله وسلامه ورحمته وبركاته عليك سيدى يارسول الله .

تعريف عن فهم مقام سيدنا رسول الله ﷺ .

وإنى أذكر تعريف عن فهم مقام سيدنا رسول حين سُئِل سلطان العارفين سيدى أبو يزيد البسطامى : هل يزيد أحد على النبى ﷺ ؟ فقال : وهل يُدركه أحد ؟ ثم قال: جميع مايفهم الخلق ، وأدركوه من شرف رسول الله ﷺ ، فيما لم يفهمه ولم يدركه ، مَثَلُ ذلك مِثْل قِربة زرقاء ملأى من الماء ، فما رشح أدرك الخلق وفهمه من شرفه وفضله وما سوى ذلك فلم يفهمه أحد ولم يُدركه . صلوات الله وسلامه عليك سيدى يارسول الله وعلى آلك وصحبك .

❁ التوسل ❁

ثم أذكر نبذة عن التوسل ؛ فإن التوسل عند الصالحين وعند الصوفية ملحق بالورد . فعن عُتبة بن غزوان قال: قال رسول الله ﷺ : " إذا أضل أحدكم شيئاً أو أراد أحدكم عوناً وهو بأرض ليس بها أنيس فليقل يا عباد الله أغيثونى ، يا عباد الله أغيثونى ياعباد الله إحبسوا فإن لله

عباداً لاتراهم " . فهذه استغاثات قد جُرِبت عند الصالحين لأنه ساعة أن تكون فى فلاة ــ أى فى صحراء واسعة ــ وتذكر أن هذه الصحراء ليست فارغة من أن يكون فيها جنود لله ، هذا إثبات لعظمة المملكة بأن كل فناء فيه جنود لله ، إن كنت أنت لاتراهم فاعلم أن فى كل مكان لله جنود فإن هذا تعظيم للمملكة ، فإن عظمت المملكة فقد عظمت الملك . وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : " إن لله ملائكة فى الأرض سوى الحفظة يكتبون ما يسقط من ورق الشجر ، فإذا أصاب أحدكم عرْجة بأرض فلاة فليناد أغيثونى عباد الله ؛ فإن ذلك من التوحيد والإيمان بالله ورسوله ، والإيمان بالغيب الذى كُلِف به المؤمن من قِبل الله سبحانه " . وعن ابن مسعود ﷺ قال : قال سول الله ﷺ : " إذا انفلتت دابة أحدكم بأرض فلاة فليناد يا عباد الله إحبسوا ، فإن لله حاضراً فى الأرض سيُحْبِسُه " صدق رسول الله ﷺ . هذه فى الإستغاثات ، أما فى التوسل فعن سيدنا عثمان بن حنيف ﷺ أن أعمى أتى إلى رسول الله ﷺ فقال : يارسول الله أُدع الله أن يكشف لى

عن بصرى ، قال : أو أدَعَك (يعنى أسيبك أحسن) قال : يارسول الله إنه قد شق علىّ ذهاب بصرى ، قال: فانْطَلِق فتوضأ ثم صلى ركعتين ثم قل : اللهم إنى أسالك وأتوجه إليك بنبيك محمد ﷺ نبى الرحمة ، يامحمد أتوجه إلى ربى بك أن يكشف لى عن بصرى ، اللهم شفعه فىّ وشفعنى فى نفسى ، فرجع وقد كشف الله عن بصره " ، (سيدنا عثمان بيقول : أخذ الدعاء وذهب وصلى ورجع ونحن فى المجلس جالسين ما أنصرفنا وقد كشف الله عن بصره) . وروى الطبرانى أن رجلاً كان يختلف إلى عثمان بن عفان ﷺ فى حاجة له وكان عثمان لايلتفت إليه ، ولاينظر فى حاجته فأتى عثمان بن حنيف فشكا له ، فقال له عثمان بن حنيف : إئت الميضاء فتوضأ ثم إئت المسجد فصلى فيه ركعتين ، ثم قل اللهم إنى أسألك وأتوجه إليك بنبينا محمد ﷺ نبى الرحمة ، يا محمد إنى أتوجه بك إلى ربى فيقضى حاجتى ، ثم تذكر حاجتك ورُح إليه (يعنى روح إلى عثمان) فانطلق الرجل فصنع ما قال له عثمان بن حنيف ثم أتى باب عثمان ، فجاء البواب حتى أخذ بيده إلى عثمان

بن عفان وأدخله عليه ، وكان البواب من قبل لايدخله ــ ذهب إليه مرات ومرات فلم يدخله ، لكنه بعد دعاء التوسل سُخِر البواب ، ساعة ما رآه القلب نفسه عشقه ــ وجاء البواب إليه حتى أخذه بيده إلى عثمان بن عفان وأدخله عليه وأجلسه معه على طَنْفُسَة ، وقال : ما حاجتك فذكر حاجته فقضاها له ثم ما ذُكِرت حاجته حتى كانت هذه الساعه ، وقال : ما كانت لك من حاجة فائتنا بها ، ثم إن الرجل خرج من عنده فلقى عثمان بن حنيف فقال له : جزاك الله خيراً ما كان ينظر فى حاجتى ولايلتفت إلىّ حتى كلمته فىّ ، فقال عثمان بن حنيف : والله وماكلمته فيك ولكن شهدت رسول الله ﷺ وأتاه رجل ضرير فشكا إليه ذهاب بصره فقال له النبى ﷺ : " أو تصبر فقال : يارسول الله أنا ليس لى طاقة وقد شق علىّ فقال له النبى ﷺ :" إئت الميضاء فتوضأ ثم صلى ركعتين ثم ادعو بهذه الدعوات فقال عثمان بن حنيف : والله ماتفرقنا وطال بنا الحديث حتى دخل علينا الرجل كأنه لم يكن به ضُر قط . ثم أذكر نبذة عن الأبدال والنجباء والأقطاب .

❁ الأبدال والنجباء والأقطاب ❁

الأبدال : فعن عبادة بن الصامت ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : " الأبدال فى هذه الأمة ثلاثون رجلاً قلوبهم على قلب إبراهيم خليل الرحمن " ، وقال : " الأبدال من أمتى ثلاثون بهم تقوم الأرض وبهم تُمطرون وبهم تُنصرون " ، وعن اليافعى ﷺ قال : سُمى الأبدال أبدال لأنهم إذا غابوا عن مكانهم تبَدل فى مكانهم صور روحانية تخلفهم . وقال سيدنا على بن أبى طالب كرم الله وجهه ﷺ : الأبدال بالشام والنجباء من أهل مصر والأخيار من الكوفة . وقال بعض العارفين : الصالحون كثير يخالطون العوام لصلاح الناس فى دينهم ودنياهم **والنُجباء** فى العدد أقل ، **والنُقباء** فى العدد أقل منهم وهم مخالطون للخواص ، والأبدال فى العدد أقل منهم نازلون فى الأمصار العظام ، لايكون منهم فى المصر إلا الواحد ، فطوبى لأهل بلد كان فيها إثنان منهم .

والأوتاد : واحد فى اليمن وواحد فى الشام وواحد فى المشرق وواحد فى المغرب ، والله سبحانه يدير القطب فى الآفاق الأربعة كدوران الفلك فى أفق السماء ، وقد سُترت

أحوال القطب الغوث عن العامة والخاصة غيرة من الحق عليه . وقد ورد لفظ النجباء فى رسالة عمر بن الخطاب إلى أهل الكوفة عندما عُزل عنها سعد بن أبى وقاص ، وولى مكانه عمار بن ياسر على الحرب ، وعبد الله بن مسعود على القضاء ، جاء فى هذا الكتاب : إنى قد بعثت إليكم بعمار بن ياسر أميراً ، وعبد الله بن مسعود معلماً ووزيراً وهما من النجباء من أصحاب رسول الله ﷺ من أهل بدر فاقتدوا بهما واسمعوا من قولهما ، وقد آثرتكم بعبد الله بن مسعود على نفسى .

❁ أولياء الله ومقاماتهم وأحوالهم ❁

❁ والواردات الإلهية ❁

فيقول الحق سبحانه وتعالى فى شأن الأولياء منبهاً للمؤمنين جميعاً ، بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْأَخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾ ﴾ سورة يونس .

وسُئِلَ سيدنا رسول الله ﷺ عن أولياء الله الذين لا خوف عليهم لاهم يحزنون ؟ فقال ﷺ : " الذين نظروا إلى باطن الدنيا حين نظر الناس إلى ظاهرها ، واِهتموا بآجل الدنيا حين اِهتم الناس بعاجلها ، فأماتوا منها ماخشوا أن يميتهم وتركوا منها ما علموا أن سيتركهم ، فما عارضهم من نائلها عارض إلا رفضوه ، ولاخادعهم من رفعتها خادع إلا وضعوه ، خَلَقتْ الدنيا فى قلوبهم فلم يجددوها ، وخربت بنيانهم فما يعمرونها ، وماتت فى صدورهم فما يحبونها بل يهدمونها فيبنون بها آخرتهم ، ويبيعونها ليشتروا بها ما يبقى لهم ، ونظروا إلى أهلها صرعى قد خلت بهم المَثُلات ، فما يرون أماناً دون ما يرجون ، ولا خوفاً دون مايجدون " صدق رسول الله ﷺ . وقال الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه ﷺ فيما كتبه إلى سيدنا سليمان الفارسى ﷺ يصف له الدنيا عند الأولياء مبيناً بقوله :" إنما مثل الدنيا كمثل الحية لين مسها قاتل سمها ، فأعرض عنها وعما يُعجبك منها لقلة ما يصحبك منها ، ودع عنك همومها لما تيقنت من فراقها ، وكن أسَرَّ ما تكون فيها أحذر ما

تكون منها ؛ فإنَّ صاحبها كلما اِطمئن فيها إلى سرور أشخص منها إلى مكروه . وقال سيدنا ابن عطاء : العارفون إذا بُسِطُوا أخوف منهم إذا قُبِضُوا ، وقال لايقف على حدود الأدب فى البسط إلا قليل . وكتب يوسف بن الحسين الرازى إلى الإمام الجنيد ﷺ يقول له : لا أذاقك الله طعم نفسك فإنك إذا ذقتها لا تذق بعدها خيراً أبداً . وقال سيدنا رسول الله ﷺ : " قال الله تعالى : يادنيا مُرى على أوليائى ولا تحلولى لهم فتفتنيهم ". وعن أبى هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : " رؤيا المسلم جزء من ستٍ وأربعون جزء من النبوة "، أى أن الوحى بدأ مع سيدنا رسول الله ﷺ بالرؤية ستة أشهر ، ثم كان يتنزل الوحى فى ثلاثاً وعشرين سنة ، أى نسبة الرؤية ست وأربعون جزء من النبوة ، يعنى مدة الرؤية قبل وحى النبوة ستة أشهر مدة تنزل وحى الرسالة ٢٣سنه ، لو قلنا ٢٣سنه × ٢ = ٤٦جزء ، يبقى ٤٦جزء ، يبقى ستة أشهر قبل الرسالة التى كان النبى ﷺ يختلى بها فى غار حراء ، يبقى نسبة ١: ٤٦ . عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : كشف

رسول الله ﷺ الستارة فى مرضه والصفوف خلف أبى بكر فقال : أيها الناس إنه لم يبق من مبشرات النبوة إلا الرؤية الصالحة ، يراها المسلم أو تُرَى له " . وأخرج البخارى عن أبى هريرة رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال : " إن الله تعالى قال: من عادى لى ولياً فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب إلىّ عبدى بشىء أحب إلىّ مما افترضته ، عليه ولايزال عبدى يتقرب إلىَّ بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ، ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى بها ، وإن سألنى لأعطينه ، ولإن استعاذنى لأعيذنه " . وأولياء الله هم أهل مقام التواضع فقد وصفهم الحق بقوله ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ۝٦٣ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمۡ سُجَّدٗا وَقِيَٰمٗا ۝٦٤﴾ سورة الفرقان . فعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : " يقول الله تعالى : إنما أتقبل الصلاة ممن تواضع بها لعظمتى ولم يتعاظم على خلقى وكف نفسه عن الشهوات

ابتغاء مرضاتى ، فقطع نهاره فى ذكرى ، ولم يبت مصراً على خطيئة ، يُطعم الجائع ويكسو العارى ، ويرحم الضعيف ويؤى الغريب ، فذاك الذى يضئ وجهه كما يضئ نور الشمس ، يدعونى فَأُلَبِّى ، ويسألنى فأعطى ، ويقسم علىّ فأبر قسمه أجعل له فى الجهالة علما ، وفى الظلمة نورا أكلؤه بقوتى وأستحفظه ملائكتى " صدق الله ورسوله .

مقام الأولياء فى التواضع .

يبين لنا سيدنا رسول الله ﷺ مقام الأولياء فى التواضع فيقول صلى الله عليه وسلم :" إنما الكرم التقوى وإنما الشرف التواضع ، وإنما الغنى اليقين ، والمتواضعون فى الدنيا هم أصحاب المنابر يوم القيامة ، إذا تواضع العبد رفعه الله إلى السماء السابعة ، ولايزيد التواضع العبد إلا رفعة فتواضعوا ليرفعكم الله ، وإذا رأيتم المتواضعون من أمتى فتواضعوا لهم ، وإذا رأيتم المتكبرون من أمتى فتكبروا عليهم ؛ فإن ذلك مذلةً لهم وصغار بهم " . وقد جاء فى الخبر بياناً جلياً عن مقام الأولياء فى الجنة " فقيل إن أهل الجنة بينما هم فى نعيمهم ، إذ سطع عليهم نور من

فوق ، أضاءت منه منازلهم كما تضئ الشمس لأهل الدنيا فينظرون إلى رجالٍ من فوقهم أهل عليين ، يرونهم كما يُرَى الكوكب الدُّرىُّ فى أفق السماء ، وقد فُضِلوا عليهم فى الأنوار والجمال والنعيم ، كما فُضِّلَ القمر على سائر النجوم فينظرون إليهم يسيرون على نُجُبٍ تسرح بهم فى الهواء يزورن ذا الجلال والإكرام ، فينادى هؤلاء ياإخواننا ما أنصفتمونا كنا نصلى كما تصلون ونصوم كما تصومون فما هذا الذى فضلتم به علينا ؟ فإذا النداء من قِبل الله عزوجل : إنهم كانوا يجوعون حين تشبعون ، ويعطشون حين تُرْوون ويَعْرون حين تُكْسُون ، ويَذْكُرون حين تَنْسُون ، ويَبْكُون حين تضحكون ، ويقومون حين تنامون ، ويخافون حين تأمنون ، بذلك فُضلوا عليكم اليوم ، فذلك قوله تعالى : ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ سورةالسجدة . وأولياء الله هم أهل الزهد فى الدنيا ، وأهل الرضا عن الله وهم أهلٌ لإحتمال المكاره فى الدنيا ؛ لذلك قال سيدنا أسلم بن يزيد الجُهَنى : إذا كان العبد

محتملاً للمكاره أورث الله قلبه نوراً ، قيل : وما ذلك النور قال : سراج يكون فى قلبه يفرق به بين الحق والباطل . وقال سيدنا أبو سلمان الدرانى ﷺ : لايزهد فى شهوات هذه الدنيا إلا من وضع الله فى قلبه نوراً شغله دائماً بأمور الآخرة ، وقال أيضاً : سيدنا أبو سلمان الدارانى : إن الله قد يكشف للعارف وهو نائم فى فراشه من السِّرِّ ويفيض عليه من النور مالايكشفه للقائم فى صلاته ، وإذا اِستيقظت فى العارف عين قلبه ، نامت عين جسده ؛ لأن العارف لايرى سوى الحق ، ويقول : إذا اِعتقدت النفوس على ترك الآثام جالت فى الملكوت ، وعادت إلى العبد بطرائف الحكمة من غير أن يؤدى إليها عالم علماً . يقول سيدنا أحمد بن الحوارى ﷺ : إن الله إذا أحب قوماً أفادهم فى اليقظة والمنام ؛ لأنهم طلبوا رضاه فى اليقظة والمنام . سُئل سيدنا الحارث المُحَاسبى فقيل له : صف لنا قلب من أحبه الله ؟ ــ أى قلب الولى ــ قال : قلوب الأولياء محبوسة يافتى فى سر الملاطفة مخصوصة بعلم المكاشفة ، مقلبة بتنعم النظر فى مشاهدة الغيب ، وحجاب العز ورفعة المنعة ، فهى قلوب

التى أسرت أوهامها بعجب نفاذ إتقان الصنع ، فعندها تصاعدت المُنَى ، وتواترت على جوارحها فوائد الغنى فانقطعت النفوس عن كل ميل إلى راحة ، وانزعجت الهموم وفرت من الرفاهة ، فَنُعِّمَتْ بسرائر الهداية ، وعُلِّمَت طريق الولاية ، وغُزِّيَت من لطيف الكفاية ، وَأُرسِلَتْ فى روضة البصيرة ، وأحلت القلوب محلاً نظرت فيه بلا عيان وجالت بلا مشاهدة ، وخُوطبت بلا مشافهة ، فهذا يا فتى صفة أهل محبة الله من أهل المراقبة ، والحياء والرضا والتوكل . فرضوان الله عليهم أجمعين .

أقسام حال الأولياء من حيث المقام .

وينقسم حال الأولياء من حيث المقام إلى قسمين :

ولى حق الله ، وولى المنة ، أى أولياء حق الله وأولياء المنة .

أولاً ولى حق الله : هو العبد المؤمن بعد أن تاب وعزم على الوفاء بتوبته ، قام بحراسة جوارحه السبع ، فهو يؤدى الفرائض ويحفظ الحدود ، ويقتصر على المباحات ، فإذا بلغ المحظور أعرض ونأى حتى استقام واستقامت جوارحه ، ثم نظر إلى باطنه فوجد نفسه محشوة بشهوات هذه الجوارح

فلم يأمن إن غفل عن حراسة جوارحه ساعة ، أن تستبد به وترمى به فى أودية المهالك ، فهو قائم فى عناء المجاهدة لايهدأ ولايستريح ، حتى إذا طال به الأمر ، قارن بين ما يجده فى نفسه وبين ما يصف أهل اليقين من أمور قلوبهم فلم يجد لديه شيئاً منها ، جعل يفكر متى يستطيع أن يستريح من هذه الحراسة ، ليفكر فى منن الله وصنائعه ويطهر قلبه من هذه الأدناس ، فليس بُدٌ من أن يقلع الشجرة من جذورها ، فيعزم على أن يرفض كل شهوة فى نفسه ، فهذه الجوارح السبعة لأنها شهوة واحدة تباح له فى صورة وتحظر فى صورة ، فإذا رفضها جميعها محظورها ومباحها ، استراح من حراسة نفسه وقعد وتطهر الباطن بعدما استقام له الظاهر ، وعمل على موت نفسه بمواكبها ، فعلم الله صدق الرفض من عبده وماذا يريد وهنا أول سعى للقلوب ، وتظهر أول خطوة من خطوات الولاية ، فمن صدق الله فى عزمه على رفض شهواته عبودية لله ، وأداءً لحق الله دون نظر إلى حظوظ نفسه فى هذا الرفض ، فتح الله له الطريق إليه ، وأشرقت أنوار

العطاء فى صدره ، ووجد العون على تحقيق عزمه ، وكان صدقه هذا أول خطوة فى طريق الولاية ؛ فإن الولاية لاتطلق على السالكين لهذا الطريق إلا إبتداءً من هذه الخطوة ، أما قبل هذه الخطوة فلا يطلق عليه وصف الولاية ويسمى ولى حق الله ؛ لأنه قام بحق الله .

ثم بعده نذكر أولياء المنة .

ثانياً أولياء المنة : أولياء الله أولياء الصدق ، فنقول وبالله التوفيق : بعد أن يستفرغ الصادق ولى حق الله ــ كما ذكرنا ــ مجهوده من الصدق فى سيره ، ويجد أن نفسه لاتزال حية ، تفرح بخلاصها من رق الشهوات وأحرقها روح القربة ، وأنوارها وأصبح بمأمن من العدو من تسلط الهوى وشهواته ، وأصبح فى محل طائفة الصديقين أولياء الله ، بعد أن اِستنفذ جهده وصدق بذل نفسه جاعلاً حق الله غايته ، وهدفه يرعاه هذه المعاناة الطويلة الشاقة فى طريق حق الله ، لاشك تترك أثرها فى قلب السالك فتطبعه بطابع الحق ، حتى يصبح الحق صفة من صفاته يسيطر على وجدانه ، ويهيمن على سلوكه

فلا ينطق إلا بالحق ، ولايسعى إلا إلى الحق ، ولايسكن إلا للحق ، وتزول عن نفسه أدناسها وعيوبها وآفاتها وتصبح نفسه سِلْماً له غير مستعصية ولاممتنعةً ولامخادعةً ، قد ذُلِلَتَ فَذَلَتْ وسَلِمت فاستسلمت ، وأصبحت فى طاعة القلب وسلطانه ، حسبما يرد عليه من أنوار المنة الإلهية فيحل بها من ذلك الإشراق خوف الله تعالى ، وخوف عقابه فتحل بها الرهبة ، ثم يزداد النور فتدخله العظمة فتحل بها الهيبة والخوف الخالص منه ، فتخشع لله وتصير تابعة للقلب فيرتقى العبد من ولاية حق الله إلى ولاية الله ، ومن مرتبة الصادقين إلى مرتبة الصِّديقين ، وتحرر منه عبودية النفس فى السماء الدنيا عند بيت العزة ، دون مراتب منتقلاً إلى محل الأحرار الكرام عند البيت المعمور ، فى حدود عليين على مراتب من العرش ، حسبما تقع مرتبته من هذه المراتب عساكر بعضها فوق بعض ، حتى ينتهوا إلى محل الأربعين حول العرش ، فهؤلاء هم أهل مرتبة أولياء الله أولياء الصدق . **وأما أولياء المنة** :المقربون والمجذوبون فقد يظن البعض ، أن طريق المجذوب سهل وميسر لاعناء

فيه ، وأنه يتخطى كثيراً من المراحل التى يلتزم المجتهد بالسير فيها ، وأنه يصل إلى منتهاه فى مثل لمح البصر وليس الأمر كذلك ، فالمجذوب حينما يصل إلى مرتبة القربة يؤخذ بما يؤخذ به المجتهد من خصال التربية التهذيب حتى تتم له ولاية الله ، بل إنه يؤخذ فوق ذلك بأمور أخرى تهيئ له أن يصبح من أهل القبضة ، حيث تنتهى العقول والقلوب وتنقطع الكلمات والعبارات ، وشأن المجذوبين يجذبهم الله إليه على طريقه فيتولى اِصطفائهم وتربيتهم ، حتى يصفى قلوبهم الترابية بأنواره ، كما يصفى جوهر المعدن بالنار حتى تزول ترابيته وتبقى النفس صافية ، حتى إذا بلغوا الغاية من الصفاء أوصلهم إلى أعلى المنازل ، وكشف لهم الغطاء عن المحل ، وأهدى إليهم عجائب من كلماته وعلومه ، ولايزال يتلطف بهم حتى يعودهم اِحتمال تلك الأهوال التى تستقبلهم من ملكه ؛ لأن النفوس والقلوب لاتحتمل مرة واحدة كل ذلك ، فإذا وصلوا إليه اِحتملوا الوصول والنجوى ، فالعطاء إذا ورد على العبد اِحتاج العبد إلى وقت يستبطن فيه هذا العطاء حتى يؤتى ثماره ، والعبد

يضطرب شوقاً إلى المزيد ، ولعله لوزيد لاضطرب حاله وفسد أمره ، ولم يستطع أن يتحمل فيتحول إلى غيرما يحب أو يرضى وهو لايدرى ، كما أنه لو انقطع عنه العطاء جملة فإنه يتوقف فى الطريق ، ولايستطيع مواصلة السير فمثله كمثل الصبى تضمه أمه إلى صدرها وتضع ثديها فى فيه ، فإذا شرب اللبن وعلمت كفايته قطعت عنه الثدى فهو بحرصه على ذلك يتلوى ويضطرب تجنناً إلى الثدى ، فربما كان اللبن مفسداً له ولاتحتمله المعدة فيرمى به قيئاً ، فالله أرحم بعبده وأرأف إذا فتح له قربه ثم قطعه عنه لايحتمل فيتحول فى هيئة المجانين ، فقلب المجذوب لايزال بدياً مسجوناً فى القبضة الإلهية ، لايقدر أن يصل إلى محله من الله تعالى ، من أجل أن النفس مشحونة بعجائب الأنوار فيتولى الحق تعالى هذه النفس بالرفق ، يغزوها قليلاً قليلاً على قدر ما تحمله من أنوار العطاء ، فيبدؤها بما يزيل عنها حلاوة الشهوات ، ثم بما يسكرها عن وجود حلاوة العطاء ، ثم بما يسكرها عن وجود حلاوة القرب وحينئذٍ تصل إلى مقام القرب ، تؤخذ فيه كما يؤخذ القلب

والمجذوب لم يعانى شيئاً من هذا فهو على اِصطفى الأنبياء يمر إلى الله ، والله يذهب به فالمجذوبين المجتبين طبقة بين الأنبياء والأولياء ، ويصل المُجتبى المجذوب إلى مقام الإنفراد : مرتبة القربة العظمى بين يدى الحق ، يُطلعه على بدء الأمر من قوله الظاهر والباطن ، فينطق فيه الحق وبه يعقل وبه يعلم وبه يعمل ، وهذا قول الرسول الكريم ﷺ عن رب العزة : " فإذا أحببت عبدى كنت فؤاده فبى يعقل وسمعه وبصره فبى يسمع ويبصر ويده فبى يبطش " رضى الله عنهم ونفّعنا بحبهم .

الواصلون إلى اللّه : ثم نذكر من هم الواصلون بوصفهم . الواصلون لما نفذت أرواحهم من ضيق الأكوان إلى فضاء الشهود والعيان ، وعرجت أرواحهم من عالم الأشباح إلى عالم الأرواح ، ومن عالم الملك إلى عالم الملكوت ، اِتسعت عليها دائرة أرزاق العلوم ، وفُتِحَتْ لها مخازن الفهوم ، فأنفقوا من سعة عطاياهم جواهر العلم المكنون ، ومن مخازن كنوزهم يواقيت السر المصون فاتسع لهم ميدان المجال ، وركبوا أجياد البلاغة وفصاحة

المقال ، فما أسرع الغنى لمن واجهته منهم العناية ، وما أعظم فتحٍ مَنْ لاحظته منهم الرعاية ، إن لله رجالاً من نظر إليهم سَعِدَ سعادة لايشقى بعدها أبدا ، وهم أهل السر والحال

السا ئرون إلى اللّه : أما السائرون إلى الله ؛ فلأنهم باقون فى ضيق الأكوان فى عالم الأشباح ، مسجونون فى سجن الوهم ، لم يفتح لهم شئ من مخازن الفهم مشغولون بجهاد أنفسهم ، ومعاناة تصفية قلوبهم ، مُضَيَّقٌ عليهم فى العلوم ، فإن جَدّوا فى السير وصلوا واِنتقلوا من ضيق الأكوان ، ورحلوا وتبختروا فى رياض العلوم ، وإن رجعوا من الطريق أو قصروا فقد خابوا وخسروا فيأيها المريد : إن أردت أن يتسع عليك علم الأذواق فاقطع عنك مادة الأوراق ، فما دمت متكلاً على كنز غيرك لاتحفر على كنزك أبداً ، فاقطع عنك المادة واِفتقر إلى الله تفيض عليك المواهب من الله (يعنى إن أردت بسط المواهب عليك صحح الفقر والفاقة لديك) . وقد قال الشيخ الدباسى ﷺ لتلميذه ميمون حين تأخر عنه الفتح ، فرصده يطالع رسالة القشيرى قال له : إطرح كتابك واِحفر فى أرض

نفسك يخرج لك ينبوع ، وإلا فاذهب عنى فمن عمل بما علم أورثه الله علم مالم يعلم ، فقد قال النبى الكريم فى شأن العلم الربانى الذى منحه الله لأوليائه بالأذواق ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إن من العلم كهيئة المكنون لايعلمه إلا العلماء بالله تعالى فإذا نطقوا به لاينكره إلا أهل الغِرة بالله " صدق رسول الله ﷺ. وقال سيدنا أبو بكر الواسطى فى قول الحق سبحانه﴿ : وَٱلرَّٰسِخُونَ ٱلْعِلْمِ فِى يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٧﴾ سورة آل عمران . فقال : هم الذين رسخت أرواحهم فى غيب الغيب وفى سر السر ، فعَرَّفَهُم ما عَرَّفَهُمْ وخاضوا فى بحار العلوم بالفهم لطلب الزيادة ، فانكشفت لهم ذخائر خزائن الغيب تحت كل حرف من كتاب الله وآية من كلام الله عجائب الإدراكات الوهبية ، فنطقوا بالحكمة البالغة والألفاظ السابغة ، أولئك حزب الله أولئك حزب الله . وقال بعض التابعين : أسرار الله تعالى لايبديها إلا لأمناء أوليائه من غير سماع ولادراسة . قال سيدى أبو العباس

المرسى ﷺ : شاركنا الفقهاء فيما هم فيه ولم يشاركونا فيما نحن فيه . وقال صلى الله عليه وسلم : " من مات وهو يطلب العلم ــ أى العلم النافع ــ ليس بينه وبين النبوة إلا درجة واحدة ، ومن توجه لأمر ولم يدركه فكأنما أدركه ، ومن مات فى طريق الحج فهو حاج ، ومن مات فى طريق الجهاد فهو مجاهد ، ومن مات فى طريق الله فهو شهيد " ، وقد سُئِل سيدنا رسول الله ﷺ : أى الأعمال أفضل ؟ قال : " العلم بالله ، قالوا يارسول الله : سألناك عن العمل قال العلم بالله ، ثم قال فى الثالثة : عملٌ قليلٌ كافٍ مع العلم بالله " ، وقال صلى الله عليه وسلم : " إن الله لايسأل الخلق عن ذاته وصفاته ولاعن قضائه وقدره ولكن عن أمره ونهيه " صدق رسول الله ﷺ . عن ثعلبة بن الحكم ﷺ عن رسول الله ﷺ قال : " يقول الله تعالى يوم القيامة للعلماء ــ أى للعلماء العاملين العارفين ــ إنى لم أضع علمى وحكمتى فيكم إلا وأنا أريد أن أغفر لكم على ما كان منكم ولا أبالى " صدق رسول الله ﷺ . وقد سأل سيدنا على بن أبى طالب النبى ﷺ عن سنته ؟ فقال صلى الله عليه

وسلم : " المعرفة رأس مالى ، والعقل أصل دينى ، والحب أساسى ، والشوق مركبى ، وذكر الله أنيسى ، والثقة كنزى والحزن رفيقى ، والعلم سلاحى ، والصبر ردائى ، والرضا غنيمتى ، الفقر فخرى ، والزهد حرفتى ، واليقين قُوتى والصدق شفيعى ، والطاعة حَسَبِى ، والجهاد خُلُقى ، وقرة عينى فى الصلاة " . صدق رسول الله ﷺ ، وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال فى قول الحق سبحانه : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ سورة فاطر. فقال : إنما يخشى الله من عباده العلماء قال : الذين يعلمون أن الله على كل شئ قدير ، وقال : العالم بالرحمن من لم يشرك به شيئا وأحل حلاله وحرم حرامه وحفظ وصيته ، وأيقن أنه ملاقيه ومحاسب بعمله . وقال سيدنا عبد الله بن مسعود : ليس العلم عن كثره الحديث ولكن العلم عن كثرة الخشية وعن الإمام مالك قال : إن العلم ليس بكثرة الرواية وإنما العلم نور يجعله الله فى القلب . وقال سفيان الثورى : العلماء ثلاثة ، عالم بالله عالم بأمر الله ، وعالم بالله ليس

بعالم بأمر الله ، وعالم بأمر الله ليس بعالم بالله ، فالعالم بالله العالم بأمر الله : الذى يخشى الله ويعلم الحدود والفرائض ، والعالم بالله ليس بعالم بأمر الله : الذى يخشى الله ولايعلم الحدود ولا الفرائض ، والعالم بأمر الله ليس بعالم بالله : الذى يعلم الحدود والفرائض ولايخشى الله عزوجل . ويقول بعض العارفين فى شرف العلم .

تعلم فإن العلمَ زَينٌ لأَهْلِه ... وَفَضْلٌ وَعُنْوانٌ لِكُلِ الْمَحَامِدِ
وكُنْ مُسْتَفِيداً كُلَ يَوْمٍ زِيَادَةً ... مِنْ الْعِلْمِ وَاسْبَحْ فى بِحَارِ الْفَوائِدِ
تَفَقَّه فَإِنَّ الْفِقْهَ أَفْضَلُ قَائِدٍ ... إلى البِرِ والتقْوى وأَعْدَلِ قَاصِدِ
هُوَالْعَلَمُ الْهَادى إلى سُنَنِ الْهُدَى ... هوالحِصْنُ يُنْجِى مِنْ جَمِيعِ الشَّدَائِدِ
فَإِنَّ فَقِيهَاً وَاحِداً مُتَوَرِعَاً ... أَشَدُّعلى الْشَيطَانِ مِنْ أَلْفِ عَابِدِ

قال الإمام برهان الإسلام المرغيانى فى شأن العالم الذى لايعمل بعلمه فيضل الأمة ، والجاهل الذى يعمل بجهله فتنة للأمة فقال فيهما :

فسادٌ كبيرٌ عالمٌ متهتكٌ ... وأكبر منه جاهلٌ متنسكُ
هما فتنةٌ فى العالمين ... لمن بهما فى دينه يَتَنَسَكُ

ومن جمال العلم فى العلماء ، وحكمة الأخذ والعطاء فيه ألاّ تعطى العلم إلا على قدر السائل ، واستعداده لتلقى العلم

بإنصافٍ لشهادةٍ للعلم ، ولا تعطيه أكبر من طاقته حتى لاتأخذه الحماقة ويسب العلم ، وقد قال صلى الله عليه وسلم :" أُمِرْنَا أَنْ نُخَاطِبِ الناس على قدر عقولهم " أى شرب العلم على قدر طاقة السائل وتحمله وأمانته للعلم ولذلك قال ابن عطاء الله : من رأيته مجيباً عن كل ما يُسأل عنه ، ومُعبراً عن كل ما شَهِد ، وذاكراً لكل ما عَلِمْ فاستدل بذلك على وجود جهله . وقد سُئِلَ الإمام مالك ﷺ عن اثنتين وثلاثين مسألة فأجاب عن ثلاث وقال فى الباقى لا أدرى فقال له السائل : وما تقول للناس ؟ فقال له : قل لهم قال مالك : لاأدرى . فإجابة كل سائل على كل مسائله جهل وضرر ، إذ قد يكون السائل متعنتاً لا يستحق جواباً ، وقد تكون المسألة التى سُئِلَ عنها لاتليق به ؛ لأنه لايفهمها ولايطيق معرفتها فتوقعه فى الحيرة والأفكار ، وخاصة العلم الربانى عند العارفين وهو علم الحكمة ، لايعطى إلا من تأهل للمقام لأخذ هذا العلم ، وإلا إن سب علم الحكمة فقد سب الله ورسوله ، فقد قال سيدنا رسول الله ﷺ : " لاتؤتوا الحكمة غير أهلها فتظلموها ، ولاتمنعوها أهلها فتظلموهم "

فالعلوم الربانية أذواق باطنية ، وأسرار روحانية لايفهمها إلا أربابها ، فذكرها لمن لايفهمها جهل بقدرها ، وهى سرٌ من أسرار الملك لايحل إفشائها إلا لأهلها ؛ ولذلك قال إمامنا سيدنا على زين العابدين ابن مولانا الإمام الحسين رضى الله عنهما :

يارب جَوهَرُ عِلْمٌ لو أبوحُ بِهِ ... لَقِيلَ لى أَنْتَ مِمَنْ يَعْبُدُ الوثَنَ
ولاَسْتَحَلَ رِجَالٌ مُسْلِمُونَ دَمِى ... يَرَوْنَ أَقْبَحَ ما يَأْتُونَهُ حَسَنَ
إِنِّى لأَكْتُمُ مِنْ عِلْمِى جَواهِرَهُ ... كى لايَرَى الحَقَ ذُو جَهْلٍ فَيُفْتَتَنَ

وقال الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه ورضى الله عنه : حَدِّث الناس بقدر ما يفهمون ، أتريدون أن يُكَذَبَ الله ورسوله ؟. وقد يرخص للعارف الماهر إلقاء الحقائق على من لايعرفها بعبارة رقيقة وإشارة لفيفة حتى لايأخذ السامع منها شيئاً يفتنه . وقال الإمام الجنيد ﷺ : علمنا محفوظ من أن يأخذه غير أهله . وقال إمامنا الإمام الشافعى رضى الله عنه :

سَأَكْتُمُ عِلْمِى عَنْ ذَوِى الْجَهْلِ طَاقَتِى ... ولا أَنْثُرُ الدُّرَ النَّفِيسَ على الْغَنَمْ
فَإِنْ يَسَرَ اللَّهُ الْكَرِيمُ بِفَضْلِهِ ... وَصَادَفْتُ أَهْلاً لِلْعُلُومِ وَلِلْحِكَمْ
بَثَثْتُ مُفِيداً وَاسْتَفَدْتُ وَدَادَهُمْ ... وإِلاَّ فَمَخْزُونٌ لَدَىَّ وَمُكْتَتَمْ
فَمَنْ مَنَحَ الْجُهَالَ عِلْمَاً أَضَاعَهُ ... وَمَنْ مَنَعَ الْمُسْتَوجِبِينَ فَقَدْ ظَلَمْ

الواردات الإلهية فى قلوب الأولياء

ثم نتحدث عن الواردات الإليهة فى قلوب الأولياء بمراتبها القلب بمعرفة الله محلاً لتجلى الواردات الإلهية ، وقد أشار ابن عطاء بقوله: إنما أورد عليك الوارد لتكون به عليه وارد ".

تعريف الوارد الإلهى وأقسامه :

نور إلهى يقذفه الله فى قلب من أحب من عباده . وهو على ثلاثة أقسام .

الأول : وارد الطالبين وهم أهل البداية .

الثانى : وارد السائرين وهم أهل الوسط .

الثالث : وارد الواصلين وهم أهل النهاية .

القسم الأول وارد الإنتباه : وهو نور يخرجك من ظلمة الغفلة إلى نور اليقظة ، وهو لأهل البداية من الطالبين . فإذا تيقظ من نومه وانتبه من غفلته ، استوى على قدمه طالباً لربه ، فَيُقْبِلُ عليه بقلبه وقالبه ويتجمع على الله بالكلية .

القسم الثانى وارد الإقبال : وهو نور يقذفه الله فى قلب عبده ، فيحركه لذكر مولاه ويغيبه عما سواه ، فلايزال مشتغلاً بذكره غائباً عن غيره ، حتى يمتلئ القلب بالنور

ويغيب عما سوى المذكور ، فلايرى إلا النور فيخرج من سجن الأغيار ويتحرر من رق الآثار.

القسم الثالث وارد الوصال : هو نور يستولى على القلب ثم يستولى على ظاهره وباطنه ، فيخرجه من سجن نفسه ويغيبه عن شهود حسه . وقال ابن عطاء رضى الله عنه فى وارد الإقبال : " أورد عليك الوارد ليتسلمك من يد الأغيار ويحررك من رق الآثار" ، أى ليؤنسك بذكره فإذا اشتغلت بذكره وغبت عن غيره ، أخرجك من سجن حظوظك وفك عنك وثاق هواك ، فهذه الأغيار يعنى ما هو غيره . " وحررك من رق الآثار" يعنى من تعلقك بالموجودات وما أظهرته لك من زخارفٍ إلى الموجود ، فإذا تسلمت من يد الأغيار إرتقيت إلى شهود الأنوار ، فالأنوار: أنوار الصفات لأهل الفناء فى الصفات ، وإذا تحررت من رق الآثار ترقيت إلى شهود الأسرار ، والأسرار: أسرار الذات لأهل الفناء فى الذات ؛ ولذلك قال الإمام الجنيد رضى الله عنه : " وجودى أن أغيب عن الوجود بما يبدو علىّ من الشهود " .

❁ الأحوال والمقامات عند أولياء الله ❁

ثم نذكر الأحوال والمقامات عند أولياء الله .

الأحوال : فالأحوال عند الصالحين معنىً يَرِدُ على الطلب من غير تعمد ولا اِجتلاب ولا اِكتساب .

المقام : والمقام ما يتحقق به العبد بمنازلته من الآداب مما يتوصل إليه بنوع تصرف ومقاساه تكلف ، وهو الترقى فى المقامات فى النفس والقلب ، وقد قال سيدى أبو نصر الطوسى ﷺ :" طريق الصوفية طريق الولاية مكون من المقامات السبع الآتية هى : الإخلاص ، التوبة الزهد الفقر ، الصبر ، التوكل ، الرضا ، وهذه المقامات جماع التربية الخُلُقية والزهدية للصوفى ، وهى غير الأحوال فالمقامات مكاسب تحصل ببذل المجهود ومكابدة الهوى ووقوفه دون تحقق رغبات النفس وشهواتها ، والحيلولة بينها وبين مألوفاتها . وأما الأحوال : فالأحوال عشرة المراقبة ، والقرب ، والمحبة ، و الخوف ، والرجاء والشوق ، والأنس ، والطمأنية ، والمشاهدة ، واليقين والأحوال : هى مشاعر روحية ، ومواهب ربانية تنزل

بالقلوب جزاءً لثواب الأعمال ، ولكنها لاتدوم وتتحول وتذهب وتجئ ، فإذا سكن القلب فى ذلك المعنى صار مقاماً وهو مكتسب من دوام العمل ، والمقامات المذكورة هى مناسك الطريق الصوفى ، يقطعها السالك واحدة بعد واحدة إلى أن يصل إلى آخرها ، فينقطع السلوك ولاتنقطع التجليات لأنها لا آخر لها ، وهذا معنى قوله : أن الترقى لاينقطع ولا بعد الموت . فحال السالك فى قطع المنازل كحال المسافر فى قطع مراحل الطريق المحسوسة ، فكما يحتاج المسافر فى سفره إلى الدليل العارف بالطريق ، والزاد والراحلة ، والرفاق ، والسلاح لإخافة العدو وإرهابه فكذلك السالك لابد من مرشد عارف بهذا الطريق ، قد سلكه وعرف خيره وشره ، ولابد له من زاد هو التقوى ، ولابد له من راحلة وهى الهمة ، ولابد من الرفيق وهم إخوانه الطالبون مطلبه ، ولابد له من سلاح وهو الأسماء ليرهب به عدويه الشيطان والنفس ، وكما أن المسافر يمر على بلاد ومدائن ، ويقيم فيها ثم يرحل عنها متوجهاً إلى طلبه كذلك السالك يمر فى سفره على المقامات المشهورة

المعروفة بين أهل الله تعالى ، وقد ذكر بعض الصالحين مقامات سبعة مرجعها إلى النفس .

مقامات النفس السبعة :

المقام الأول : **مقام ظلمات الأغيار** وتسمى النفس فيه الأمارة

المقام الثانى : **مقام الأنوار** وتسمىالنفس فيه باللوامة

المقام الثالث : **مقام الأسرار** وتسمى النفس فيه بالملهمة

المقام الرابع : **مقام الكمال** وتسمى النفس فيه بالمطمئنة

المقام الخامس : **مقام الوصال** وتسمى النفس فيه بالراضية

المقام السادس : **مقام تجليات الأفعال** وتسمى النفس فيه بالمرضية

المقام السابع : **مقام تجليات الصفات الأسماء**

..... وتسمى النفس فيه بالكاملة

العقبات الستة : ولايصل المريد إلى منازل القرب ولايرتقى فى هذه المقامات حتى يقطع ست عقبات .

العقبةالأولى : فطم الجوارح عن المخالفات الشرعية فبذلك يشرف على ينابيع الحكم القلبية

العقبةالثانية : فطم النفس عن المألوفات العادية فيتطلع على أسرار العلوم اللدنية .

العقبةالثالثة : فطم القلب عن الرعونات البشرية فتلوح له أعلام المناجاة الملكوتية .

العقبة الرابعة : فطم النفس عن الكدورات الطبيعية فيلمع له أنوار المنازلات القريبة .

العقبة الخامسة : فطم الروح عن البخورات الحسية تطلع له أنوار المشاهدات الحبية

العقبة السادسة : فطم العقل عن الخيالات الوهمية فحينئذ

..... يهبط على رياض الحضرة القدسية

..... ويغيب بما يشاهده من اللطائف الأنسية

..... عن الكثائف الحسية ، فإذا أرادك الحق

..... لخصوصيته الإصطفائية ، سقاك بكأس

..... محبته شربة تـزداد بهـا ظمـأً إليـه

وإذا قطع المريد هذه المقامات الست نقول : ترقـى مـع مقامـات النفس بالتزكية من النفس الأمارة إلى أن يصل إلى النفس الكاملة

مدائن القلب السبعة :

ثم يكون هناك ترقى مع الأنوار القلبية ، التى يقذفها الحق فى قلبه بالتجلى ، تكون هناك تجليات بالترقى بالأنوار فإن القلب هو معدن النور ، ومنبع المعرفة ومستقر سبع مدائن من مدائن النور ، تبدأ من الظاهر إلـى البـاطن ، أو مـن الخارج إلى الداخل ، وكلما تعمقنا كلما إقتربنا مـن معـدن النور ومنبعه ، ولكل مدينة من هذه المدائن باب ، وسِـتْر يحجبه ، ومفتاح يُفتح به

المسلسل	المدينة	الباب	الستر	المفتاح
الأولى	الفـؤاد	من نور الرحمـة	الجمـال	الإقـرار
الثانية	الضمير	من نور الرأفـة	الجـلال	التوحيـد
الثالثة	الغلاف	من نور الجـود	السلطان	الإيمـان
الرابعة	القلـب	من نور المجـد	الهيبـة	الإسـلام

الخامسة الشغاف من نور العطـاء القـدرة الإخـلاص

السادسة الحبـة من نور الإلوهية العظمـة الصـدق

السابعة اللبـاب من نور العطـف الحيـاء المعرفـة

المدينة الأولى : تسمى الفؤاد ، وبابـه مـن نورالرحمـة وسِتْرُه : هو الجمال ، ومفتاحه : هو الإقرار .

المدينةالثانية : تسمى الضمير. وبابه : من نـور الرأفـة وسِتْرُه : هو الجلال ، ومفتاحه : هو التوحيد .

المدينة الثالثة : تسمى الغلاف ، وبا به : من نور الجـود . سِتْرُه : هـو السلطان ، ومفتاحه هـو الإ يمان .

المدينة الرابعة : تسمى القلب ، وهى فى الوسـط ولـذلك يطلق على المدن السبعة القلب لأن وسط الشيء قلبه فيذكر الشئ بوسطه . وبابه : من نور المجد ، وسِتْرُه : هـو الهيبة ، ومفتاحه : هـوالإسلام .

المدينةالخامسة : تسمـى الشغاف ، وبابه من نورالعطـاء وسِتْرُه : هـو القدرة ، ومفتاحه : هو الإخلاص .

المدينةالسادسة : تسمى الحبة ، وبابها : من نورالألوهية وسِتْرُه : هو العظمة ، ومفتاحه هو الصدق .

المدينة السابعة : تسمى اللباب، وبابه : من نور العطف، وستْرُه : هو الحياء وهو من ستر الملك ومفتاحه : هو المعرفة ... أى تبدأ حركة العبد من بداية المدينة الأولى من الخارج بالإقرار وتنتهى بالمعرفة ، وساعة أن يرتقى إلى مقام المعرفة يرتقى إلى مقام الولاية ، بكل عطاياها من أسرار وأنوار وتمكين ، وبذلك يصير قلب الولى سليماً لايتوصل إليه الشيطان بشئ أبداً من أى وساوس أو شؤم أونفخ ، فقد حرم الله القلب على إبليس وجعله بيد الرحمن لكن آثاره تصل إليه من جريه فى العروق ، فمن أراد الله به خيراً قلع العروق من باطن قلبه ، فصار سليماً لايصله شؤم إبليس وظلمته . ويقول الإمام الترمذى ﷺ: " إن إبليس سأل ربه خِصلة فقال : ما هى ياإبليس ؟ قال السبيل على القلب ، قال الله : ذاك محرم عليك أن تدخله أو تسلط عليه ، لكن لك سبيل ومجرى إلى النفس فى العروق إلى حد القلب ، وأصل العروق فى النفس ورأسها فى القلب ، فإذا دخلت العروق وجريت فيها ، عرقت من ضيق المجرى وامتزج عرقك بماء الرحمة فى مجرى واحد ، وجرى إلى

القلب مع شؤمك ونفخك ونتنك وظلمتك ، ووصل إلى القلب سلطانك فغلبت صاحبه ، ومن أردتُ به خيراً أو اخترته لى ولياً أو صديقاً أو نبياً ، قلعت العروق من باطن القلب ونزعتها منه فصار القلب سليماً ، فإذا دخلت العروق وجريت فيها لم ينله شؤمك ، فرضى اللعين عليه لعنة الله " وإذا صار قلب الولى سليماً مشحوناً بالأنوار الإلهية والتجليات الربانية ، أصبح القلب مجهزاً لتلقى إيحاءات بمدد الوحى ، أى أصبح الولى له حظ من الوحى . فإن الوحى على أربعة أقسام .

أقسام الوحى .

القسم الأول : **وحى إلهام** ، القسم الثانى : **وحى إعلام**

القسم الثالث: **وحى منام** ، القسم الرابع : **وحى أحكام**

فقد شارك الأولياء الأنبياء فى ثلاثة ، وحى الإلهام ووحى الإعلام ، ووحى المنام ، شارك الأولياء فيهم الأنبياء ، أما الأنبياء والمرسلون اختصهم الله بوحى الأحكام بالإنفراد لأن فيه أحكام تنزلت فى كتاب الله من السماء على رسول فليس للأولياء حظ فى هذا العطاء وهو من وحى الأحكام

أما حظوظ الأولياء بالتجلى والعطايا مع وحى الإلهام ووحى الإعلام ووحى المنام ، يكون الولى ملهم بإلهامات يتجلى الحق على قلبه ، يكون له حظ فى الإعلام ، كما شاهدنا مع سيدنا آصف بن برخيا وزير سليمان ، كان وحيه الإعلام ، ساعة أن قال سيدنا سليمان :

﴿قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾﴾ سورة النمل . **فكان الذى قام بذلك**

﴿ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ﴾ **سورة النمل. فهذا وحى إعلام بالتمكين . ووحى المنام عند سيدنا إبراهيم الخليل**

﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾﴾ سورة الصافات (**يبقى هذا وحى ولذلك قام ينفذ**) ؛ **لأن وحى المنام عند الأنبياء وحى ووحى الإلهام عند السيدة الكريمة أم نبى الله موسى .**

﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾﴾ سورة القصص . **ولايحصل الظفر إلا بالطلب " حفت الجنة بالمكاره " كما ذكرنا أن الولى لايصل إلى هذا المقام من التجلى والإيحاء والعطاء إلا بالمجاهدات بالحب والعشق والتفانى ؛ ولذلك قال بعض الصالحين : مبيناً أن من عشق شيئاً حسناً جميلاً عظيماً ، فعليه أن يتفانى فى أن يقدم الأجر ، كمن أراد أن يتزوج عروساً من حسب ، ومن نسب ، ومن منصب ، نقول له جهز مهرك فكذلك يقول بعض الصالحين : من عشق المقام العالى فعليه أن يقدم من نفسه كل غالى ، فيقول بعض الصالحين :**

أَيُهَا الْعَاشِقُ مَعْنَى حُسْنُنَا ... مَهْرُنَا غَالى لِمَنْ يَخْطُبُنَ
جَسَدٌ مُضْنًى وروحٌ فى العَنَا ... وَجُفُونٌ لاتَذُوقُ الوَسَنَ
وفُؤَادٌ لَيس فيه غَيْرُنَا ... وإذا ما شِئْتَ أدى الثمنَ
فافنى إن شئت فناءً سرمداً ... فالفَنَا يُدْنِى إلى ذاك الفنَا
واخْلَعْ النعلين إن جئت إلى ... ذَاكَ الْحَىُ فَفِيهِ قُدْسُنَا
وعن الكونين كُنْ مُنْخَلِعَاً ... وأَزِلْ ما بَيْنَنَا مِنْ بَيْنِنَا

وإذا قِيلَ مَنْ تَهْوى فَقُلْ أنا من أهوى من أهوى أنا وهذه هى مرتبة الفناء ، وهناك مقامات أيضاً لأهل المحبة يرتقى إليها المحبوب ، فقد قال بعضهم : " من عشق اِشتاق " أى اِرتقى من مقام العشق إلى مقام الشوق ، فإن عَشَقَ أرقى من مقام الشوق يرتقى " ومن اِشتاق ذاق " يبقى اِرتقى إلى مقام الذوق ، ومن ذاق واِستغرق فى حلاوة الشئ ، فيظل فى مقام الإستغراق عاشقاً للطلب " ومن ذاق اِستغرق ، ومن اِستغرق اِغترف " حتى إن ارتقى بعد الإستغراق ، لايكتفى بالذوق لكنه يغترف فهذا مقام الإغتراف " ومن اِغترف عرف " اِرتقى إلى مقام المعرفة " ومن عرف عُرِفَ به " يعنى لايكون علم المعرفة كفاية له لذاته ولخدمته وحده ، يكون عطاء المعرفة لكل من أحبه وأحسن الظن والثقة به ، وأنه ينهل من مناهل اليقين وأنه مقرب ، يعطيه البيعة بحسن الظن ، بأن يأخذ منه وأن يلتزم معه الأدب ، كما كان بين نبى الله موسى وإمامنا الخضر عليهما السلام " ومن عرف عُرِفَ به ، ومن عُرِفَ به يختم له من رسول الله ﷺ بثلاث أختام ، فى الأولى يقول له : "

إستخلصناك ، وفى الثانية يقول له : قربناك يعنى مُخْلَص ومقرب ، وفى الثالثة : أطلقناك يعنى أصبحت مطلق كل قول تقوله فهو مدد من رسول الله فيك ، أصبحت وارثاً من الوارثين لسيدنا رسول الله ﷺ ، والوارث له حظ فى كل عطاء من كل مقام ، أصبح له حظ من ميراث سيدنا رسول الله ﷺ وما ينطق عن الهوى ، وبذلك أصبح أميناً لله فى الملك والملكوت على أسرار الله فى رسالاته السماوية ويصدق فيه حديث سيدنا رسول الله ﷺ : " علماء أمتى كأنبياء بنى إسرائيل " وإذا ارتقى الولى إلى هذا المقام يكون كل همه وشاغله مولاه ، فلا يكون عنده وقت فى غير ذكر الله حتى وقت طعامه ، يقول : وقت الطعام أريد أن أبذله فى ذكر الله وتسبيحه خير من أن آكل ؛ لذلك سيدنا على بن أبى طالب كرم الله وجهه يقول للسيدة فاطمة بنت سيدنا رسول الله ﷺ :" يافاطمة إذا صنعت طعاماً فميعيه أى اِجعليه مائعاً خفيفاً ــ فتة تكون فى ميه الواحد يبلعها علشان ما تاخدش وقت ــ فإن بين المائع واليابس خمسين تسبيحة (يعنى كان القياس بتاعهم بأن إِلْلِى بيتبلع وما يمضغ على

الأسنان خمسين تسبيحة بيحسبوه بالتسبيحة) . وقال سيدنا أبو على الجرجانى : ما مضغت الخبز منذ أربعين سنه وإنما أسف السويق وأعود لذكر الله تعالى ، قال : وقد كنت عددت مابين البلع والمضغ ستين تسبيحة ﷺ ، وذلك حتى لايضيع منهم وقت مع لذة الدنيا ، فإنهم يريدون أن يكون وقتهم كله مع الله ذكر وتسبيح . وقد قال ابن عطاء فى حكمه : " ما فات من عمرك لاعِوض له ، وما حُصِّلَ لك منه لاقيمة له " أى أن عمر المؤمن هو رأس ماله وفيه ربحه وخسرانه . وقال سيدنا على كرم الله وجهه : " بقية عمر العبد مالها ثمن ، يدرك بها ما فات ، ويُحيى بها ما مات " وقال الإمام الجنيد ﷺ : الوقت إذا فات لايستدرك وليس شئٌ أعز من الوقت . وفى معناه قيل : السباق السباق قولاً وفعلاً ، حذر النفس حسرة المسبوق . ومن خلال هذا المقام المعظم المبجل مقام المعرفة ، أصبح العارف مسئولاً بأن يأخذ بيد كل من قصده إلى طريق المعرفة ، فعلى قدر صدق المريد معه فى البيعة بالإخلاص وحسن الظن والثقة ينال منه الكسب والقرب والوصل

ولذلك يقول سيدنا محيى الدين بن العربى ﷺ : فى هذا المقام :

تَوضَأ بِمَاءِ الغَيْبِ إِنْ كُنْتَ ذا سِرٍ ... وإلاَّ تَيَمَمْ بِالصَعِيدِ أو الصَّخْرِ
وَقَدِّمْ إِمَاماً كُنْتَ أَنتَ إِمَامُهُ ... وصلى صَلاةَ الْفَجْرِ فىأولِ العَصرِ
فَهَذِىصَلاةُ الْعَارِفِينَ بِرَبِهِمْ ... فَإِنْ كُنْتَ مِنْهُمْ فَانْضَحِ البَرَّ بِالْبَحْرِ

يعنى إن كنت من العارفين إنضح البر بالبحر ، البر هم الذين لم يصلوا إلى مقام المعرفة إنضحهم ، يعنى خذ من علوم المعرفة ، ومن أسرار المعرفة ، وعَلِّمْهُم وخذ بيدهم إن قصدوك بصدق ، ولايُنَال هذا المقام ، وهذا العطاء إلا بالحب الخالص الصادق لله ولرسوله ، وتطهير القلب مما سوى الواحد ؛ ليستقبل أنوار التوحيد من مدد كلمة التوحيد كما قال بعض العارفين فى أسرار كلمة التوحيد فى قلبه :

أتانى هواها قبل أن أعرف الهوى... فصادف قلباً فارغاً فتمكنا

وإن صنيع الحب بين العارفين من أهل الأدب الجم كان بينهم الحب هو السائد القائم فى الرباط بينهم ، حتى أن بعض الصالحين كتب رسالة أرسلها إلى محبوب يحبه فكتب إليه يقول : لسانى رطب بذكرك ومكانك من قلبى معمور بمحبتك . وسمع بعض المشايخ مريد يقول لأخيه : إنى لأحبك قال : ولما لا تحبنى وأنا أخوك فى كتاب الله

ووزيرك على دين الله ومؤنتى على غيرك . ودخل أعرابى على بعض الصالحين وقلبه ممتلئ بالمحبة الصادقة للصالحين فقال له الأعرابى : أحبك حب لو بليت ببعضه أصابك من وجد علىّ جنون ، لطيف مع الأحشاء أما نهاره فسبت وأما ليله فأنين . هذا هو الصدق المطلوب فى المحبة لعباد الله الصالحين وآل بيت النبى الأطهار ؛ لأنهم أحبوا الله فصدقوا مع الله فى المحبة ، فأحبهم الله وقذف فى كل قلب محبتهم ، ومن أقوال بعضهم فى محبتهم لله يصف حاله فيقول :

قُلُوبٌ بَرَاهَا الْحُبُ حَتَّى تَعَلَّقَتْ مَذَاهِبُهَا فى كُلِ غَرب وَشَارِقِ
تَهِيمُ بِحُبِ اللهِ واللهُ ربها مُعَلَقَةً بِاللهِ دُونَ الخَلاَئِقِ

فى تواضع بعض الصالحين ، دخل عليه رجل فقال له : جئتك ياسيدى وأنا لا أرى فى الكون من هو أرقى منك فى الإمامة والسيادة ، فقال له : يا ولدى إذا ارتقى العبد إلى مقام القرب ، فقد ارتقى إلى مقام الفقر إلى الله ، فلايرى نفسه إلا فقيراً ؛ فإن أردت أن تخاطبنى فخاطبنى باسم الفقير؛ فإن فيه الفخاركل الفخار ؛ فإن الله تبارك وتعالى

خاطبنا به بقوله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴿١٥﴾ ﴾ فكلما ارتقى العبد إلى ربه بالمقام والقرب والحب ارتقى فى الفقر إليه ، وقال له : يابنى هذا الاسم فى كل حرف من حروفه وصف للعبد المقرب فاسمع منى فاء الفقير: فناؤه فى ذاته وفراغه من نعته وصفاته والقاف : قوة قلبه بحبيبه ، وقيامه لله فى مرضاته ، والياء يرجوا ربه ويخافه ، ويقوم بالتقوى بحق تقاته ، والراء رقة قلبه ، وصفائه ورجوعه لله عن شهواته . ومن كان هذا حاله ، وهذا مقامه وهذا تواضعه ؛ فإنه يؤول إلى النبى ﷺ بالقرب ؛ لأن الحبيب المصطفى ﷺ قال : " أنا جد كل تقى " ، وما دام يؤول إلى النبى فإن كل ولى من أمة محمد نراه أنه من آل بيت النبى ، وجبت على كل مسلم محبته وتقديره وتعظيمه واحترامه ؛ لأن بمحبة العبد لآل بيت النبى ينال بها كل قرب وعطاء فى الدنيا والآخرة ، فقد روى فى الكشاف عن حب آل بيت النبى أن رسول الله ﷺ قال : " من مات على حب آل محمد مات شهيداً ، ألا ومن

مات على حب آل محمد مات مغفوراً له ، ألا ومن مات على حب آل محمد مات تائبا ، ألا ومن مات على حب آل محمد مات مؤمناً مكتمل الإيمان ، ألا ومن مات على حب آل محمد مات يبشره ملك الموت بالجنة ثم منكرٍ ونكير ، ألا ومن مات على حب آل محمد يزف إلى الجنة كما يزف العروس إلى بيت زوجها ، ألا ومن مات على حب آل محمد مات يفتح له فى قبره بابان إلى الجنة ، ألا ومن مات على حب آل بيت محمد مات على السنة والجماعة ، ألا ومن مات على حب آل محمد جعل الله قبره مزار ملائكة الرحمة ، ألا ومن مات على بغض آل محمد مات كافراً ، ألا ومن مات على بغض آل محمد لم يشم رائحة الجنة " صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم . نسأل الله تبارك وتعالى أن يرزقنا محبة الله ومحبة رسوله ومحبة آل بيت رسوله الأطهار وأن يمدنا بكل مدد أمد به أحبابه وأوليائه .

الإيذاء الشديد فى حياة الولىِّ قبل الولاية

وإن أولياء الله الصالحون الذين ارتقوا إلى مقام القرب يتعرضون لإيذاء شديد فى حياتهم من الناس الذين أضلهم

العمى عن رؤيتهم ، كما تعرض الأنبياء من قبل للمساءت والإيذاءت من الناس والإعتداءت ، ويتعرض الولى وهو فى طريقه فى المجاهدة ، ثم بعد أن يرتقى لمقام الولاية يتعرض لايذاء أكبر من ذلك ، فالأذى وهو فى حياته قبل الولاية فى المجاهدات يكون من عداوة الشيطان والناس والنفس والهوى ، ويتعرض الولى فى حياته قبل أن يرتقى لمقام المُخلَص لله فى حضرته وإلى مقام الولاية ؛ فإن إذاية الخلق هى إحدى القواطع التى قطعت الناس عن الولاية ولا يَعْبُر عليها إلا الصِديقون ومن القواطع الشيطان والنفس ؛ فقد قال ابن عطاء الله فى حكمه : " إذا علمت أن الشيطان لا يغفل عنك فلا تغفل أنت عمن ناصيتك بيده " يعنى لا تغفل عن ربك . واعلم أن الحق سبحانه وتعالى جعل بحكمته الشيطان والنفس والناس حراس الحضرة ، فلا يدخل للحضرة حتى يخرق فيهم ويجوز عنهم ؛ لأنهم واقفون بالباب وكَلَهُمْ الله بباب حضرته ، و قال لهم : لا تتركوا أحداً يدخل إلا من يغلبكم فوقفوا بالباب ، فإذا جاء من يريد الدخول تعرض له الخلق فيعيبون له الطريق وينكرون من

يعرفها ، فإذا غلبهم جاءه الشيطان يُطَولُ عليه مدة الفتح ويخوفه من الفقر ، ويقول له : متى يُفْتح عليك ؟ قيل يكون وقيل لا يكون ، فإذا غلبه وزاد تعرضت له النفس تقول له : كيف تترك دنياك وجاهك وعزك إلى شىء يكون أو لا يكون ؟ فإذا غلبها قال له الحق : مرحباً بك وأهلاً ، لكن القواطع لا يزول طمعها عنه حتى يسكن فى الحضرة ؛ لذلك قالوا والله وما رجع من رجع إلا من الطريق ، أما من وصل فلا يرجع ؛ فقد قال الله تعالى : (إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدو) ففهم قوم أن الشيطان عدو فاشتغلوا بعداوته ففاتهم محبة المحبوب ، وقوم اشتغلوا بمحبة المحبوب فكفاهم عداوة العدو ؛ لأنه حين قال : إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدو، فإن من المعنى وأنا لكم حبيب فاشتغلوا بمحبتى أكفيكم من عدوكم . وقال سيدى أحمد زروق ﷺ : إن الشيطان يندفع بالتوكل والإيمان . قال تعالى : (إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا على ربهم يتكلون) وقيل الشيطان كلب إذا اشتغلت بمقاومته مزق الإهاب وقطع الثياب وإذا رجعت إلى ربك صرفه عنك برفق . قال سيدنا ذو النون

المصرى ﷺ : إن كان الشيطان يرانا من حيث لانراه فالله يراه من حيث لايرى الله فاستعن بالله عليه ومن عرف الله ذاب الشيطان من نوره فلم يبقى يعرف إلاالله ؛ لذلك قال بعضهم : نحن قوم لانعرف الشيطان قيل له : أوليس قد ذكره الله فى كتابه ؟ قال : ولكن اشتغلنا بالله فكفانا الله أمره حتى نسيناه .

حِكَمْ تسليط الشيطان على الإنسان :

ولذلك يقول ابن عطاء الله ﷺ : جعل لك عدواً ليحوشك به إليه فالله سبحانه لم يخلق شيئاً عبثاً فإيجاد الشيطان له حِكَم

أولها : إنحياش عباد الله إليه ؛ لأن العبد الضعيف إذا رأى عدواً يطلبه هرب إلى سيده والتجأ إلى حصنه فيكفيه أمره .

ثانياً: قيام الحجة على عباده ، فإذا خالفوا أمره قال لهم : إتبعتم عدوى وعصيتم أمرى قال تعالى : ﴿ قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ ۖ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾ ﴾ .

ثالثاً: كونه منديلاً للعار تَمسح فيه أوساخ الأقذار وكذلك النفس والدنيا .

رابعاً : ظهور مزية المؤمن بمجاهدته ومحاربته ، فهذه حِكَم تسليط الشيطان على الإنسان .

حِكَمْ تسليط النفس على الإنسان :

وقال ابن عطاء الله فى ظهور النفس : وحرك عليك النفس ليديم إقبالك عليه . إنما حرك الحق عليك النفس ليدوم إقبالك وتوجهك إليه ؛ لأن النفس لما غلبت عليها البشرية جرتها إليها فهى دائماً تهوى بك إلى أرض الشهوات وأنت دائماً تريد أن تعرج إلى سماء الحقوق والواجبات ، وهى تريد أن تركن إلى أصلها ، هى تريد التسفل وأنت تريد الترقى فهذا معنى (دام إقبالك عليه) ، فلولا ميادين النفوس ما تحقق سير السائرين ؛ فقال بعض الصالحين : النفس والشيطان نعمتان فى الباطن إذ لولاهما ما تَحَرَكْتَ إليه ولا تحقق سيرك إليه ، وقال شيخنا الإمام محيى الدين بن العربى ﷺ : إذا اشتكى إليه أحدُ بالنفس يقول : أما أنا فجزى الله النفس عنى خيرا ، ما علىّ إلا فضل الله وفضلها والله ما ننسى جميلها . لأن عداوتها له كانت تحركه إلى الله بمحبته لله . والنفس والشيطان نقمتان فى الظاهر لمن

وقف معهما وحجب بهما ، فالنفس والشيطان والدنيا والناس قواطع لمن قطعوا الطريق موصلات للحضرة لمن وقف للتحقيق ، والنفس أصعب من الشيطان ؛ لأنه عدو متصل أنت به شفيق ، فهى أقبح من سبعين شيطاناً فى قطع الطريق . وقال سيدى أحمد بن سهل أعداؤك أربعة

أولها : الدنيا وسلاحها لقاء الخلق وسجنها الخلوة .

ثانيها : الهوى وسلاحه الكلام وسجنه الصمت .

ثالثها : الشيطان وسلاحه الشبع وسجنه الجوع .

رابعها: النفس وسلاحها النوم وسجنها السهر .

وقد قال بعض الصالحين فى ذلك :

إنى ابتُليتُ بأَرْبَعٍ يَرْمِينَنَى بِالْنُبْلِ عن قَوْسٍ له تَوْتِيرُ
إِبْلِيسُ ونفسى والدنيا والهوى يارب أنتَ على الخَلاصِ قَدِيرُ

هذا الأذى الذى ذكرناه هو الأذى الذى يقع بالعبد وهو فى سلوكه إلى الله لطلب الظفر بالولاية ، يعنى هذا الأذى قبل أن يرتقى لمقام الولاية ، وهو فى طريقه إليها ولكن بعد مقام الولاية ، ولى الله يتعرض لأذى أكبر من ذلك فنتحدث عن الأذى لأولياء الله .

الإيذاء الشديد فى حياة الأولياءبعد الولاية

اعلم أن أولياء الله حكمهم فى بدايتهم أن يسلط الخلق عليهم ليتطهروا من البقايا ، وتكمل فيهم المزايا حتى لا يميلوا إلى اِعتماد أواستناد على مخلوق ، فمن آذاك فقد أعتقك من رق إحسانه ، ومن أحسن إليك فقد اِسترقك وجود اِمتنانه ، ولذلك قال رسول الله ﷺ : " من أسدى إليكم معروفاً فكافئوه فإن لم تقدروا فادعوا له " صدق رسول الله ﷺ ، وقال بن عطاء ﷺ : إنما أجرى الأذى عليهم لكى لاتكون ساكناً اليهم ، أراد أن يزعجك عن كل شىء حتى لايشغلك عن شىء . ومعنى ذلك أن الروح إذ ركنت إلى هذا العالم السفلى وسكنت فيه وأحبت ما فيه ، تعذر نقلها إلى عالم الملكوت الذى هو العالم الروحانى ، لما ألفته من حب الأهل ، والأولاد ، والأصحاب ، والعشائر ، فمن حكمة الله تعالى ولطفه وإبراره بوليه أن يحرك عليه ما ركنت إليه نفسه وألفته روحه الأحب فالأحب ، فأول من ينكر الولى أهله وأولاده ، ثم جيرانه ، وأصحابه ، ثم ينكره العالم بأسره ، فإذا رأت الروح أن هذا العالم أنكرها وضاق عليها

رحلت إلى مولاها ولم يبق لها تشوق إلى هذا العالم أصلاً فحينئذ يكون وصلها ويتحقق فنائها وبقائها ، فلو بقيت النفس على ما هى عليه من السكون تحت ظل الجاه والعز ما رحلت من هذا العالم أصلاً وكلما قوى على الأولياء الأذى دل على علو مقامهم عند المولى ، فإنما أجرى الحق سبحانه الأذى على أيدى الخلق إليك ، إذ هو المجرى والمنشئ فلا فاعل غيره ، كى لا تكون ساكناً بقلبك إليهم فيعوقك ذلك عن العروج إلى الملكوت ، وأراد الحق أن يزعجك عن كل شئ من هذا العالم حتى لا تركن إلى شئ ولا يشغلك عن شهوده شئ ، إذ محال أن تشهده وتشهد معه سواه أو تحبه وتحب معه سواه ، أبت المحبة أن تشهد غير محبوبها ، فإذا تمكنت المحبة وكمل الشهود ردهم إلى عباده مرشدين إليه لله . وقال سيدى أبا الحسن : اِهرب من خير الناس أكثر من أن تهرب من شرهم ، فإن خيرهم يصيبك فى قلبك ، وشرهم يصيبك فى بدنك ، ولأن تصاب فى بدنك خير من أن تصاب فى قلبك ، ولعدو تصل به إلى الله خير من حبيب يقطعك عن الله . وتسليط الخلق على

أولياء الله فى مبدأ طريقهم سنة الله فى أحبابه وأصفيائه حتى أن سيدى أبا الحسن قال وهو فى حزن : اللهم إن القوم قد حكمت عليهم بالذل حتى عزوا ، وحكمت بالفقد حتى وجدوا ، ثم قال ﷺ : مما يدلك على أن ذلك سنة الله فى أحبابه أصفيائه قوله تعالى : ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾ ﴾ وقال سيدى أبا الحسن ﷺ : أذانى إنسان مره فضقت زرعاً بذلك فنمت فرأيت يقال لى : مِنْ علامة الصديقية كثرة أعدائها ثم لايبالى بها . وقال بعض العارفين : اِعلم أن النفس شكلها استحلاء الإقامة فى مواطن العز والرفعة ، فلو تركها الحق لهلكت فأزعجها عن ذلك بما سُلِط عليها من أذى المؤذين ومعارضة الجاحدين ، وفى ذلك المعنى يقول :

عِدَاتِى لَهُمْ فَضْلٌ عَلَىّ وَمِنَّةٌ ... فَلا أَبْعَدَ الْرَحْمَنُ عَنَى الأَعَادَىَ

فهم بحثوا عن ذلتى فاجتنبتها ... وهم نافسونى فارتكبت المعالى

فالولى يحتمل الأذى من الناس ولايرد عليهم إيذائهم فهو مع الله ؛ ولذا قال بعضهم :

إذا كُنْتَ تَبْغَى الْمُنَى ... وراحة القلبِ مع الأنسِ

فَكُنْ مَعَ الْحَقِ بِلا خَلْق ... وَكُنْ مَعَ الْخَلْقِ بِلا نَفْسِ

ومن أشرف أخلاقهم إحتمال الأذى من الخلق مع المصافاة ؛ لذلك قال بعضهم : ما أوتى أحد بعد الإيمان أفضل من الصبر على الأذى . وروى عن سيدنا عيسى عليه السلام قال : من أحتمل كلمة سفه كتبت له عشر حسنات . وقال سيدنا محيى الدين بن العربى ﷺ : إذا أذن الله للعارفين فى الشفاعة يوم القيامة فأول ما يبدءون به فى الشفاعة فيمن كان يؤذيهم فى دار الدنيا ليحصل هناك من مزيد الخجل حين يرى ميزاتهم عند الله وقربهم منه ، فيندموا على ما وقع منهم فى حقهم . وقيل : من كظم غيظه أمن من الندامة وفاز بالكرامة . فالأولياء جعلوا نفوسهم كالأرض يطأها البر والفاجر ، ولذلك قال سيدى ذو النون المصرى ﷺ فى مقام الأولياء قال : هم أهل مقام الرضا عن الله ، ثم قال : ثلاثة من أعلام الرضا ترك الإختيار قبل القضاء وفقدان المرارة

بعد القضاء وهيجان الحب فى حشو البلاء . أى لا يصنع به البلاء وشدته إلا مزيداً فى محبة الله سبحانه . وسئلت السيدة رابعة العدوية متى يكون العبد راضياً ؟ فقالت : إذا سرته المصيبة كما سرته النعمة . وهم أيضاً أولياء الله أهل مقام الرضا عن الله فى كل ما قسم فلا يتمنون فوق منزلتهم وقال فى ذلك سيدنا الفضيل بن عياض لبشر الحافى : الرضا أفضل من الزهد فى الدنيا ؛ لأن الراضى لايتمنى فوق منزلته . فهم أهل الرضا التام عن الله سبحانه . وأولياء الله هم أهل العزة بطاعتهم لله لقول الله سبحانه بعد أن ذكر آيات الولاية فقال : ﴿ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْأَخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾ ﴾ سورة يونس قال : ﴿ وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ۘ إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ۚ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦٥﴾ ﴾ سورة يونس . فهذه العزة ممنوحة لأولياء الله . وقد قال سيدنا على بن أبى طالب كرم الله وجهه فى هذا الشأن : من أراد الغنى بغير مال والكثرة بغير عشيرة ، فلينتقل من ذل المعصية إلى عز

الطاعة . وانظر إلى أحوال نبينا صلى الله عليه وسلم وما رأى من الأذى من قريش بمكة ثلاثة عشر عاماً ، ثم بعد الهجرة لم تكن له راحة بين جهاد ، وتعليم ومعاناة أحبار ويهود ، وكذلك أصحابه معه ، وبعده لم تكن لهم راحة وأعظمهم ماتوا مقتولين أى اِستشهدوا ، فقد مات الصديق مسموما ، ومات عمر مقتولا وعثمان مذبوحا ، وعلى مضروباً بالسيف ، والحسن مسموما والحسين مقتولا والجنيد وأصحابه سُعِىَ بهم إلى السلطان ، وأُتِىَ بالسيف ثم لطف الله بهم ، قصة محنة الصوفية فى زمن الجنيد سنذكرها إن شاء الله ، وهذه سنة الله لأوليائه وأنبيائه هم أشد الناس بلاءً ، وقضية شيخ شيوخنا القطب الشهيد سيدى ابن مشيش مات مقتولا ، وسيدى أبا يزيد البسطامى أخرجه السلطان من مدينة بسطام مراراً ثم يعود إليها . وقال بعض العارفين : إذا أراد الله ظهور الحق جعل من خلقه من يعانده ويريد إخماده ، فيكون ذلك سبباً لظهوره وإيضاحه ؛ ولذلك سلط الله على كل نبى عدواً من المجرمين وعلى الأولياء كذلك . وقال بعض العارفين :

إذا أراد الله نشر فضيلةٍ طُويَتْ أتــاحَ لهــا لِسَــانَ حَسُــودِ
لولا اِشْتِعَالُ النارِ فيما جَاوَرَتْ ما كَانَ يُعرفُ طِيــبُ عُــرْفِ الْعُــودِ

علامة تأييد الله لأوليائه :

والله يؤيد الحق بأهله ، وأهله به ، علامة التأييد هو حفظ التوحيد فى أوقات الشدة ، بحيث يكون إبراهيمياً ؛ فإذا رُمى فى نار الجلال ، وتعرض له الكون يقول : ألك حاجه ؟ يقول له العارف بالله : أما إليك فلا وأما إلى الله فبلى ، فحينئذ يقول الله لنار الجلال : يا نار كونى برداً وسلاماً على ولىٍّ فينقلب حرها برداً وسلاماً . وقد قال سيدنا الخليل إبراهيم عليه السلام : ما رأيت نعيماً قط مثل تلك الأيام التى كنت فيها فى النار . كذلك نار الجلال ليس يشببها نعيم حين تنقلب برداً وسلاماً ، أى برد الرضا وسلام التسليم ويكمل النعيم . وقال بعض العارفين : عداوة العدو حقاً هى اشتغالك بمحبة المحبوب حقاً ، فإذا اِشتغلت بعداوة العدو فاتتك محبة الحبيب ونال عدوك مراده منك . وكتب إمامنا الشعرانى رضي الله عنه إلى شيخ له بالمغرب ، يشكو له إذاية الخلق فكتب له الشيخ : لا تشتغل بمن يؤذيك قط واشتغل بالله يرده عنك

وقد غلط فى هذا الأمر خلق كثير ، واِشتغلوا بمن آذاهم فطال الأذى مع الإثم ، ولو أنهم رجعوا إلى الله لكفاهم أمرهم ولردهم عنهم والسلام . وقال شيخنا المجذوب رضي الله عنه :

النــاسُ قــالوا لــى بِــدْعِىّ وأنــا طريقــى مَنْجُــورَ
إذا صَــفَيْتُ مــع ربــى العبــدُ مامِنْــهُ ضَــرُورَ

وقال سيدى أبا الحسن : لا تنشرعلمك ليصدقك الناس وانشرعلمك ليصدقك الله ، وكفى بالله صادقاً ومصدقاً وكفى بالله عالماً ومعلماً ، وكفى بالله هادياً ونصيرا ووليا ، هادياً يهديك ويهدى بك ويهدى إليك ، ونصيراً ينصرك وينصر بك ولا ينصر عليك ، ووليا يواليك ويوالى بك ولا يوالى عليك رضى الله عنك سيدى يا أبا الحسن . وقال ابن عطاء فى حكمه : متى آلمك عدم إقبال الناس عليك ، أو توجههم بالذم إليك فارجع إلى علم الله فيك ، فإن كان لا يقنعك علمه فيك فمعصيتك بعدم قناعتك بعلمه أشد من معصيتك بوجود الأذى منهم ، أى إذا سلط الله عليك خلقه ليختبرك فهل أنت غنى به أو بخلقه ، فإذ أدبروا عنك أواِشتغلوا بذمك وشتمك ثم توجعت من ذلك فارجع إلى علم الله فيك ، واِطلاعه عليك

إذ لا يخفى عليه شئ من أمرك ، فإن كفاك ذلك قُنِعتَ به وآنِسْتَ بذكره أو شهوده ، إستوى عندك ذمهم ومدحهم وإقبالهم وإدبارهم ، بل ربما آثرت إدباهم إذ فيه راحتك وتفريغ قلبك مع ربك ، فإذا اشتغل الناس بذمك وإضرارك فانظر أنت مقامك مع ربك . فإن كنت مع ربك صافياً ، فلا يكيدك شئ ولايضرك شئ ، فمن عمل على المحبة لا يحب أن يرى عمله إلا محبوبا . فإذا أراد الله لِوَلِيِّهِ الإبتلاء فإنه أراد أن يعطيه ويجزيه ؛ لأن الدنيا هى دار البلاء والآخرة هى دار الجزاء ، فقد قال رسول الله ﷺ فى خطبة له : " أيها الناس إن هذه الدار دار تَواء أى دارهلاك لا دار اِستقرار ومنزل تَرَحْ أى حزن لامنزل فَرَحْ ، فمن عرفها لم يفرح لرخائها ولم يحزن لشقائها ، ألا وإن الله خلق الدنيا دار بلوى والآخرة دارعقبى ، فجعل بلوى الدنيا لثواب الآخرة سببا ، وثواب الآخرة من بلوى الدنيا عوضا ، فيأخذ ليعطى ويبتلى ليجزى ، وإنها لسريعة النوى وشيكة الإنقلاب ، فاحذروا حلاوة رضاعها لمرارة فطامها واهجروا لذيذ عاجلها لقربة آجلها ، ولاتسعوا فى عمران

دار قد قضى الله خرابها ، ولاتواصلوها وقد أراد الله منكم إجتنابها ، فتكونوا لسخطه متعرضين ولعقوبته مستحقين " صدق رسول الله ﷺ . وقال سيدنا ابن عطاء فى حكمه : لاتستغرب وقوع الأقدارمادمت فى هذه الدار فإنها ما أبرزت لك إلا ما هو وصفها وواجب نعتها ، فالوصف : الأمور اللازمة كالبياض والسواد والطول والقصر ، والنعت : العوارض الطارئة كالمرض والصحة والفرح والحزن فالعارف بالله لايستغرب شيئاً من تجليات الحق . وقال أبو سلمان الدارانى لأحمد الحوارى : يا أحمد جوعٌ قليل وعُرْىٌ قليل ، وذُلٌ قليل وصبرٌ قليل ، وقد انقضت عنك أيام الدنيا ، فكن فى هذه الدنيا بالله ولله ، فلا تطلب شيئاً إلا بربك ولاتركن إلى مطلب نفسك ، فقد قال ابن عطاء :" ما توقف مطلب أنت طالبه بربك ، ولاتيسر مطلب أنت طالبه بنفسك " فإذا عُرِضَتْ لك حاجة من حوائج الدنيا والآخرة وأردت أن تُقضى لك سريعاً ، فاطلبها بالله ولاتطلبها بنفسك فانك إذا طلبتها بالله تيسرأمرها وَسَهُلَ قضاؤها ، وإن طلبتها بنفسك صَعُبَ قضاؤها وتعسر أمرها . ولقد كان

شاغل أولياء الله فى مطلبهم الآخرة ، فلم تشغلهم دنيا وبذلك سئل الإمام حاتم الأصم ولى الله فقيل له : كيف أصبحت ؟ فقال وكيف يصبح من أجله قريب ، وأمله بعيد ومسكنه القبر أصبحت رباً يُطَالِبُنِى بالفرائض ورسولاً يُطَالِبُنِى بالسنن ، ونفسى تُطَالِبُنِى بالقوت ، وعيال تُطَالِبُنِى بالنفقة ، وملكان يُطَالِبَنِّى بالصدق ، وقبر يُطَالِبُنِى بالجسد ، ودود يطالبنى باللحم ، ومنكر ونكير يُطَالِبَنِّى بالحجة ، فهذا هو حالى .

وصف سيدنا على لأولياء الله :

وقد وصف الإمام على كرم الله وجهه ﷺ أولياء الله الذين قال الحق فى شأنهم (الذين آمنوا وكانوا يتقون) فقال : هم فى الدنيا أهل الفضائل ، مَنْطِقُهُمْ الصَّواب ومَلْبَسُهُم الإِقْتِصَاد وَمَشْيُهُم التواضع ، غَضُّوا أَبْصَارَهُم عما حرم الله عليهم ، وَوَقَّفُوا أسماعهم على العلم النافع لهم ، نُزِّلَتْ أَنْفُسُهُم منهم فى البلاء كالتى نُزِّلَتْ فى الرخاء ، ولولا الأجل الذى كُتِبَ لهم لم تستقر أرواحهم فى أجسادهم طرفة عين ، شوقاً إلى الثواب وخوفاً من العقاب ، عَظُمَ الخالق

فى أنفسهم ، فَصَغُرَ ما دونه فى أعينهم ، فهم والجنة كمن قد رآها فهم فيها منعمون وهم والنار كمن قد رآها فهم فيها معذبون ، قلوبهم محزونة وشرورهم مأمونة وأجسادهم نحيفة ، وحاجاتهم خفيفة ، وأنفسهم عفيفة صبروا أياماً قصيرة أعقبتهم راحة طويلة ، تجارة مربحة يسرها لهم ربهم ، أرادتهم الدنيا فلم يُرِيدوها ، وأسرتهم ففدوا أنفسهم منها ، أما الليل فَصَافُّون أقدامهم ، تالين لأجزاء القرآن يرتلونه ترتيلا ، يُحَزِّنُونَ به أنفسهم وَيَسْتَثِيرون به دواء داءهم ، فإذا مروا بآية فيها تشويق ركنوا إليها طمعاً ، وتطلعت نفوسهم إليها شوقاً ، وظنوا أنها نُصْبَ أعينهم ، وإذا مروا بآية فيها تخويف أصغوا إليها مسامع قلوبهم ، وظنوا أن زفير جهنم وشهيقها فى أصول آذنهم ، فهم حانون على أوساطهم مفترشون لجباههم وأكفهم وركبهم وأطراف أقدامهم ، يَطَّلِبُونَ إلى الله تعالى فى فَكَاكِ رِقَابِهِمْ ، وأما النهار فَحُلَمَاءُ عُلَمَاءُ أبرار أتقياء ، قد بَرَاهُم الخوف بَرْىَ الْقِدَاح ، ينظر إليهم الناظر فيحسبهم مرضى وما بالقوم من مرض ويقولون قد

خُولِطُوا ولقد خالطهم أمر عظيم ، لايرضون من أعمالهم القليل ولايستكثرون الكثير ، فهم لأنفسهم يتهمون ومن أعمالهم مشفقون ، إذا زُكِّىَ أَحَدُهُم خاف مما يُقَالُ له فيقول : أنا أعلم بنفسى من غيرى ، وربى أعلم بى من نفسى ، اللهم لاتُؤَخِذْنِى بما يقولون ، واِجعلنى أفضل مما يَظُنُون ، واِغفرلى ما لايعلمون ، فمن علامة أحدهم أنك ترى له قوةً فى دين ، وحَزمٌ فى فى لين ، إيمانٌ فى يقين وحِرْصٌ فى عِلْم ، وعِلْمٌ فى حلم ، وقصداً فى غنى وخشوعاً فى عبادة ، وتحملاً فى فاقة ، وصبراً فى شدة وطلباً فى حلال ، ونشاطاً فى هدى ، وتحرجاً عن طمع يعمل الأعمال الصالحة وهو على وجل ، ويمسى وهمه الشكر ويصبح وهمه الذكر ، يبيتُ حَذِراً ويُصْبِحُ فَرِحَاً حَذِراً لِمَا حَذَرَ من الغفلة ، وفرحاً لما أصاب من الفضل والرحمة إن اِستصعبت عليه نفسه فيما تكره ، لم يُعْطِهَا سُؤْلَهَا فيما تُحِب ، قُرَّةُ عَينِهِ فيما لايزول ، وزهادته فيما لايبقى ، يَمزِجُ الحلم بالعلم والقول بالعمل ، تراهُ قريباً أمله قليلاً زَلَلُه خاشعاً قلبه قانعة نفسه ، منذوراً أكله سهلاً أمره حريزاً

دينه ميتةً شهوته مكظوماً غيظه ، الخير منه مأمول والشر منه مأمون ، إن كان فى الغافلين كتب من الذاكرين ، وإن فى الذكرين لم يكتب من الغافلين ، يعفو عمن ظلمه ويعطى من حرمه ، ويصل من قطعه بعيداً فحشه ليناً قوله غائباً منكره ، حافظاً معروفه ، مقبلاً خيره مدبراً شر ، فى الزلازل وقور وفى المكاره ، صبور وفى الرخاء شكور لايَحِيفُ على من يُبْغِضْ ولايَأْثَمُ فيمن يُحِبْ ، يعترف بالحق قبل أن يُشْهَدَ عليه ، لايُضَيِّعُ ما اسْتُحْفِظ ولاينسى ما ذُكِّر ولاينابذ بالألقاب ولايُضار بالجار ولايشمت بالمصائب ولايدخل فى الباطل ولايخرج من الحق ، إن صمت لم يَغُمُه صمته وإن ضحك لم يعلو صوته ، وإن بُغِى عليه صبر حتى يكون الله هو الذى ينتقم له ، نفسه منه فى عناء والناس منه فى راحه ، أتعب نفسه لآخرته وأراح الناس من نفسه ، بُعده عمن تباعد عنه زهد ونزاهة ودنوه ممن دنا منه لين ورحمه ، ليس تباعده بكبر وعظمه ولا دنوه بمكر وخديعة . رضى الله عنهم ورضواعنه أولئك حزب الله أولئك حزب الله ، هم أولياء الله .

الشريعة والحقيقة

عملوا بالشريعة : وهى أمر الإلتزام بالعبودية على مراد الله فارتقوا إلى مقام الحقيقة : وهى مشاهدة الربوبية كما قال بعض الصالحين : الشريعة : أمر بإلتزام العبودية والحقيقة : مشاهدة الربوبية ، فكل شريعة غير مقيدة بالحق فغير مقبول ، وكل حقيقة غير مقيدة بالشريعة فغير مقبول فالشريعة جاءت بتكليف الخلق ، والحقيقة إنباء عن تعريف الحق ، فالشريعة أن تعبده والحقيقة أن تشهده ، والشريعة قيام بما أمر والحقيقة شهود لما قضى وقدر وأخفى وأظهر وقد قال سيدى أبا على الدقاق ﷺ : قوله (إياك نعبد) حفظ للشريعة (وإياك نستعين) إقرار بالحقيقة.

۞ محنة الصوفية فى زمن الإمام الجُنَيْد ۞

وقد كان الإمام الجنيد عالم بالشريعة ، إمام فى الفقه فى زمانه عامل بعلمه ، إرتقى إلى مقام التحقيق بعلم الحقيقة لكن فقهاء عصره ــ علماء الشريعة ــ لم يرتقى أحد إلى أن يشاهد حقيقة هذا الولى ، فذموه وسبوه فى تربيته

وأنكروا عليه حاله وأنكروا عليه طريقه ، ففى زمن المتوكل كانت محنة الإمام الجنيد والصوفية الذين تربوا على يده تربى على يد الجنيد عدد كبير يصل إلى مائتان وسبعون رجلاً ، إرتقوا إلى مقام التحقيق فى حياته على يده ؛ لأنهم صفوا أنفسهم وأرواحهم ، وطهروا قلوبهم لإستقبال منهج التربية النقية ، فكانت محنة الإمام الجنيد فى زمن المتوكل إجتمع الفقهاء وقالوا للمتوكل إن الجنيد وأصحابه زنادقة فقال لهم المتوكل : يا أعداء الله ما رأيت إلا أن تقتلوا أولياء الله من الأرض واحداً بعد واحد ، قتلتم الحلاج وأنتم تَرْوونَ له كل يوم عبارة ولاتزدجروا ، وهذا الجنيد لاسبيل لكم إليه إلا بالحجة ، فاجتمع الفقهاء من الشام واليمن ومصر ، ولم يبقى أحد يعرف عن الدين شيئاً إلا حضر وأرسل المتوكل إلى الجنيد يأتى وأصحابه ، فحضر الجنيد ومعه مائتان وسبعون رجلاً من المريدين جلسوا بباب القصر ، ودخل الجنيد فسأله أحد الفقهاء عن مسألة فوقف القاضى على بن ثور وقال لهم تسألون الجنيد ؟ قالوا : نعم ، قال القاضى : أفيكم من هو أفقه منه ؟ قالوا : لا قال

القاضى : ياعجباً ! هو أفقه منكم فى علمكم وقد تفقه فى علم تنكرونه عليه ولاتعرفونه ، فكيف تسألون رجلاً لا تدرون ما يقول ؟ فبهت القوم زماناً ثم قالوا ما العمل ياقاضى المسلمين ؟ فقال القاضى وهو على بن أبى ثور لأمير المؤمنين المتوكل : أَخْرِج إلى أصحاب الجنيد صاحب سيفك أى السياف الوليد بن ربيعة ، فالصوفية يحبون الإيثار على أنفسهم فينادى فيهم أيكم يقوم للسيف ؟ ــ يعنى مين يتقدم للإعدام ــ فالرجل الذى يقوم للسيف هو أكثر الناس جهلاً ، يكون أجهل واحد فى الجماعة الأمى فيهم الرجل الذى يقوم للسيف هو أكثر الناس جهلاً وأكثرهم صدقاً لله عز وجل يعنى أمى ، ولكن يكون أكثرهم صدقاً بالقلب ، يؤثر أصحابه بالعيش من بعده ، بذلك هو الذى يجلس مع الفقهاء ، وهو جاهل لايغلبهم ولايغلبونه ونقوم بالصلح بين الفقهاء والصوفية ، فإنها قد نزلت مصيبة لاندرى لمن تكون النجاة ؛ فإنه إن قتل الجنيد نزلت داهية على الإسلام فإنه قطب الإيمان فى عصرنا ، وإن قتل الفقهاء فإنها فتنة عظيمة ، فقال له الأمير أصبت ، ثم أمر

الوليد أن يخرج إليهم مقلداً سيفه ، فخرج عليهم الوليد مقلداً سيفه ، ورأى المريدين مائتان وسبعون رجلاً قاعدين ناكسون رؤسهم وهم يذكرون الله ، فنادى فيهم أفيكم من يقوم للسيف ؟ فقام رجلاً مسرعاً يقال له أبو الحسن النورى فيقول الوليد ما رأيت طائراً أسرع ، فوثب قائماً بين يديه فعجبت من سرعة قيامه ، فقلت يا هذا أعلمت لما قُمْت ؟ قال نعم . ولما قمت ؟ قال علمت أن الدنيا سجن للمؤمن فأحببت أن أخرج إلى دار الفوز ، وأن أوثر أصحابى علىّ بالعيش ولو ساعة ولعلى أقتل فيطفئ الشر ، فيسلموا جميعاً ولايقتل أحد غيرى فعجب الوليد من فصاحته ، وقال له أجب القاضى فقال له : أودعانى القاضى ؟ فقال له : نعم دعاك القاضى فقال له : حقاً علىّ إجابته ، فلما دخل على القاضى وهو يجلس ، والأمير ، والجنيد ، وحكى الوليد عن قصة الرجل فتعجب القاضى ، وسأله عن مسألة غمضة قال له من أنت ؟ ولما خُلِقْتَ وما أراد الله بخلقك ؟ وأين هو ربك منك ؟ فقال ومن أنت الذى تسألنى ؟ قال أنا قاضى القضاة فقال: له إذن لارب غيرك ولا معبود سواك ، أنت قاضى

القضاة وهذا يوم الفصل والقضاء ، والناس قد حشروا ضحىً ، فأين النفخة فى الصور التى قال الله فيها ﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخۡرَىٰ فَإِذَا هُمۡ قِيَامٞ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾ سورة الزمر. أنا ممن صعق أم أنا ممن شاء الله الذى لم أشهد النفخ ، فبهت القاضى زماناً وقال ياهذا أجعلت منى إلهاً ؟ قال معاذ الله بل أنت تألهت حيث تسميت بقاضى القضاة وليس قاضى القضاة إلا القاضى الذى يقضى ولايقضى عليه أضاقت عليك الأسماء ، أما كفاك قاضى المسلمين أم أحد الفقهاء ، أم أحد من عباد الله حتى تسميت بقاضى القضاة إذن استكبرت أن تقول أنا على بن أبى ثور فما زال يقرعه حتى بكى القاضى ، وهم أن تزهق نفسه وبكى أمير المؤمنين المتوكل لبكائه ، وبكى الجنيد فقال لتلميذه : أقصر من عتابك للقاضى فقد قتلته فخلى سبيله فلما أفاق القاضى قال يا أبا الحسن أجبنى عن مسألتى وأنا أتوب إلى الله بين يديك ، فقال اذكر مسألتك فإنى نسيتها

فأعاد عليه مسألته ، فنظر عن يمينه وقال أتجاوبه ؟ ثم قال حسبى الله ثم نظر عن يساره مثل ذلك ثم نظر أمامه وقال أتجاوبه ؟ ثم قال : الحمد لله ثم رفع رأسه إلى القاضى وقال له : أما قولك يرحمك الله من أنت فأنا عبد الله لقوله تعالى: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا ﴿٩٣﴾ ﴾ سورة مريم ، وأما قولك لماذا خلقت ؟ فكان الله كنزاً لايعرف فخلقنى لمعرفته قال تعالى :

﴿ وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ سورة الزاريات . أى ليعرفون وأما قولك : وما أراد الله بخلقى ؟ فما أراد الله بى إلا كرامتى قال تعالى : ﴿ وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنۡ خَلَقۡنَا تَفۡضِيلٗا ﴿٧٠﴾ ﴾ سورة الإسراء ، وأما قولك أين ربك منك ؟ فهو منى حيث أنا منه لقوله تعالى : ﴿ وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴿٤﴾ ﴾

سورةالحديد . فقال : أخبرنى كيف هو معك ومعنا فى قوله ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ قال : هو معنا حيث كنا معه ، فإن كنا معه بالطاعة ، كان معنا بالعون والهدى إليه ، وإن كنا معه بالغفلة كان معنا بالمشيئة ، وإن كنا بالمعصية كان معنا بالمهلة ، وإن كنا بالتوبة كان معنا بالقبول ، وإن كنا بالترك كان معنا بالعقاب قال القاضى : صدقت فأخبرنى أين هو منى ؟ فقال أخبرنى أين أنت منه أعلمك أين هو منك ؟ قال القاضى صدقت ياعلى فيما قلت ، ولكن أخبرنى بمسألة ثانية قال وما هى ؟ قال : لما ملت على يمينك حين سألتك ؟ قال المسألة التى سألتنى عنها ، لم يكن عندى فيها جواب لأننى ماسألت فيها قط ولاسمعتها ، فلما سألتنى لم يكن عندى ماأخبرك فيها فسألت الملك الكريم الذى يكتب فى اليمين ، فقلت له أتجاوبه أنت ؟ فقال لى : لا علم لى فقلت حسبى الله وفوضت أمرى إلى الله ، فقال وعن شمالٍ ؟ فقال كذلك فقال : وأمامك ؟ فقال سألت قلبى فقال عن سره عن ربه ما أجبتك به ، فقلت الحمد لله شكراً له الهداية ومقراً

بالعجز عن إدراك النهاية فقال القاضى : ياهذا أتكلمك الملائكة ؟ فقال : أماترى رب الملائكة كلمنى حين هدانى لحجتى وكنت لا أعرفها فقال له القاضى : الآن صح عندى حمقك وثبت عندى كفرك وزندقتك ، فما تريد أن أفعل بك وبأى قتلة تريد أن أقتلك بها ؟ فقال وما الذى تريد أن تفعل بى وأنت قاضى القضاة ؟ إن كنت تقضى ولايقضى عليك فاقض بما شئت ، وأى فعل لك ؟ فقال : أنا القاضى أقضى بما يُقضى به ، فقال له : أفهمت خطاباً عن القاضى الذى يقضى ولايُقضى عليه ؟ قال له القاضى وما هو قال : ﴿ فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ سورة يس . قال له القاضى : وما تريد أنت قال فاقضى بما شئت ، الآن طبت وطابت نفسى على لقاء ربى ، فعند ذلك نظر القاضى وإتجه برأسه إلى المتوكل وقال له ياأمير المؤمنين : اِترك هؤلاء إن كان هؤلاء زنادقة ، فليس على وجه الأرض مسلم ، هؤلاء مصابيح الدين ، ودعائم الإسلام وهؤلاء هم المؤمنون

حقاً عباد الله المخلصون ، فعطف الخليفة على الجنيد وقال له ياأبا القاسم : هؤلاء الفقهاء ماجمعوا لك هذا الجلس العظيم إلا لمناظرتك وليقتلوك لوغلبوك ، والآن أنت الغالب عليهم ، وأنا آليت على نفسى إن أنت غلبتهم أن أمشى عليهم السيف ، فإما أن تعفوعنهم جميعاً وإما أن يموتوا جميعاً ، فقال له الجنيد : العياذ بالله ياسيدى أن يموت أحد منهم بسببى عفا الله عنا وعنهم ، ثم عطف القاضى على النورى أى على الرجل الذى كان يسأله القاضى ، وهو أبو الحسن النورى من رجال الإمام الجنيد ، وقال القاضى أعجبنى حالك ، والله شهيد أنى أحبك ، واتخذتك لى مرشدا فهذه كانت محنة الإمام الجنيد رضى الله عنه ، ومحنة الصوفية الذين تربوا على يده ، ومناظرة الفقهاء الذين اِجتمعوا للإمام الجنيد فكان نجاح الإمام الجنيد وظهورعفوه وسماحته رضى الله عنهم أجمعين.

❁❁❁

❁ الحب الإلهى من أسرار الله فى الوجود ❁

إن الكون كله ساحة للحب الإلهى ، حيث مشاهد عظمة الصنع الإلهى البديع فى الآيات الكونية ، وما تبديه من جمال يدل على عظمة قدرة الله سبحانه ، وما هى إلا مرئيات بجمالها يتعلق قلب العاشق بإثبات المحبة للخالق الأعظم . كما قال سيدى عمر بن الفارض سلطان العاشقين ﷺ :

تَجَلَّى حَبِيبِى فى مَرَائِى جَمَالِه فَفِى كُلِّ مَرْءٍ للحَبِيبِ طَلائِعُ
فَلَمَّا تَجَلَّى حُسْنُهُ مُتَنوِعاً تَسَمَّى بِأَسْمَاءٍ فَهُنَّ مَطَالِعُ

وقال أيضاً :

تَجَلَّيتَ فى الأشياءِ حِينَ خَلَقْتَهَا فَهَا هِىَ مِيطَتْ عَنْكَ فِيهَا البَرَاقِعُ

وأمام ساحة الحب الإلهى فاضت وجدانات كبار العشاق بأنغام وترانيم وألحان ، تطهروا بها وحلقوا من خلالها دنواً واِستشراقاً من الأفق الأعلى والأسمى ، حيث ينابيع الروحانية والفيض الغامض ، وحيث تمتلئ النفوس بأقباس من النورانية ، وتفيض العيون بدموع الندم والخشية والتوبة ، وتَعْمُرُ القلوب بوشائج المحبة الدائمة ، ومقامات العشق وأحوال عظيمة . وينسكب هذا كله فى الحقيقة شِعراً يفيض بالصدق ويَعْمُرُ باليقين والمحبة والإيمان . وفى هذا

المعنى قال سيدى محيى الدين بن عربى رضى الله عنه صاحب الإشارات فى علم التصوف :

لَقَدْ صَارَ قَلْبِىَ قَابِلاً كُلُ صُورَةٍ فَمَرْعَى لِغُزْلانٍ ودَيـرٌ لِرُهْبَانِ
وبَيْتٌ لأوثَانٍ وكَعْبَةُ طَائِفٍ وأَلْوَاحُ تَوراَةٍ ومُصْحَفُ قُرْآنِ
أَدِينُ بِدِينِ الحُبِّ أَنَّى تَوجَهتْ رَكَائِبَهُ فالحُبُ دِيْنِى وإِيمَانِ

كما أن آيات الإبداع التى تتجلى فى المخلوقات ، هى سبيل لتحقيق النشوة الروحية ، التى يَعْرُجُ بها كل امرئٍ نقى السريرة إلى الله . فالجمال الإلهى يتجلى فى الطبيعة من خلال الموجودات ، والكواكب والنجوم كما يتجلى فى الناس . والكون كله يشترك فى عبادة الله ذى الجمال المُطلق ، المنزه عن التشبيه ، ويغيب بهذا الجمال فى نشوةٍ مقدسة . وهذا الحُب الإلهى يَعْمُرُ الكون ، ولولاه ما انتظم الكون . فإذا حاولنا أن نتأمل حقيقة هذا الحب الإلهى ومعناه ذلك الذى هام فيه السادة الصوفية وفَنَوْا ، وتفانو معبرين عن خوالجهم وعن شطحاتهم ، فى نثرهم وشعرهم وأدعيتهم وابتهالاتهم وشروحهم وتعليقاتهم ومنظوماتهم ، وجدناه قد تمثل فى صورته من خلال التعبير القرآنى المُحكم ، ومأثور

كَلِمِ سيدنا رسول الله ﷺ . جاء هذا المعنى فى القرآن الكريم يحبهم ويحبونه فى قوله تعالى : ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ يُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾﴾ سورة المائدة . ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ سورة آل عمران . وقوله تعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾﴾ سورة البقرة ويروى عن سيدنا رسول الله ﷺ أنه قال فى دعائه: " اللهم إنى أسألك حبك وحب من يحبك والعمل الذى يُبلغنى إلى حبك . اللهم إجعل حبك أحب إلىَّ من نفسى وأهلى ومن الماء البارد " هذا دعاء سيدنا

رسول الله ﷺ ، ومن مأثور قول الرسول الكريم ﷺ (من أحب الله فليُحبنى ، ومن أحبنى فليُحب أصحابى ، ومن أصحابى فليُحب القرآن ، ومن أحب القرآن فليُحب المساجد فإنها أبنية أذن الله تعالى برفعها وتطهيرها ، وبارك فيها فهى ميمونة ميمون أهلها ، فهم فى صلاتهم والله فى قضاء حوائجهم ، وهم فى مساجدهم والله تعالى فى نَجْحِ مقاصدهم) . وفى القرن الثانى الهجرى تتأكد فكرة الحب ــ أى الحب الإلهى ــ حب الله سبحانه من خلال شخصية إلتفت حولها القلوب والعقول ، هى شخصية السيدة العابدة رابعة العدوية رضى الله عنها ، التى ظهرت فى البصرة فى بلاد العراق داعيةً بدعوة جديدة ، هى دعوة التقرب إلى الله عن طريق حبه ، وهى تُنادى بهذا الحب ؛ لأنها ترى أن الله أهلٌ لأن يُحَبُ أولاً لأنه مُصْدِرُ النعم التى لا تنقطع ، هو المَصْدَرُ والمُصْدِرُ لها فلا سبيل لأن ينقضى حُب المُنْعِمِ بها على العباد ، وهو أهلٌ لأن يُحب ثانياً لجماله وجلاله . فتقول السيدة رابعة رضى الله عنها :

أُحِبُكَ حُبَين حُبُ الهَوَى وحُبَاً لأَنَكَ أَهْلٌ لِذَاكَ
فَأَمَّا الذى هُو حُبُ الهُوَى فَشُغْلِى بِذِكْرِكَ عَمَّنْ سِوَاكَ
وأَمَّا الذى أَنْتَ أَهْلٌ لَهُ فَكَشْفُكَ لِى الحُجْبَ حَتَى أَرَاكَ
فَلا الحَمْدُ فى ذَا ولا ذَاكَ لِى ولَكِنْ لَكَ الحَمْدُ فِى ذَا وذَاكَ

وفى موضع آخر من كلامها تقول السيدة رابعة العدوية:

ولَقَدْ جَعَلْتُكَ فِى الفُؤادِ مُحَدِّثِ ولقَد أَبَحْتُ جِسْمِىَ لِمَنْ أَرَادَ جُلُوسِ
فالجِسمِ مِنِّى للجَلِيس مُؤانِسِ وَحَبِيبُ قَلْبِى بالفُؤَادِ أَنِيسِ

وتقول أيضاً السيدة رابعة :

فليتك تحلو والحياة مَرِيرَةٌ وليتكَ تَرْضَى وَالأَنَامُ غِضَابُ
ولَيْتَ الْذى بَيْنِى وبَيْنَك عَامِرٌ وَمَا بَيْنِى وبَيْنَ الْعَالَمِينَ خَرَابُ
فَإِنْ صَحَّ الوُدُ مِنْكَ فالكُلُ هَيِّنٌ وكُلُ الذى فَوْقَ التُرَابِ تُرابُ

وتقول أيضاً رضى الله عنها فى حق الله فى أن يُعْبَد :

كُلُهُمْ عَابِدُوكَ مِنْ خَوفِ نَارٍ ويَرَونَ النَجَاةَ حَظَاً جَزِيلَ
أو بأنْ يَسْكُنُوا الجِنَانِ ويَحْظَوا بقصُورويَشْرَبُوا السَلْسَبِيلَ
لَيسَ لِى فِى الجِنَانِ والنَارِ حَظٌ أَنَا لا أَبْتَغِى بحُبِى بَدِيلَ

الله . الله (يعنى أنا أحب الذات للذات ، لا خوفاً من النار ولا طمعاً فى جنة ، ولا أرضى بديلاً أبداً بالمحبوب) . هذا

هو الحب الإلهى وجماله . وقد نهج على وتر السيدة رابعة العدوية واستلهاماً بعضهم فقالوا :

لَمَّا علمتُ بأَنَّ قَلْبِى فَارِغٌ ... مِمَّنْ سِوَاكَ مَلأْتُهُ بهَوَاكَ
ومَلأْتُ كُلِّى حَتَى لَمْ أَدَعْ ... مِنِى مَكَاناً خَالِياً لسِوَاكَ
فَالقَلبُ فِيهِ هِيَامُهُ وغَرَامُهُ ... والنُطْقُ لا يَنْفَكُ عَنْ ذِكْرَاكَ
والطَرْفُ حيث أَجِيلُهُ مُتَلَفِتاً ... فِى كُلِ شَئٍ يَجْتَلِى مَعْنَاكَ
والسَمْعُ لا يَصْغَى إلى مُتَكَلِمٍ ... إلا إذا مَا حَدثُوا بحُلاكَ

الله . الله . ومن كلمات سيدى عمر بن الفارض سلطان العاشقين من كلماته المشهورة رضي الله عنه :

لك قُرْبٌ منى ببُعْدِكَ عنى ... وَحُنُوٌّ وجدتُهُ فِى جَفَاكَ
عَلَّمَ الشَوقُ مُقْلَتِى سَهَرَ الليلِ ... فَصَارَتْ مِنْ غَيرِ لَومِ تَرَاكَ
حَبَذَا لَيلَةً بِها صِدتُ إسْرَاكَ ... وكَانَ السُهَادُ لِى أَشْرَاكَ
بَاتَ بَدرُ التَمَامِ طَيفُ مُحيَّاكَ ... لطَرفِى بيقْظَتِى إذْ حَكَاكَ
فَتَرائيتُ فِى سِواك لعينٍ ... بِكَ قَرَّتْ ومَا رَأيتُ سِوَاكَ

وهذه أبيات تدور حول فكرة استحضار صورة المحبوب بالمعانى الطريفة ، وهذا ما بنى عليه أهل المحبة وهو مجال كان لابن الفارض فضل السبق فيه من خلال قدرته

الفذة على اصطياد عشرة الصور التى يتمثل فيها جمال صورة المحبوب ، وتتجلى روعتها وتفردها وتمايزها أليس هو القائل أيضاً ابن الفارض رضي الله عنه

تَرَاهُ إنْ غَابَ عَنِّى كُلَ جَارحَةٍ ... فِى كُلِ مَعْنَى لَطِيفٍ رَائقٍ بَهِجِ
فى نَغمَةِ العُودِ والنَّاى الرَّخيمِ إذَا ... تَأَلَّفَ بين أَلْحَانٍ مِنَ الهَزَجِ
وفِى مَسَارِحْ غِزْرَانِ الخَمَائِلِ فِيهِ ... بَرْدِ الأَصَائِلِ والإِصْبَاحِ فى البَلَجِ
وفِى مَسَاقِطِ أَنْدَاءِ الغَمَامِ عَلَى ... بِسَاطِ نُورٍ من الأَزْهَارِ مُنْتَسِجِ
وفِى مَسَاحِبِ أَذْيَالِ النَّسِيمِ إذَا ... أَهدَى إلىَّ سُحَيْرَاً أَطيبَ الأَرَجِ
وفِى التثَامِىَ ثَغْرُ الكَأسِ مُرْتَشِفَاً ... رِيقَ المُدَامَةِ فى مُسْتَنْزَهٍ فَرَجِ
لَمْ أَدْرِى مَاغُرْبَةُ الأَوطَانِ وهُو مَعِى ... وخَاطِرِى أَيْنَ كُنَّا غَيرَ مُنْزعِجِ

ويبدو أن هذا اللون من الحب ، لم يكن من السهل ولوج عالمه والإرتفاع إلى مستوى معاينته ، إلا بعد إبتلاء طويل وتجارب قاسية ، يتعرض فيها الصوفى ولى الله فى البداية إلى معاناة الحب الإنسانى حتى تحتدم به عاطفته ، فيكون التحول إلى حب أسمى هو حب الله (أى أنه يُبتلى فى محبة أهله ومحبة الناس) وبعد ذلك حين يرتقى إلى مقام الولاية لا يرى إلا محبوبه ، ولا يبالى فى الكون أحداً إلا الله لا يُرائى ولا يُجامل على حساب دين الله ؛ ولذلك يكون

أعداء الله كلهم معادين له ؛ ولذلك الحق تبارك وتعالى ساعة أن يرتقى الولى إلى مقام الولاية الحق يقول :" من عادى لى ولياً فقد آذنته بالحرب " . قال بعض المريدين لشيخه وأستاذه قد طُولِعتُ بشئ من المحبة ، فقال له الشيخ يا بُنَىّ : هل اِبتلاك بمحبوب سواه فآثرت عليه إياه (يعنى هل أن الله ابتلاك بمحبوب سواه كنت تحبه وبعدين جيت حبيت ربنا وآثرته على هذا) فقال : لا . فقال الشيخ : فلا تطمع فى المحبة ، فإنه لا يعطيها عبداً حتى يبلوه . وشبيه بهذا ما قيل لبعض السادة الصوفية رضى الله عنهم ، وكان قد بذل المجهود من ماله ونفسه حتى لم يبقى منها بقية : ما كان حالك من هذه المحبة ؟(بيسأل بعض السادة الصوفية ما كان حالك من هذه المحبة ؟ فقال كلمة سمعتها من خلق لخلق عَمِلَتْ بى هذا البلاء . (سمعتها من مخلوق بيقول لمخلوق إنى أحبك) قيل : وما هى ؟ قال : سمعت محبوب قد خلى بمحبوب . وهو يقول أنا والله أحبك أُمَلِّكُكَ مَا أملك ثم أُنْفِقُ عليك روحى حتى تَهْلِكْ فقلت : هذا خَلقٌ لخلقٍ وعَبدٌ لعبدٍ فكيف بخَلقٍ لخالق ؟ وعَبدٌ لمعبودٍ ؟ فكان

لذلك سببه . كان ذلك أنى تفانيت فى محبة الخالق ، وهذا هو الحب الإلهى . وهذا سيدنا ذو النون المصرى الولى الصوفى فى القرن الثالث الهجرى يقول حين سُئل عن الأُنْسِ . قال ﷺ : أن تأنس بكل وجه صبيح . وكل صوت فصيح ، والله تبارك وتعالى فيما بينك وبين ذلك . (شوف مين الأحق بأن يكون أنيسك) . وفى القرن الرابع الهجرى نُطَالِعُ عند أهل الصفا من السادة الصوفية أولياء الله ﷺ إدراكاً أعمق وأشمل لفكرة الحب الإلهى ، باعتباره الحب الحق ، والعشق الخالد الذى تسمو إليه النفس الناطقة عند بلوغها أقصى ما تسموا إليه من الكمال ، فالله هو المعشوق الأول المنزهُ عن الشبيه . ولا يستلزم حب الله والهيام إليه تجسيماً فى رأيهم ؛ لأن الله يَجِل عن الشبيه والصورة لكن رؤية أولياء الله تعالى له هى نورٍ بنورٍ لنورٍ فى نورٍ . كما جاء فى قوله تعالى : ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ

يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾

سورة النـــور . وهكذا يمضى أهل المحبة وصفاء الســريرة فى هذا الطريق طريق اِتخاذ الحب طريقاً إلى الله ، والهيام به لجماله وجلاله ، وإدراك أن هذا الجمال كان الباعث على خلق الكون ، والفَلَكَ إنما يدور شوقاً إليه ومحبــة للبقــاء والدوام المديد على أتم الحالات ، وأكمل الغايــات وأفضــل النهايات . وهكذا تكتمل صورة هذا الحب الإلهى . من خلال أبرز أعلامه واتجاهاتهم وأفكــارهم ، فهــو لــيس تعلقــاً بالأجساد وصور المادة ، بل هــو حــبٌ للمعــانى العقليــة والكاملة ، وتعلقٌ بالمُثُل وهِيَامٌ بمصــدر الكمــال والجمــال ومن هنا فالحب عند السادة الصوفية طريق إلى الزهد فــى متع الدنيا جميعاً ، وحربٌ على النفس وسبيلٌ إلى العــزوف عن مُغرياتها (أى عن مغريات الدنيا) ، والسادة الصوفية يحفلون بجمال الروح قبل جمال الجسم ، ولا فرق عنــدهم بين حب من صفت روحه من حِسان الخلق ، وحــب شــيخ الطريقة الكهل الأشيب لأنه جميل الروح . وشرط الوصــول

إلى الحق سبحانه عن طريق الحب ؛ أن يكون المُحِبُ جميل الروح ، وأن يهتم بمخلوق جميل الروح ، ولو لم يكن جميل الجسم . فالنظرة إلى جمال الروح ؛ لأن جمال الروح هــو الذى يفتح أمام المحب الطريق للتأمل والفكراللَّــذَين همــا السبيل للوصول إلى الغاية عند الســادة الصــوفية فجمــال الخَلْقِ يمكن أن يُتَخَذ سبيلاً لمعرفة الحــق ، والحــب هــو الطريق لمعرفة الحقيقة ، وكيف تتيسر لك قراءة القــرآن إذا لم تكن قد طالعت أولاً الحرف الأبجدية ، وهى أ ، ب إلى آخرها ، ثم طالعتها بعد ذلك بترتيبها كلماتٍ وجمــلٍ وإلــى آخر ذلك ، وإن الحب أساس العشق . إن مريداً طلب مــن شيخه العون فى إرشاده ، فقال له الشيخ: إذا لم تكــن قــد نقلت الخَطْوَ فى طريق العشق فاذهب وأحب ثم عُــدْ إلينــا والقلب الخالى من ألم العشق ليس بقلب ، والجسم الخــالى من ألم العشق ليس إلا ماءً وطينا ، ويقول سلطان العارفين سيدى أبو يزيد البسطامى ﷺ : المحبة إستقلال الكثير من نفسك ، واستكثار القليل من حبيبك . ويقول سيدى سهل بن عبد الله التُسْتُرىّ ﷺ : إن العُبَّادَ عبــدوا الله علــى ثلاثــة

وجوه : على الخوف والرجاء والقرب ، ولكلٍ علامة يُعْرَفُ بها وشهادةً تشهد له بما له عليه ، فعلامة الخائف : الإشتغال بالتخلص مما يخاف ، فلايزال خائفاً حتى يتخلص فإذا تخلص مما يخاف إطمئن وسكن ، فهذه علامة الخائفين . وأما الراجى (أهل الرجا) فإنه رجا الجنة وطلب نعيمها وملكها فأعطى القليل وطلب الكثير ، فبذل نفسه وخاف أن يسبقه أحد ، فجد فى البذل وتحرز من الدنيا (خاف على نفسه منها) أن لايقف غداً فى الحساب فَيُسْبَقْ ، وأما العارف الذى طلب معرفة الله وقربه فإنه بذل ماله فأخرجه ثم روحه فأباحه فلو لم تكن جنةٌ ولانارٌ ، لما زال ولافتر فهذه علامة العارف . فانظروا أيها العقلاء من أى القوم أنتم من الخائفين أم من الراجين أم من العارفين أموتى لاحياة فيكم ؟ أم لاموتى ولا أحياء ، أم أحياء حَيَوْا حياة الخلد ؟ ويحك إن الخائف حىٌّ بحياةٍ واحدة ، وللراجى حياتان ، وللعارف ثلاث حيوات ، وهى الحياة التى لاموت فيها ، فحياة الخائف إذا أمِنَ النار فقد حُيِىَّ بحياةٍ ثم يتم بحياةٍ ثانية ويدخل الجنة بغير حساب هذا هو الخائف .

والراجى أمِنَ من العذاب ومن الحساب فمر إلى الجنة مع السابقين بغير حساب فصار له أمانان ، وأما العارف فصار له أمانان من النار ، والأمان الثالث صار إلى الرحمن ويقول سيدى سهل أيضاً : الحب معانقة الطاعة ومُبَاينة المخالفة ، (حب معانقة الطاعة أن تعتنق طاعة الله) وسئل الإمام الجُنَيد ﷺ عن المحبة فقال : دخول صفات المحبوب على البدل من صفات المُحِب . ويقول سيدى ابن عطاء ﷺ : المحبة إقامة العتابِ على الدوام . (بين المُحب والمحبوب عتابٌ على الدوام) ؛ لأن لاعتاب إلا بمحبة ويقول سيدى أبو عبد الله القرشى ﷺ : حقيقة المحبة أن تهب كلك لمن أحببت. (كلك مش بعضك) (حقيقة المحبة توهب نفسك كلك عقلك وقلبك وقالبك وروحك) حقيقة المحبة أن تهب كلك لمن أحببت فلا يبقى لك منك شئ . ويقول الإمام الشِبلى ﷺ : سُمِيَت المحبةُ بالمحبةِ لأنها تمحو من القلب ماسوى المحبوب ، وتُثْبِتِ المحبوب وحده . ويقول سيدى أبو علىّ الدقاق ﷺ : المحبة لذة ومواضع الحقيقة دُهْشْ . (المحبة لذة يتلذذ بها أهل المحبة

ومواضع الحقيقة دُهْشْ ، ساعة مارتقوا إلى عالم الحقيقة بالرُّقِّىْ يعيشوا مدهوشين بعيدين عن الخيالات) ويقول أيضاً : العِشْقُ مجاوزة الحَدِّ فى المحبة . (العاشق تجاوز حد المحبة وارتقى منها إلى مقام عاشق) . ويقول الإمام الشِّبْلِىِّ ﷺ : المحبة أن تُغَارَ على المحبوب أن يُحِبَهُ مِثْلُكْ (المحبة أنك تغير على محبوبك إن حَدْ يحبه مثلك بل يكون حبك له فوق كل حب أهل المحبه) ٠ ويقول سيدى ابن عطاء ﷺ : المحبةُ أغصانٌ تُغْرَسُ فى القلب فَتُثْمِرُ على قدر العقول (يبقى على قدر العقول ، أهل الجنة على قدر عقولهم فهم أهل المحبة) ٠ويقول سيدى سَحْنُونٍ ﷺ : ذهب المحبون لله تعالى بشرف الدنيا والآخرة لأن النبى ﷺ قال : يُحْشَرُ المرءُ مع مَنْ أحب ٠ يقول سيدى النَدرَباذى ﷺ : المحبة مجانية السَلّوْ على كل حال وأنشد قائلاً :

ومَنْ كان فى طُولِ الهوى ذَاقَ لذةً ... فإنىَّ مِنْ لَيلَىَ لها غيرُ ذائقِ
وأكْثَرُ شَئٍ نِلتُهُ مِنْ وِصَالِها ... أمَانِىَّلَمْ تَصْدُقْ كَلَمْحَةِ بَارِقِ

المقصود من كلمة ليلى : كلمة التوحيد لا إله إلا الله . سيدنا محمد رسول الله . وأنشد سيدنا ابن عطاء ﷺ يقول :

غَرَسْتُ لأهْلِ الحُبِ غُصْناً مِنْ الهوى ... ولَمْ يَكُ يَدْرِى ما الهوى أحدٌ قَبْلى
فأورَقَ أغْصاناً وأَثْبَعَ صَبْوَةً ... وأعقَبَنِى مُرْاً مِنْ الثَمَرِ المَحْلَىَ
وكُلُ جميعِ العَاشِقِينَ هَوَاهُمُوا ... إذا نسبوه كان من ذلك الأَصْلِ

وفسر سيدنا أبوعلىٍ الدقاق قول الرسول الكريم ﷺ : " حُبُكَ الشئ يُعْمِى ويُصِمْ " . قال يُعْمى عن الغيرة غيرة وعن المحبوب هيبة ثم أنشد يقول :

إذا ما بَدَا لِىْ تَعَاظَمْتُهُ ... فأصدرَ فِيَّ حالُ مَنْ لم يَرِد

ويقول الإمام سيدى الحارث المحُاسَبى ﷺ : المحبةُ مَيلُكَ إلى الشئ بكليتك (أن تميل إلى الشئ بكليتك) ثم إيثارك له على نفسك وروحك ومالك (ثم تؤثره على نفسك وروحك) ثم موافقتك له سراً وجهرا ، ثم علمك بتقصيرك فى محبته . هذا هو جمال المحبة . ويقول الإمام الشِّبْلِىّ ﷺ : المُحِبُ إذا سكت هلك والعارف إن لم يسكت هلك . ويفسر بعض العارفين هذا الكلام بقوله : إن المُحِبَ الواله لابد له من الشكوى ويهيج من المحبة (هايم) حتى ليكاد أن يحترق لو لم يبدى ما عنده ، ولايستطيع الصبرعلى غيبة محبوبه لذلك قال الله عزوجل : فى حق أم موسى عليها السلام عند إلقائه فى اليم وغيبته عنها (إن كادت لتبدى به لولا أن ربطنا

على قلبها) ولو كان بين يديها لكتمته حرصاً عليه . وكذلك العارف إذا وصل إلى المعرفة بمحبوبه ، كتم سره حرصاً على البقاء فى حضرته ، فشروط البقاء فى الحضرة كتم أسرار المحبوب . وأدباً من هيبته وخشوعاً فى حضرته ولأنه بات فى حضرة الغنى المطلق ، مُرَقِّيَاً فى الأسرار العلية فلا ينظر ماسواه ، وقد أغناه عن طلب غيره ، والتذ بسريان السرِّ فيه ، فهو فى مسارح الروح ، تائه فى بيداء الجلال يتكلم المتكلمون حوله ، وقلبه قد لهى عنهم وروحه فى تجلياتها العُظْمَى ، فوق مدارك الفُهُوم ، فلا يَفْهَمُهُم ولا يُفَهِّمُهُم مالا يُطِقُونَ حمله ولا يستطيعون فَهْمَه ، ومن وجدَ فى الحضره فقد عَرَاهُ الصَّمْت المطلق فى باطن أسراره ولو تكلم فى الظاهر بموجب الشريعة وحال بشريته ؛ ولكنه يُلْهِبُ القلوب بمجرد رؤيته ، من أنوار الحق التى تتجلى على باطنه ؛ ولذلك يُذِيقُ العارف محبيه حلاوة الإيمان بدون إحتياجٍ إلى بيان (يذيق العارف حلاوة الإيمان لمن صدق فى محبته بدون إحتياج أن يُعَلِمه باللسان أوبالقول) وقيل المحبة نارٌ فى القلب تحرق ما سوى مراد المحبوب

ويقول الإمام السُوسِىِّ ﷺ : لاتَصْلُحُ المحبة إلا بالخروج عن رؤية المحبة إلى رؤية المحبوب بفناءٍ على المحبة (المحبة لاتَصْلُح : المحبة فى صلاحيتها مع المُحِبِ للمحبوب لاتصلح إلا بالخروج عن رؤية المحبة ، يخرج عن رؤية أنه مُحِبْ ويُفْنى نفسه عن المحبه) . روى الإمام السِّرى السقَطى ﷺ رفع إلى الإمام الجُنَيد ﷺ رقعة (ورقة) وهو يقول له : هذه خيرٌ من سبعمائة قصة أوحديث يعلو فإذا فيها

ولما إِدَعَيتُ الحُبَ قال كَذَبْتَنِى ... فَمَالِىَّ أَرَىَ الأعضاءَ مِنْك كَوَاسِىَ
فماالحبُ حتى يُلْصَقَ القَلْبُ بِالْحَشَى ... وتَذْبُلُ حتى لاتُجِيبُ المنادىَ
وتُنْحَلُ حتى ليس يُبْقِى لك الهوى ... سوى مقلةً تبكى بها وتناجيا

سيدنا الإمام السرى كان من أهل الكشف والمشاهدة كتب ورقة ، وأعطاها للإمام الجنيد ، وقال له هذه خيرمن سبعمائة قصة تحفظها أو ترويها للناس ، أو حديث يعلو الورقة فيها : لما إدعيت الحب قال كذبتنى فمالى أرى الأعضاء منك كواسىَ (مالى شايف العظم بتاعك مكسى لحم دا المُحِبْ جسمه مايكونش عليه لحم خالص ، يبقى مَبْرى الحب يُبْرِى ويُنْحِل) . فما الحُبُ حتى يُلْصَقَ القلب بالحشى وتَذْبُل حتى لاتُجِيبُ المنادى (دى أعظم من كل الروايات

ومن كل القراءات ، ومن كل الإطلاعات ، الحب أن تَذْبُل حتى يُلْصَقَ القلب بالحشى ولاتُجيب المنادىَ ، يعنى مافيش لحم ويلصق الجلد بالعظم وتَذْبُل وتُنْحَل) وتُنْحَل حتى ليس يُبقى لك الهوى سوى مُقلةً تبكى بها وتناجيا (يعنى لايبقى فى جسمك سوى عينيك ، العظم وعيناك تبكى وتناجى بها بكاء المُحِبْ فى مناجاته مع المحبوب) . ومما يروى أيضاً أن سيدنا يحيى ابن معاذ رضى الله عنه كتب إلى سلطان العارفين سيدى أبى يزيد البسطامى رضى الله عنه قائلاً : سَكِرْتُ مِنْ كَثْرَةِ ماشَرِبْتُ من كأس محبتك (يقول له : أنا عايش فى حال سُكْرْ من كثرة ماشربت من كأس محبتك) . فكتب إليه سيدى أبو يزيد ﷺ غَيرُكَ شَرِبَ بحور السماوت والأرض وما رُوىَّ بعد ، ويقول هل من مزيد .

وأنشد يقول :

عَجِبْتُ لِمَنْ يقول ذَكرتُ إلْفِى ... وهل أنسى فَأَذْكُرُ مانَسِيت
أَمُوتُ إِذَا ذَكَرتُكَ ثُمَّ أَحيىَ ... ولولا حُسْنُ ظَنِّىَ ما حَيِيت
شَرِبْنَا الْحُبَ كَأْساً بَعْدَ كَأْسٍ ... فَمَا نَفَد الشَرَابُ وما رُوِيت
فأحيى بالمُنَىَ وأموتُ شَوْقاً ... فَكَمْ أَحْيَىَ عَلَيْكَ وَكَمْ أَمُوت

ويقول سيدنا عبد الله ابن المبارك ﷺ : مَنْ أُعْطِىَ شَيئاً من المحبة ، ولم يُعْطى مثله من الخشية فهو مخدوع (كلما إزدادت المحبة إزدادت الخشية ، يعنى كل درجة فى الترقى فى المحبة ، يقابلها درجة فى الترفى فى الخشية ، ومن لم تكن خشيته فى الزيادة ، مع زيادته فى المحبة يبقى مخدوع ، يبقى كاذبٌ فى إدعائه . كما قال سيدى عمربن الفارض سلطان العاشقين رضى الله عنه :

فَكُلُ قَتِيلُ الْحُبِ وَفَيتَ حَقَهُ ... وللمُدَعى هَيْهَاتَ مَا إكْتَحَلَ الْكُحْلَ

وقيل : المحبة سُكْرٌ لايَصْحو صاحبه إلا بِمُشَاهَدَةِ محبوبه ثم السُكْرُ الذى يَحْصُلُ عند الشُهُودِ لايُوصَفُ (المحبةُ سُكْر : يدخل فى حال سُكْر ، لايصحو صاحبه ــ أى صاحب السُكْرــ إلا بمشاهدة محبوبه ساعة مايشاهد محبوبه يخرج من السُكْر ــ يفوق ــ ثم السُكر الذى يحصل عند الشهود لايوصف : وعندما يشاهد جمال المحبوب يحصل عنده سُكْر ليس له وصف

وأنشدوا :

لى سَكْرتان وللندمان واحدةٌ ... شئٌ خُصِصتُ به من دونهم وحدى

(هذا هو صاحب السُكْر بالمحبة ، وصاحب السُكْر الأعظم بالمُشاهدة) ويقول سيدنا يحيى بن معاذ ﷺ : مِثْقَالُ خردلةٍ

من الحُبِ أحبُ إلىَّ من عبادة سبعين سنةٍ بلا حُبٍ .
(لأن عبادة سبعين سنة بلا حُب يبقى خالية من الإخلاص وخالية من الصدق مشحونةٌ بالرياء والنفاق يبقى كلها مُرَآه مثقال خردلة من الحُبِ ، بيقول أحب إلىَّ من عبادة سبعين سنة بلا حُب) . وتذاكر قومٌ المحبة فى حضرة سيدى ذى النون المصرى ﷺ فقال : كُفُوا عن هذه المسئلة لاتسمعُها النفوس فَتَدَّعيها (أى النفوس الضعيفة ، لأن الحب لايُرْوى فى المجالس ، النفوس الضعيفة تشوفكم بتوصفوها فَتَدَّعيها كذباً) . قال سيدنا ابن الفارض :

لا تأخذوا عَمَّن رَوى لَكُمُ الْهَوى ولَكِنْ إِذَا شِئْتُمْ خُذُوا عَنْ مُجَرِبِ

(لاتُنقل المحبة بالروايات) . ثم أنشد سيدنا ذى النون يقول :

الخوف أولى بالمُسِئ إذا تَأَلَّهَ الحَـزَنْ والحُبُ يَجْمُلُ بالتُقَى وبالنُقَى من الدَّرَنِ

قوماً جلسوا يتذاكرون المحبة فى الكعبة ، وكان الإمام الجُنَيد ﷺ أصغرهم سِناً فطلبوا إليه الكلام ، فأطرق برأسه ودمعت عيناه ، ثم قال واصفاً المُحِبْ : عبدٌ زَاهِلٌ عن نفسه متصلٌ بذكر ربه ، قائمٌ بأداء حقوقه ، ناظرٌ إليه بقلبه أحرقت قلبه أنوار هويته ، وصفا شُرْبُهُ مِنْ كأس وُدْهِ

وانكشف له الجبار عن أستار غيبه ، فإن تكلم فبالله ، وإن نطق فعن الله ، وإن تحرك فبأمر الله ، وإن سكن فمع الله فهو بالله ، ولله ، ومع الله . فبكى القوم وقالوا : مع على هذا مزيد جزاك الله وجبرك يا تاج العارفين . ومن قول الإمام الجُنَيد ﷺ

وتَحَقَقْتُكَ فى سِرْىِّ وناجاك لسانى
فاجتمعنا لمعانٍ وافترقنا لمعانٍ
إن يكن غَيَّبَكَ التعظيم عن لفظ غِيابِى
فلقد صَيَّرَكَ الوَجْدُ من الأَحْشَاءِ دَانٍ

وقال الإمام الجُنَيد أيضاً :

حاضرٌ فى القلب يَعْمُرُهُ لَسْتُ أَنْسَاهُ فَأَذْكُرُهُ
فهو مَوْلاى ومُعْتَمَدِى وَنَصِيبِى مِنْهُ أَوْفَرُهُ

وقيل أوحى الله لسيدنا داود ﷺ يا داود إنى حرمت على القلوب أن يدخلها حبى وحب غيرى . (بوحى) ، أن الله حرم على القلوب أن يدخلها حب الله وحب غيره ، لا . تُفَرغ القلوب ثم يدخلها حب الله وحده ، ولذلك كانت كلمة التوحيد نَفْىٌ وإثبات ، (لا إله) فَرِّغِ القلب من كل إثباتٍ لإله

ثم اثبت (إلا الله) إثباتٌ بعد نفىٌ بالوحدانية ، لا إلـــه إلا الله وحده . وروى عن أبى سعيد الخراز قال : رأيت النبـــى ﷺ فى المنام فقلت له يا رسول الله إعذرنى فإن محبـــة الله تعالى شغلتنى عن محبتك ، فقال يا مُبارك من أحب الله فقد أحبنى (من يُطِع الرسول فقد أطاع الله) (قـــل إن كنـــتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله) . ويتبين لنا من ذلـــك أن حب الله هو حب رسول الله ﷺ ، وحب رسول الله ﷺ هـــو حب الله سبحانه ، فهو شرط فى الإيمان بالله ؛ لقوله صلى الله عليه وسلم :" لايُؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه مـــن ماله وولده ونفسه التى بين جنبيه " . وقـــد جُملَـــتْ كلمـــة التوحيد بذكر إسم سيدنا رسول الله ﷺ مقروناً باسم الجلالة ، الله . محمد وكلمة التوحيد قديمة فى القدم ، وأزلية مـــن الأزل ، سابقةً للخلق ، ومنها وبها جمال الفطرة التى فطـــر الله الناس عليها ، ولا تَعْمُرُ القلـــوب بنـــور الله إلا بتنفيـــذ هواها فى القلوب ذكراً وحباً وطهراً ونقاءً ، وقد قال بعض الصالحين فى هذا الشأن فى كلمة التوحيد ، ونـــور كلمـــة التوحيد فى قلبه :

أتانى هواها قبل أن أعرف الهوى فصادف قلباً فارغاً فتمكـــنَ

(يعنى تفرغ القلب من إثبات أى إله ، فأثبت الإله الواحد وأهل المحبة يتمنون دوام أنسهم بالمحبوب بالجمع الذى لافرق له والوجد الذى لاإفتقاد له) . وقال بعضهم :

الحبُ فيه حَـــلاوةٌ ومَـــرَارَةٌ وَتهَتُـــكٌ وَتَنَسُـــكٌ بِبَشَائِـــرِ

ماشَاءَ يَصْنَعُ بِالمُحِـــبِ فَإِنَّمَـــا أمرُالهوى بِيَـــدِ الحَبِيـــبِ الآمِـــرِ

لوكُنْتُ أَمْلِكُ فىالْهَوى أَمْرَ الّذى أهوى لَكَانَ مُؤانِسى ومُســـامِرى

ثم ننتقل إلى الحب الإلهى وثمرته عنـــد الســـادة الصـــوفية أولياء الله رضى الله عنهم .

الحب الإلهى وثمرته عند السادة الصوفية أولياء اللّه .

سادتنا الصوفية أولياء الله رضوان الله عليهم قـــالوا فـــى الحب الإلهى ومراتبه ومراحله التنقلية : هو الحب ثم الهِيَام ثم العشق ثم الشوق ثم الذوق ثم الإستغراق ثم الإغتراف ثم المعرفة ، فأوله حبٌ وآخره معرفـــة المحبـــوب ، ويســـمى عارفاً بالله ؛ فمن أحب هام ، ومن هام عشق ، ومن عشق اِشتاق ، ومن اِشتاق ذاق ، ومـــن ذاق اِســـتغرق ، ومـــن اِستغرق اِغترف ، ومن اِغترف عرف ، ومن عرف عُرِفَ

به ويسمى عارفاً بالله .

سيدى أبو يزيد البسطامى ﷺ و الحب الإلهى : وهذا سلطان العارفين سيدى أبويزيد البسطامى ﷺ يقول : العارف طيَّارٌ والزاهد سَيَّارٌ .(العارف يطير إلى الله ويطير فى جنة المعرفة ، والزاهد سَيَّار) وسيدى أبواليزيد البسطامى سلطان العارفين ومليك أهل الطريق ولِدَ رضى الله عنه سنة ١٨٨هجرية بمدينة خَرسَان بالعراق وتوفى رضى الله عن سنة ٢٦١ هجرية ، وكان يُلَقَبُ بِمَليك أهل الطريق . وهوسيدى أحمد طيفور بن عيسى البسطامى وشهرته أبا يزيد ومن كلامه رضى الله عنه :

علامة العارف باللّه . قال : علامة العارف أن يكون طعامه ما وجِد (يعنى لاتكَلُفَ له) ، ومَبِيتُهُ ما أدرك (يعنى يبيت ما أدرك عند غنيٍ أو فقير على الأرض ، على سرير ما أدرك يبيت) ، وشُغْلُهُ لربه (يعنى لا ينتظر كلمة شكرٍ على خدمة يؤديها لأحدٍ من الناس .

وقال فى علم التصوف : أخذتم علمكم ميتاً عن ميت وأخذنا علمنا عن الحى الذى لا يموت .

وفى أدب العارف مع ربه : قال رضى الله عنه : مددت ليلةً رجلى فى المحراب ، فهتف بى هاتف مَنْ يجالس الملوك ينبغى أن يجالسهم بحسن الأدب . وكان يقول رضى الله عنه : عرفت الله بالله ، وعرفت ما دون الله بنور الله . وسُئِلَ رضى الله عنه عن السُنَّة والفريضة ؟

السُنْةُ : ترك الدنيا بأسرها **والفريضة** : الصُحبة مع الله تعالى . وذلك لأن السُنَّة كلها تدل على ترك الدنيا ، والكتاب كله يدل على الصحبة مع المولى عز وجل ؛ لأن كلامه صفةٌ من صفاته ، والنِعَمُ أزليَّة فيجب أن يكون لها شُكْرٌ أزلىٌ . وسُئِل رضى الله عنه عن صفة العارف

صفة العا رف : صفة أهل النار لا يموت فيها ولا يحيى .

وكان يقول رضى الله عنه : رأيت رب العزة فى النوم فقلت يارب كيف أجدك ؟ فقال : فارق نفسك وتعالى إلىّ ، وكان يقول رضى الله عنه : إختلاف العلماء رحمة إلا فى تجريد التوحيد ، ولقد عَمِلتُ فى المجاهدة ثلاثين سنةً فما وجدتُ شيئاً أشق على العبد من العلم ومتابعته ، وكان يقول رضى الله عنه : خلع الله على العباد النِعَم ليرجعوا بها إليه

فاشتغلوا بها عنه .

ومن مناجاته لربه كان يقول : إلهى إنك خلقت هؤلاء الخلق بغيرعملهم وقلَّدتهم أمانةً بغير إرادتهم فإن لم تعينهم فمن يعينهم سواك . وسُئِلَ رضى الله عنه عن التواضع .

التواضع : متى يكون الرجل متواضعاً ؟ فقال إذا لم يرى لنفسه مقاماً ولا حالاً ، ولا يرى أن فى الخلق من هو شرٌ منه . وكان يقول رضى الله عنه: إن أولياء الله يُخَدَّرون عنده فى جنات الأنس لا يراهم أحدٌ فى الدنيا ولا فى الآخرة . وكان رضى الله عنه يقول

فى مقام العارف وأحواله : للخلق أحوالٌ ولا حالٌ لعارف لأنه مُحيَّتْ رُسُومه وفَنِيَّت هويَّته لهوية غيره . (يعنى فَنِىَّ هواه لهوى المحبوب ، لهوى الله سبحانه) .

كرامات الله لأوليائه :ــ وكان يقول رضى الله عنه فى كرامات الله لأوليائه : حظوظ كرامات الأولياء على إختلافها تكون من أربعة أسماء الأول والآخر والظاهر والباطن . وكل فريق له منها إسم ، فمن فَنَىَ عنها بعد مُلابَسَتِهَا فهو الكامل التام ، فأصحاب إسمه الظاهر يلاحظون عجائب

قدرته ، وأصحاب إسمه الباطن يلاحظون ما يجرى فى السرائر ، وأصحاب إسمه الأول شغلهم بما سبق وأصحاب إسمه الآخر مُتَرَبِصون بما يَسْتَقْبِلُهُم ، فكلٌ يكاشف على قدر طاقته إلا من تَولىَّ الحقَ تدبيره ودخل على سيدى أبا يزيد ﷺ عالم بلده وفقيهها فقال له يا أبا يزيد علمك هذا عن مَنْ ؟ ومِنْ مَنْ ؟ ، ومِنْ أين ؟ فقال سيدى أبو يزيد ﷺ : علمى من عطاء الله وعن الله ومِنْ حيث قال سيدنا رسول الله ﷺ :" مَنْ عَمِلَ بما عَلِمَ ورَّثَهُ الله علم ما لم يعلم " فسكت الفقيه . ودخل سيدنا إبراهيم بن شيبه يوما على سيدى أبو يزيد فقال له : أبويزيد وقع فى خاطرى أن أشفع لك عند ربى عزوجل (دا كلام سيدى أبويزيد ، أنظروا إلى المقامات وتواضع أهل المقامات وأدب أهل المقامات) فقال له سيدى إبراهيم : ياأبايزيد لوشفَّعَكَ الله فى جميع المخلوقين لم يكن ذلك كثير إنما هم قطعة طين ، فتحير أبويزيد من جوابه ، فهذه نماذج نرى فيها ثمرة المحبة جليةً واضحة رضى الله عنهم أجمعين .وكان بعضهم يقول مُبيناً حاله فى الحُب :

قلوبٌ بَرَاها الحُبُ حتى تعلقت مذاهِبُهَا فى كل غـرب وشـارقِ
تَهِـيمُ بحُـبِ اللهِ واللهِ ربهـا مُعلقـةً بـالله دون الخلائـقِ

وكان بعضهم يقول وصفاً لحاله :

ولوأن ما بى من جَوىً وصبابةً

على جملٍ ما عَذَبَ اللهُ فى النار كافراً

مبيناً أن مابه من نارالحُب يَنْحِلُ الجسم ويذيبه ويبريه بَرْىَ القلم حتى يصل حالً مثل خيطٍ يَلِجُ عين إبرة الخياطة وبهذا ، والجميع يدخل الجنة كما وعد الله سبحانه بقوله : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُواْ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾

فهذا يقول :

ولو أن ما بى من جَوىً وصبابةً

على جملٍ ما عَذَّبَ اللهُ فى النار كافراً

فهذه صحوة مع الحب . ويقول بعضهم بلسان الحال عن المحبوب رب العزة سبحانه :

أَيُهَا العَاشِقُ مَعْنَـى حُسْـنِنا مَهْرُنَـا غَـالٍ لِمَـنْ يخْطُبْنَـا
جَسَدٌ مُضْنًى ورُوحٌ فى العَنَى وجُفُـونٌ لا تَـذُوقُ الوَسَـنَا
وَفُؤَادٌ لَـيسَ فِيـهِ غَيرُنَـا وإذا مـا شِـئْتَ أدِّى الثَّمَنَـا
فافْنَ إن شئتَ فناءً سَـرْمَدَا الفَنَـا يُـدْنِّى إلـى ذاك الفِنَـا
واخْلَعَ النَّعْلَينَ إن جِئْتَ إلـى ذَلِـكَ الحَـىّ فَفِيـهِ قُدْسُـنَا
وعَنْ الكونَينِ كُـنْ مُنْخَلِعَـاً وأَزِلْ مَـا بَينَنَـا مِـنْ بِينِنَـا
وإذَا قِيلَ مَـنْ تهـوى فَقُـل أنا مَنْ أَهْوَى ومَنْ أَهْوَى أَنَـا

فالحبُ لله هو الحُبُ الجامع للخيـر ، والسـعادة والعـزة

شقاءٌ وذُلٌ فى محبةِ غيرهِ وسَعـدٌ وعـزٌ محبةِ ذاتهِ

فالطريق إلى الله والوصول إلى حضرة قدسة بدايته الحب ومن الحب تبدأ مراحل الترقى والعروج بالمقامات لكل مقام بدايةً ونهايةً حتى يصل العبد إلى المعرفة بالله بالكشف الحقيقى ، و المشاهدة اليقينية مشاهدةً للحقائق باليقين التام ومشاهدةً للحق بلا عِيان ، فنهاية كل مقام بداية المقام الذى يُرَّقىَ إليه ، فالحبُ بدايةً ، ونهاية الحب بداية الهيام ونهاية الهيام بداية العشق ، ونهاية العشق بداية الذوق ونهاية الذوق بداية الإستغراق ، ونهاية الإستغراق بداية

الإغتراف ، ونهاية الإغتراف المعرفة ، ومقام المعرفة نهاية للبدايات والنهايات كلها ، وأرقى المقامات ويسمى عارفا ، فالطريق بدايته الحب ونهايته المعرفة

سيدى أبو الحسن الشاذُلى ﷺ والحب الإلهى :

ونحن مع العارف بالله القطب الربانى الولى التقى الإمام الصوفى سيدى أبو الحسن الشاذُلى ﷺ العارف بالله المُتَصِل بأسرار الحب الإلهى ، المقترب من حدود هذا العالم الروحى السمح والأفق النورانى السامى ، وهويتحدث عن الأنس الربانى وشوارق الأنوار ولوائح الأسرار ويقف عند الأحوال والمقامات فيقول سيدى أبو الحسن ﷺ : أول منزل يطوع المُحب للترقى منه إلى العُلا النفس ، فإذا اِشتغل بسياستها ورياضتها إلى أن اِنتهى إلى معرفتها ، وتحققها أشرقت عليه أنوار المنزل الثانى : وهو القلب (يبقى أول حاجه عايزه السياسة ، والتربيةالرياضة النفس ثم بعدها الثانى هو القلب) فإذا اِشتغل بسياسته ــ وهو القلب ــ حتى عرفه ، ولم يبقى منه عليه شئ أشرقت عليه أنوار المنزل الثالث ، وهو الروح فإذا اِشتغل بسياسته (أى بالمنزل

الثالث وهو الروح) وتمت له المعرفة هبت عليه أنوار اليقين شيئاً فشيئاً ، إلى تمام نهايته ، وهذه طريق العامة أما طريق الخاصة فهى طريقٌ مسلوكه تضمحل العقول فى أقل القليل من شرحها . ويقول رضى الله عنه : من أمَدَّهُ الله تعالى بنور العقل الأصلى شَهِدَ موجوداً لا حد له ولا نهاية بالإضافة إلى هذا العبد ، واِضمحلت جميع الكائنات فيه ، فتارةً يشهدها فيه كما بنيةً فى الهواء بواسطة نور الشمس ، وتارة لا يشهد إنحراف نورالشمس من القوة فالشمس التى يُبصِرُ بها هى العقل الضرورى بعد المادة بنور اليقين ، وإذا إضمحل هذا هذا النور ذهبت الكائنات كلها وبقى هذا الوجود ، فتارةً يفنى وتارةً يبقى حتى إذا أُريد به الكمال نودى فيه نداءً خفياً لا صوت له ، فَيُمَدُ بالفهم عنه ألا إن الذى يشهد غير الله تعالى ليس من الله فى شئ فهناك يتنبه من سكراته فيقول : يارب ثبتنى ، وإلا فأنا هالك فيعلم يقيناً أن هذا الحب لا يُنْجيه منه إلا الله عزوجل ، فحينئذٍ يُقَالُ له : إن هذا الموجود هو العقل الذى قال فيه سيدنا رسول الله ﷺ :" أول ما خلق الله العقل

فأُعطى هذا العبد الذُل والإنقيادِ لنور هذا الموجود ؛ إذ لا يقدرعلى حده وغايته ، فإذا أمد الله هذا العبد بنور أسمائه قطع ذلك كلمح البصر ، أو كما شاء الله تعالى (نرفع درجات من نشاء) ثم أمدَّهُ الله تعالى بنور الرُّوح الرَّبانى فعرف هذا الوجود فَرُقِّيَّ إلى ميدان الروح الربانِيِّ فذهب بجميع ما تَجَلَّى به هذا العبد ، وما تّخَلَّى عنه بالضروة وبقى كل الموجود ثم أحياه الله بنور صفاته ، فأدرجه بهذه الحياة فى معرفة هذا الموجود الرَّبَانِيِّ فلما اِستنشق من مبادِئ صفاته كاد يقول : هو الله ، فإذا لحقته العناية الأزلية نادته ألا إن هذا الموجود هو الذى لا يحل لأحد أن يصفه لا يُعَبِّرُ عنه شئٌ من سرِّ صفاته لغير أهله ، لكن بنور غيره يعرفه ، فإذا أمدَّهُ الله بنور سرِّ الروح ، وجد نفسه جالساً على باب ميدان السر ، فرفع هِمَّتَهُ أن يعرف هذا الموجود الذى هو السر ، فَعَمِىَ عن إدراكه فتلاشت جميع أوصافه كأنه ليس بشئٍ ، فإذا أمدَّهُ الله تعالى بنور ذاته أحياه حياةً باقيةً لا عاقبة ، ولا غاية لها ، فينظر جميع المعلومات بنور هذه الحياة ، ووجد نور الحق شائعاً فى كل شئ

لا يشهد غيره ، فَنُودىَ من قريب لا تَغْتَرَّ بالله فإن المحجوب مَنْ حُجِبَ عن الله بالله ، إذ مُحالٌ أنْ يَحجُبُهُ غيره وهناك يحيى حياةً إستودعها الله تعالى فيه ، ثم قال : أعوذ بك منك حتى لا أرى غيرك ، وهذا هو سبيل الترَّقِى إلى حضرة العلى الأعلى ، وهو طريق المُحبين الذين هم أبدال الأنبياء عليهم السلام . وما يُعطيه الله تعال لأحدهم من بعد هذا المنزل لا يقدر أحدٌ أن يصف منه ذرةً واحدة ، والحمد لله على نعمائه . وأما طريق المحبوبين الخاصة بهم فإنه ترقٍّ منه وإليه به ؛ إذ مُحالٌ أن يتوصل إليه بغيره ، فأول قدم لهم بلا قدم ، إذ ألقَى عليهم نُورُ ذَاتِهِ فغيَّبَهُمْ بين عباده وحبب إليهم الخَلَوات وصَغُرت لديهم الأعمال الصالحات وعَظُمَ عندهم ربُ الأرض والسماوات ، فبينما هم كذلك إذ ألبسهم ثوب العدم ، فنظروا فإذا هُمْ لا هُمْ ، ثم أردف عليهم ظلمةً غيبتهم عن نظرهم ، فصار نظرهم عدماً لا عِلةَ له فانطمست جميع العلل ، فزال كل حادث ، فلا حادثَ ولا وجود ، بل ليس إلا العدم الذى لا عِلَّةَ له ، فلا معرفةً تتعلق به ، واِضمحلت المعلومات ، وزالت الرسومات زوالاً

لا علة فيه ، وبقى مَنْ أُشيرَ إليه لا وصف لـه ولا صـفة ولا ذات واضمحلت النُعُـوت والأسـماء والصـفات كـذلك فلا إسم ولا صفة ولا ذات ، فهنالك ظهر ما لم يزل ظهـور إلا علةً فيه ، بل ظهر بسرِّه لذاته فى ذاته ظهورالألوهية له بل نظر من ذاته لذاته فى ذاته ، وهناك يحيى العبد بظهور حياةٍ لا علةَ لها وصار أولاً فى ظهوره ، لا ظـاهراً قبلـه فَوجِدت الأشياء بأوصافه ، وظهرت بنوره فى نوره سبحانه وتعالى ، ثم يُغَطس بعد ذلك فى بحرٍ بعد بحر إلى أن يصـل إلى بحر السِّر ، فإذا دخل بحر السِّر غَرِقَ غرقاً لا خروج له منه أبد الآباد ، فإن شاء الله تعالى بعثه الله نائباً عن النبى ﷺ يُحْيِي عباده وإن شاء ستَره يفعل فى مُلكـه مـا يشـاء ويقول سيدى أبو الحسن الشاذلى ﷺ : لن يصل العبد إلى الله تعالى وبقى معه شهوةً من شهواته ، ولا مشيئةً مـن مشيئاته ، ولن يقتل هو نفسه حتى يأخذها بـالقوة وشـدة المجاهدة إلى أن يذللها تذليلا ويُرودها على نسـيان ذاتهـا فيقف عند حدِّ الذُّل إلى الله تعالى ، وفى ذلك يقول سـيدى عمر بن الفارض سلطان العاشقين ﷺ :

وما ظَفِـرتْ بـالوُدِّ روحٌ مُرَاحَـةٌ ولا بالولا نفسٌ صفـا العيشُ وُدتِ
وأين الصفا هيهات بالعيش عاشـقٌ وجنـةُ عَـدنٍ بالمكـارهِ حُفَـتِ
ولى نفسٌ حُرٍ لو بـذلتُ لهـا علـى تَسَلْيكَ ما فوق المُنَى مـا تَسَـلَتِ
ولوأُبْعِدَتْ بالصَّـدِّ والهَجْـرِّ والقِـلا وقطع الرجا من خُلَّـةٍ مـا تخلَّـتِ
وعن مذهبى فى الحُبِ مَالِىَ مَـذْهَبٌ وإن مِلْتُ يوماً عنه فَارَقْـتُ مِلَّـتِ
ولو خَطَرَتْ لى فـى سِـوَاكَ إرادَةٌ على خَاطِرى سهواً قَضَيّتُ بِـرِدَّتِ

ويقول بعض العارفين من المحبين ﷺ: لولا الحُبْ لم يَخْلُق اللهُ فى الناس حياة ، فالحياة حُبُ الله هى السعادة والوجود وفى غير حُبِ الله هى الشقاء والفقد . وقـال الله سـبحانه وتعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ **سـورة البقرة** ﴾ **فالمخلوق يحِنُ إلى خالقه بضروة وجوده ، لا يجد محبوباً أسمى من الله ولا يجد راحةً إلا فى السكون إلى الله ولا يجد غِنَىً إلا بالله ولا جمالاً إلا فى التشـوق إلـى الله . والخالق سبحانه يَحِنُ إلى من خلق ببرِّهِ ورحمته . وبحُكـمِ إحتياج المخلوق إلى خالقه إلا إذا كان من الكافرين الأشقياء أو ذُل بالحب المادى حتى هلك فيه ، وهو شبيه بقول مـن**

قال : سألتُ ربى بأى شئ أصلُ إليك يا رب ؟ فقال : أُترك نفسك وتعالى . فإذا قتل حب النفس والأنانية والشهوات عاش لله بلا نفس ، وكانت الروح القدسية هى المتغلبة على النفس فمحتها وعاش بها مُحَلِقاً فى سماء القدس لا يهوى الدنيا وأهلها .

سيدى ذى النون المصرى ﷺ والحب الإلهى :-

ويقول سيدى ذوالنون المصرى ﷺ : الأنس بالله نورٌ ساطع والأنس بالناس سُمٌ قاطع ، والشوق على أعلى الدرجات والمقامات إذا بلغه العبد إستبطئَ الموت شوقاً إلى ربه ، وحباً للقائه والنظر إليه . ويقول أيضاً : مدار الطريق عل أربع : حبُ الجليل ، وبُغْضُ الفانى القليل ، وإتباع التنزيل ، والرضا بالقليل . ويقول أيضاً سيدى ذى النون المصرى : لا لأنى أنساك أُكْثِرُ ذِكْراك ، ولكن بذاك يجرى لسانى . ويقول رضى الله عنه : ذكرنا وما كنا لِنَنْسى فَنَذْكُرُ ولكن نسيم القُرْبُ يبدو فَيَظْهَرُ ، وأحيى به عنى وأحيى به له إذ الحق عنه مُخَبِّرٌ ومُعَبِّرٌ ــ عطاء الحب ــ ويقول أيضاً سيدى ذى النون المصرى فى الحب الإلهى :

أنت فى غفلةٍ وقلبك ساهى ... فغداً العُمْرُ والذنوب كما هى
جَمَةٌ أُحصيت عليك جميعاً ... فى كتابٍ وأنت عن ذلك لاهى
كم تُبَادِر بِتَوبَةٍ مِنْكَ حتى ... صِرْتَ شَيخاً فحبْلُكَ اليوم واهى
فاجْتَهِدْ فى فَكاك نفسك واحذر ... يوم تبدو السماواتُ فوق الجِبَاه

ويصل الحال بالعارفين والعاشقين إلى أعلى درجات الذكر والمشاهدة فيفيض البيان بما عجز عن كتمانه القلب واللسان ويقول الإمام الشبلى ﷺ الذى كان يقوم بالليل ويكتحل بالملح ليعتاد السهر ، ولا يأخذه النوم كان هذا حاله يقول :

ذكرتك لا أنى نسيتك لمحة ... وأيسر ما فى الذكر ذكر لسان
وكدت بلا وجد أموت من الهوى ... وهان علىَّ القلبُ بالخفقان
فلما أرانى الوجد أنك حاضرى ... شَهِدْتُكَ موجوداً بكل مكان
فخاطبت موجوداً بغير تكلمٍ ... ولاحظت معلوماً بغير عِيانِ

وكان سيدنا أبو حمزة الخرسانى يقول : من استشعر ذكر الموت حبب الله إليه كل باقٍ وبَغَّضَ الله إليه كل فانٍ وقال له رجل أوصنى فقال له أبو حمزة : هيئ زادك للسفر الذى بين يديك . ومن أشعاره رضى الله عنه فى معنى الشهود والرضا بالحبيب :

أهابُك أن أُبدى إليك الـذى أُخفـى وسرِّىَ يُبدى ما يقول له طرفـى
نهانى حيائى منك أن أكتُمَ الهـوى وأغنيتنى بالفهم منك عن الكشفِ

أغنيتنى بالفهم منك عن الكشف (رجـال تـولى الله أمـر تفهمهم منه ففهمهم) وسُئل سيدنا سحنون المُحب ذات يوم عن التصوف فقال : هذا مذهب كله جِدْ فلا تخلطـوه بشـئ من الهزل ومن أقواله ﷺ : من علامة الاغترار أن تُسـيئ فيُحسن الله إليك فتترك الإنابة والتوبة توهماً أنك تُسامح فى الهفوات وترى أن ذلك من بسط الحق عليك ويقول أيضا : الفقير الصادق الذى يأنس بالعدم كما يأنس الجاهل بـالغنى ويستوحش من الغَنِّى كما يستوحش الجاهل من الفقير .

ويقول سيدنا (سحنون) واصفاً حال المحبين العارفين :

حنين قلوب العارفين إلـى الـذكر وتـذكارهم وقـت المناجـاة للسـر
ولا عـيش إلا مـع رجـالٍ قلوبهم تَحِنُّ إلى التقوى وترتاح للذكر
أُديرت كئـووسٌ للمنايـا علـيهمُ فَأغْفَوا عن الدنيا كإغفَاءِ ذى السُكْرِ
هُمُـوا جَوَّالـةٌ بمعسـكرٍ بـه أهـلُ وُدِّ الله كـالأنجُمِ الزُهْـرِ
فأجسادهم فى الأرض قتلى بحبـه وأرواحُهم فى الحُجْبِ نحو العُلا تسرى
فما عَرَّسُـوا إلا بقـرب حبيـبهم وما عَرَّجوا عن مَسِّ بُؤسٍ ولا ضُـرِّ
سُكونٌ إلى روحِ اليقـين وطيبـهِ كما سكن الطفل الرضيع إلى الحِجْـرِ

ويقول سيدى سحنون أيضاً :

كان لى قلبٌ أعـيشُ بـهِ ضَـاعَ منِّـى فِـى تَقَلُّبِـهِ
ربِّـى فـاردُدهُ علـىَّ فقد ضَاقَ صَدْرِى فى تَطَلُّبِـهِ
وأَغِثْ ما دامَ بِـى رمَـقٌ يا غَيَّـاثَ المُسـتغيثُ بِـهِ

ويقول الإمام القُشيرى ﷺ : الغيبة غيبة القلب عن علـم مـا يجرى من أحوال الخلق لاشتغال الحس بما ورد عليه ثم قد يغيب عن إحساسه بنفسه وغيره بوارد من تذكر ثـوابٍ أو تفكر عقاب . ويروى عن سيدنا وجدنا الإمام زين العابـدين بن مولانا الإمام الحُسين رضى الله عنهما أنـه كـان فـى سجوده فى الصلاة فوقع حريق فى داره فلم ينصرف عـن الصلاة فسُئل عن حاله . فقال : ألهتنى النار الكُبـرى عـن هذه النار . الخوف من الله ومن عذابه بوعيده .

ويقول بعض العارفين ﷺ : إن المُحب يكون فى المظهر كسائر الناس ، لكنه فى الحقيقة غائب عنهم فـى طلـب مُـراده ويستوى عنده الموت ، والحياة ما دامت روحـه متعشـقة لذات حبيبه مُسلِمَةٌ له فى جميع الأمور فحياته فناؤه وفناؤه حياته ، ولو علم الناس حقيقة البقاء فـى حضـرة الحـق وانكشف لهم الحجاب لم يزاولوا أمراً مـن أمـور الـدنيا

وتراموا على أعتاب البقاء لما فيه من السعادة ، ومن هنا قال بعض أهل المحبة :

قد شربنا من حُبه فسكرنا ... وعرفنا من أين نأتى الجوار
ودخلنا دار الكرامة نُروى ... بيقين الهوى وكنا حيارى
اعذرونا إذا نهيم فإنا ... فى ديار الهوى خُلقنا أُسارى
وترانا من حيث نشرب فى الكأس ... سكارى ولم نكن بسكارى
نتحلى بالعلم فى كل نادٍ ... ونُرى بالتقى علينا إزارا
فقلوب مثل الكواكب فينا ... تُظهر النور فهو لا يتوارى

وقيل لسيدنا سهل بن عبد الله المروزى : ما لك تكثر التصدق ؟ . فقال : لو أن رجلاً أراد أن يتنقل من دارٍ إلى دارٍ أكان يُبقى فى الأولى شيئاً ؟ وقيل لسيدى الربيع بن خيثم وقد اعْتُلْ : ندعو لك الطبيب (يعنى مرض فقالوا نجيبلك الطبيب ؟) فقال : قد أردت ذلك فذكرت عاداً وثمود وأصحاب الرس وقروناً بين ذلك كثيراً وعلمت أنه كان فيهم الداء والمداوى فهُلكوا جميعاً (يعنى لا ينفع داء ولا دواء إذا كان هو الموت) وقيل للإمام الحسن البصرى ﷺ : كيف ترى الدُنيا ؟ فقال : شغلنى توقع بلائها عن الفرح برخائها وقيل لسيدنا الفُضيل بن عياض ﷺ : إن ابنك يقول : وددت

أنى فى مكان أرى الناس ولا يرونى . فقال : يا ويح ابنى . أفلا يتمها ! فقال لا أراهم ولا يروننى . وقيل لبعض السادة الصوفية ﷺ : أى شئ أعجب عندك ؟ فقال : قلب عرف الله ثم عصاه . وقيل لبعض الصالحين : ما لك كلما تكلمت بكى من يسمعك ؟ ولا يبكى من كلام واعظ المدينة أحد . فقال : ليست النائحة الثكلى كالنائحة المُستأجرة . وقيل لسيدنا الربيع بن خيثم ﷺ : ما نراك تغتاب أحداً فقال : لست عن حالى راضياً حتى أتفرغ لذمِّ الناس . وقيل لسيدنا عبد الله بن المبارك ﷺ : حتى متى تكتب كل ما تسمع ؟ فقال : لعل الكلمة التى تنفعنى لم أكتبها بعد . وقيل للإمام الشبلى : لما سُمى الصوفى ابن الوقت ؟ فقال : لأنه لا يأسف على الفائت ولا ينتظر الوارد . (لكى لا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم) وقيل لسيدنا ابن السمَّاك ﷺ : ما الكمال ؟ فقال : الكمال ألا يعيب الرجل أحداً بعيبٍ فيه مثله حتى يصلح ذلك العيب من نفسه ، فإنه لا يفرغ من إصلاح عيبٍ حتى يهجم على آخر فتشغله عيوبه عن عيوب الناس . ، وألا يطلق لسانه ويده حتى يعلم . أفى طاعة ؟ أم فى معصية ؟ وألا

يلتمس من الناس إلا ما يعلم أنه يعطيهم من نفسه مثلـــه . وأن يسلم من الناس باستشعار مُداراتهم وتوفيته حقـــوقهم وأن ينفق الفضل من ماله ويمسك الفضل من قوله . ويقول سيدنا ابن عطاء الله السكندرى ﷺ : دخلت على شيخى ﷺ وفى نفسى العزم على التجريد . قـــائلاً فـــى نفســـى : إن الوصول إلى الله تعالى على هذه الحالة مع الإشتغال بالعلوم الظاهرة ، ووجود المخالطة للناس . فقال لى من غيـــر أن أسأله : صحبنى إنسان مشتغل بالعلوم الظاهرة ، ومتصـــدر فيها فذاق من هذه الطريق شيئاً فجاء إلىَّ فقال : يا سيدى أخرج عمَّا أنا فيه ، وأتجرد لصُحبتك ؟ فقلت له : ما الشأن ذاك ؟ ، ولكن امكث فيما أنت فيه ، وما قسم الله لك علـــى أيدينا فهو إليك واصل . ثم قال الشيخ ، ونظر إليه وهكـــذا شأن الصديقين : لا يخرجون من شئ حتى يكـــون الحـــق سبحانه وتعالى هو الذى يتولى إخراجهم . فخرجـــت مـــن عنده وقد غسل الله تلك الخواطر من قلبى ووجدت الراحـــة بالتسليم إلى الله تعالى . (كشف الحقائق) ويقول ســـيدنا ابن عطاء الله ﷺ : إنما يستوحش العُبَّاد والزُهَّاد من كـــل

شئ لغيبتهم عن الله فى كل شئ ولو شهدوه فى كل شئ لم يستوحشوا من شئ . ويقول اسحق بن إبراهيم السرخسى : سمعت سيدى ذا النون المصرى وفى يده الغُلْ (أى القيـــد الحديد فى يده) بعد أن سيق إلى الخليفة المتوكل من مصر إلى بغداد مُقيداً مغلولاً لأن بعض من لم يفهموه وشوا بـــه واتهموه فى دينه وهو يُساق إلى الموت والنـــاس يبكـــون حوله ، وهو يقول : هذا من مواهـــب الله تعـــالى ، ومـــن عطاياه وكل فِعالهِ عذب حسنٌ طيب ثم أنشد يقول :

لك من قلبى المكان المصون كل لوم علـــىَّ فيـــك يهـــون
لك عزم بـــأن أكـــون قتـــيلاً فيك والصبر عنك ما لا يكون

ومن أقوال سيدى ذى النون المصرى ﷺ :

الصوفية قوم آثروا الله على كل شئ ؛ فآثرهم على كل شئ ومن وصاياه المأثورة عند الصوفية : ليس بذى لُـــب مـــن كاس فى أمر دُنياه وحمق فـــى أمـــر آخرتـــه (أى التـــزم بالكياسة مع الدُنيا) ، ولا من سفه فى مواطن حلمه وتكبر فى مواطن تواضعه ، ولا من فُقد منه الهوى فى مواضـــع طعمه ولا من غضب من حق إن قيل له ، ولا من زهد فيما

يرغب العاقل عن مثله ، ولا من زهد فيما يزهد الأكياس فى مثله ، ولا من استقل الكثير من خالقه عز وجل ، واستكثر قليل الشكر من نفسه ، ولا من طلب الإنصاف من غيره لنفسه ، ولم يُنصف من نفسه لغيره ، ولا من نسى الله فى مواطن طاعته ، وذكر الله فى مواطن الحاجة ، ولا من جمع العلم فعُرف به ثم آثر عليه هواه عند متعلمه ، ولا من قل منه الحياء من الله على جميل ستره ، ولا من أغفل الشكر عن إظهار نعمته ، ولا من عجز عن مجاهدة عدوه لنجاته إذا صبر عدوه على مجاهدته ، ولا من جعل مروءته لباسه ولم يجعل أدبه درعه وتقواه لباسه ، ولا من جعل علمه ومعرفته تطرفاً وتزيينا فى مجلسه . ثم يقول ﷺ : إن الكلام كثير وإن لم تقطعه ينقطع . لا تخرجوا من ثلاثة (النظر فى دينكم بإيمانكم ، والتزود لآخرتكم من دنياكم ، والاستعانة بربكم فيما أمركم به ونهاكم عنه) وروى أن رجلاً سأل الإمام الشبلى ﷺ فقال له : أى صبر أشد على الصابرين ؟ فقال : الصبر لله . فقال الرجل : لا . فقال الشبلى : الصبر مع الله . فقال الرجل : لا . فغضب الشبلى وقال : ويحك

فماذا ؟ فقال الرجل : الصبر من الله عز وجل . فصرخ الإمام الشبلى صرخة كادت تُخرج روحه . ثم يقول الإمام السرَّاج : وسألت ابن سالم بالبصرة عن الصبر فقال : هو على ثلاثة أوجه : مُتصبرٌ ، وصابرٌ ، وصبَّار فالمتصبر من صبر فى الله تعالى فمرة يصبر على المكاره ومرة يعجز والصابر من يصبر لله وفى الله ولا يعجز . وأما الصبَّار فذلك الذى صبره فى الله ولله وبالله فهذا لو وقعت عليه جميع البلايا لا يعجز ولا يتغير من جهة الوجوب والحقيقة لا من جهة الرسم والخليقة . ومن الآثار الجميلة لسيدى محيى الدين بن العربى ﷺ أبيات يقول فيها :

ذُبتُ اشتياقاً ووجداً فى محبتكم ... فآهٍ من طول شوقى آهٍ من كَمَدِى
يدى وضعتُ على قَلبِى مَخَافَةَ أنْ ... ينشقُ صدرى لمَّا خَانَنِى جَلَدِى
مَا زَالَ يَرْفَعُهَا طَوراً ويَخْفِضُهَا ... حتى وضَعْتُ يَدِى الأُخْرَى تَشُدُ يَدِى

ويقول الإمام أبى حامد الغزالى ﷺ عن الصوفية رضوان الله عليهم : حَصَّلْتُ ما يمكن أن يُحَصَّلَ من طريقهم بِالْتَّعَلُمِ والسماع فظهر لى أن أخصَّ خواصهم ما لا يمكن الوصول إليه بالتعلم . بل الذوق والحال ويوضح الإمام الغزالى ﷺ

أن وصوله إلى طريق الأمن واليقين ، لم يكن بِـنُظُمِ دليـل وترتيب وكلام ، بل بنورٍ قذفه الله تعالى فى الصدر ، وذلك النور هو مفتاح أكثر المعارف ، فمن ذلك النور ينبغـى أن يطلب الكشف ، وما دام الأمر للـذوق والكشـف فطريـق الصوفية إذاً مفتاحها هو استغراق القلب بالكلية بـذكر الله وآخرها الفناء بالكلية فى الله . ويقول الإمام الغزالـى ﷺ : إن المبدأ عند هؤلاء المتصوفة من العشاق ، أن العاطفـة لا العقل هى السبيل للوصول إلى الله ، وكان ذلك أول حـال سيدنا رسول الله ﷺ حين تبتل ، حين أقبل إلى غار حـراء حين كان يخلوا فيه بربه ويتعبد ، حتى قالـت العـرب إن محمداً عشق ربه ، وفى وصف حال المُحبِ العاشق لربـه فى الوجد والخلوة والحضوروالقرب يقول سيدناالحلاج ﷺ :

لى حَبِيـبٌ أَزُورُ فـى الْخَلَـواتِ ... حَاضِرٌ غَائِبٌ عَـنِ اللَّحَظَـاتِ
ما تَرَانِى أَصْـغَى إليـه بِسِـرى ... كَىْ أَعِىْ مَا يَقُولُهُ مِنْ كَلِمَـاتِ
كَلِمَات مِنْ غَيْرِ شَـكْلٍ ولا نَقْـطٍ ... ولا مِثْـلَ نَغْمَـةِ الأَصْـوَاتِ
فَكَـأَنِى مُخَاطَـبٌ كُنْـتَ إِيَّـاهُ ... على خَـاطِرِى بِـذَاتِى لِـذَاتِ
حَاضِـرٌ غَائِـبٌ قَرِيـبٌ بَعِيـدٌ ... وهو لَمْ تَحْوِيهِ رُسُومُ الْصِفَاتِ
هُو أَدْنَى مِنَ الْضَّمِيرِ إِلى الْـوَهْمِ ... وأَخْفَى مِنْ لائِـحِ الْخَطَـرَاتِ

ويقول سيدنا الحلاج ﷺ أيضاً :

واللهِ مَا طَلَعَتْ شَـمْسٌ ولا غَرُبَـتْ ... إلاَّ وحُبُّـكَ مَقْـرُونٌ بِأَنْفَـاسِ
ولا جَلَسْـتُ إلـى قَـومٍ أُحَـدِثُهُمْ ... إلاَّ وأَنْـتَ حَـدِيثِى بَـيْنَ جُـلاسِ
ولا ذَكَرْتُـكَ مَحْزُونَـاً ولا فَرِحَـاً ... إلاَّ وأَنْـتَ بِقَلْبِـى بَـيْنَ وسْـواسِ
ولا هَمَمْتُ بِشُرْبِ الْمَاءِ مِنْ عَطَـشٍ ... إلاَّ رَأَيْتُ خَيَالاً مِنْـكَ فـى الْكَـاسِ
ما لى ولِلنَّاسِ كَمْ يُلْحُـونَنِى سَـفَهاً ... دِينِى لِنَفْسِى ودِينُ النَّـاسِ لِلنَّـاسِ

ونقول فما دام المحبوب هو الحق سبحانه ، فـإن العـارف يظل دائم المشاهدة له ، وكلمـا ازداد مشـاهدة زاد هيامـاً ووجداً ، والاشتياق يُهَيِّجُ بِاللِّقَاءِ ويُظْمِئُهُ الوِصَال ، وتُشْغِلُهُ المعاينة ، وكلما اِجتمع العاشق بمحبوبه ، أدرك أنه لا يشبع من مشاهدته ، ولا يُرْوىَ ظَمَأُهُ منه ، فكلما نظر إليـه زاد وجداً به وشوقاً مع حضوره معه .

ومِنْ عَجَبٍ أَنْـى أَحِـنُ إِلَيْهِمُـوا ... وأَسْأَلُ شَوْقَاً عَنْهُمُوا وَهُمُوا مَعِى
وَتَبْكِيهِمُوا عَيْنِى وَهُمْ فى سَـوَادِهَا ... وتَشْتَاقُهُم نَفْسِى وَهُمْ بَيْنَ أَضْلُعِى

فهذا حال أهل المحبة من أهل السلوك ، أهل العلم والمعرفة مع الحب الإلهى ، والعشق والـذوق والتفـانى ، فهمـوا العارفون بالله رضوان الله عليهم .

ومن كلام سلطان العاشقين سيدى عمر بن الفارض ﷺ :

كُلُ مَنْ فى حِمَاكَ يَهوَاكَ لَكِنْ أنَا وحدِى بِكُلِ مَنْ فى حِمَاكَ
يُحشرُ العَاشقُونَ تَحتَ لِوائِى وجَمِيعُ المِلاح تَحتَ لِوَاك
عظمة سلطانية فى العشق سلطان العاشقين حقيقة .

طائفة المجاذيب :

وهناك طائفة من أهل المحبة هاموا فى الحب ، والعشق هياماً غيبهم عن ذواتهم وعن كل ما سوى المحبوب فظاهرهم أمام الناس أنهم بُلْه (منهم من جعل الله ظاهره البلاهه) لأنه كشف لهم ستائر أسراره ، فهم فى كشف دائم ، يقرأون لوائح عجائب قدرته سبحانه ومقادير خلقه فحكم الناس فيهم أنهم بُله ، وهم يتكلمون بين الناس بالإشارات المُبهمة ، ومنهم أيضاً من هو بين الناس ظاهره أبله ، ويتكلمون وينطقون بما يشاهدون من الحقائق ، ولكن الله ضلل ثقة الناس بهم ، فلا يُحسنون الظن بهم ولايُصدقونهم فى قول ويُقال عنهم المجاذيب

طائفة المجانين :

وهناك طائفة من هؤلاء رزقهم الله الحكمة ، واستحبوا مع المحبوب الْخَلْوة ، وفروا إلى الله من المخلوقات ، ورأوا

السعادة فى خلواتهم وتَحَلَّوا بالحكمة ، فلا يراها فيهم إلا من اِلْتَقَى بهم من أهل المعرفة ــ العارفين بالله ــ فيكشفون عن جمال الحكمة فيهم ، ويسمونهم العوام بالمجانين فهم أهل ذكر وعشق وشوق دائم للمحبوب وهو الله سبحانه وقد أحبوا الْخَلْوة . وكان سطح جبل المقطم فى مصر فى زمنهم كان كُلٌ يختلى فى مكان فيه له خلوته (عريش يقوم به فوق جبل المقطم ، فكان كل من يحب يزروهم يذهب إليهم فى خلواتهم ، من أهل العلم والمعرفة كانوا يزورنهم ليقتبسوا منهم الحكمة فى النصيحة ، والحكمة من الوصل والوصال) وهؤلاء عظماء حكماء رضى الله عنهم وسترهم عن أعين الناس فقالوا فيهم مجانين ؛ ليكون أُنسهم بالله وحده مستوحشين من كل ما سواه ، فلا يشغلهم التعامل مع الناس عن محبوبهم ، ويعطلهم عن سيرهم إلى الله ويقطع عنهم مدد الحكمة من الله ، ولا يكونون مع الناس بمعية أُنسٍ بهم وتكون معيتهم بالله وحده ، وأنسهم بالله وحده وهذه رحمة الله بمن أحبه فلقد قيل على كل نبى ورسول أنه مجنون ؛ ولذلك إن قيل فى أهل المحبة أنهم مجانين فهذه

تكون شهادة حق لهم ؛ أنهم يرتشفون من شراب الأنس الذى حظى به الأنبياء والمرسلين من عطاء الحكمة والنبوة رضى الله عنهم وأرضاهم نُقدم منهم لانقول على سبيل الحصر، لكن نقول : على سبيل المثال ، ومن هؤلاء السادة الكبار سيدنا بهلول المجنون (لازم نقول كلمة المجنون للتعريف لأن شهرته أصبحت بهلول المجنون الاسم بالشهرة المعروف بها)

سيدنا بهلول المجنون ﷺ :

سيدنا بهلول كان من أهل الجذب بالعناية ، ومن أهل المحبة ، على مقام الهائم فى حب الله ، فألهمه الله الحكمة ومَنَحَهُ مِنْحَةَ الأُنْسِ بالله الواحد ، وكان هذا المقام لا يُرى إلا عند أهل المحبة ، أهل العلم بالله والمعرفة أى العارفين فكان إذا جالسه عالم عارف من العارفين فسمع منه علماً وحكمة شهد له بالمقام الكمالى الراقى ، فهذا إمام من أئمة الصوفية وعَلَمٌ من أَعْلامِ الصوفية ولى الله الإمام سيدنا مالك بن دينار ، وهو إمام من أئمة الصوفية الكرام وعلم من أعلام الصوفية و عارف من العارفين ، وولى من أولياء

الله الصالحين وقطب من الأقطاب من أهل الكشف والمشاهدة ومن أهل التحقيق ، يَحْكى عن أمر كان معه فيقول : دخلتُ المقبرة يوماً لأزور ، فرأيت بالمقبرة بهلول المجنون يجلس عارياً لا يلبس إلا ما يسترعورته ، ومسكنه بين القبور فنظرت إليه ، وتأملت ودققت النظر فيه ؛ لأشاهد من أفعاله وحركاته وأحواله ما يدلنى على يقين بمعرفة أموره وحكمته وأحواله ؛ فرأيته نظر إلى السماء نظرة أطال فيها واستهل ثم نظر إلى الأرض نظرة أطال فيها واعتبر ، ثم نظر عن يمنيه نظرة أطال فيها وضحك ، ثم نظر عن شماله نظرة أطال فيها وبكى ، قال الإمام مالك ﷺ : فتقدمت بين يديه وسلمت عليه ؛ فرد علىَّ السلام فقلت له رأيتك نظرت إلى السماء نظرة فأطلت فيها واستهل وجهك (يعنى استبشر وجهك) ، ثم رأيتك نظرت إلى الأرض نظرة فأطلت فيها واعتبرت (يعنى ظهرت العبرة على وجهك) ، ثم رأيتك نظرت عن يمينك نظرة أطلت فيها وضحكت ، ثم رأيتك نظرت عن شمالك نظرة أطلت فيها وبكيت . فقال سيدنا بهلول ﷺ : نظرت إلى السماء ؛ فذكرت قول الله تعالى

﴿ وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ سورة الذاريات .

فاطمئن قلبى على رزقى ، واستهل وجهى بالبشر ؛ فإن قول الله صدْق ، ثم نظرت إلى الأرض فذكرت قول الله تعالى ﴿ مِنۡهَا خَلَقۡنَٰكُمۡ وَفِيهَا نُعِيدُكُمۡ وَمِنۡهَا نُخۡرِجُكُمۡ تَارَةً أُخۡرَىٰ ﴿٥٥﴾ ﴾ سورة طه . فاعتبرت وعلمت أنى خُلقت من التراب وأعود إلى التراب ، ثم يُخرجنى ربى إلى الحساب فاعتبرت ، ثم نظرت عن يمينى فذكرت قول الله تعالى : ﴿ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡيَمِينِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِي سِدۡرٖ مَّخۡضُودٖ ﴿٢٨﴾ وَطَلۡحٖ مَّنضُودٖ ﴿٢٩﴾ وَظِلّٖ مَّمۡدُودٖ ﴿٣٠﴾ وَمَآءٖ مَّسۡكُوبٖ ﴿٣١﴾ وَفَٰكِهَةٖ كَثِيرَةٖ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقۡطُوعَةٖ وَلَا مَمۡنُوعَةٖ ﴿٣٣﴾ وَفُرُشٖ مَّرۡفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾ إِنَّآ أَنشَأۡنَٰهُنَّ إِنشَآءٗ ﴿٣٥﴾ فَجَعَلۡنَٰهُنَّ أَبۡكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتۡرَابٗا ﴿٣٧﴾ لِّأَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ ﴿٣٨﴾ ﴾ سورة الواقعة فضحكت أى فرحت بما أعده الله لنا فى الجنة من نعيم وجعله جزاء على طاعتنا له فى الدنيا فقد خلقنا مجاناً ورزقنا مجاناً ولم يستعبدنا مجاناً ، وهو له حق الطاعة علينا تحية لجلاله فضحكت فرحاً بالعطاء . ثم نظرت عن شمالى فذكرت قول الله تعالى : ﴿ وَأَصۡحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِي سَمُومٖ وَحَمِيمٖ

﴿٤٢﴾ وَظِلّٖ مِّن يَحۡمُومٖ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٖ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ ﴾ سورة الواقعة فبكيت خشية أن أكون منهم ، فقال له سيدنا مالك : إنك لحكيم . شهادة إمام لهذا الذى يُقال عنه أنه مجنون أنه حكيم . سيدنا مالك قال له (إنك لحكيم) ، ثم قال له سيدنا مالك ﷺ : أتأذن لى أن أشترى لك قميصاً قطناً من السوق ؟ فنظر سيدنا بهلول نظرة فيها التعجب لسيدنا مالك وقال له افعل . فيقول سيدنا مالك ﷺ : فذهبت إلى السوق واشتريت له قميصاً قطناً ، وجئت بالقميص بين يديه فأخذ القميص من يدى وقلبه ثم رمى به إلىَّ ، ثم قال لسيدنا مالك : ما لهذا القميص أردت ؟ فقال له الإمام مالك : فما القميص الذى تريده ؟ قال له يا مالك : أريد قميصاً من الإخلاص محفوظاً من الدنس والانتقاص ، غُرس قطنه بالحقائق ، وحُرِسَ من جميع البوائق ، سقاه جبريل بماء السلسبيل فأينع حُسناً وأثمر قُطنا . فلقطته أيدى الكرام البررة التالين سورتا الحمد والبقرة ، ثم حلجته أكف الوفاء بعز وصفاء من غير جفاء ، ثم نخلته الأوتار المتصلة بالأنوار ، وغزلته مغازل الحمد والثناء بالمحبة والإعتناء .

جُعِلَت الجنة لناسجة ثواباً ، وكان هو للابسه من النار حجاباً ، ثم نظر سيدنا بهلول إلى سيدنا مالك فقال له : أتقدر على مثل هذا يا مالك ؟ فقال سيدنا مالك ﷺ : إنما يقدر عليه من خصك بوصفه ، وألهمك بمعانيه وكشفه ، ثم قال له الإمام مالك : يا سيدى صف لى أن ألبس هذا القميص . فقال له يا مالك : إنما يلبسه من خصَّهُ الله بأنواره ، وكتبه من ديوان أبراره ، وأحياه بالسابقة وقوَّاه بالعزيمة الصادقة ، فجسمه بين الناس يسعى ، وقلبه فى الملكوت يرعى ، فلا يتكلم بغير ذكر الله لفظة ، ولا ينظر لغير الله لحظة . فسيدنا مالك ﷺ يصف حاله فيقول : وأنا أسمع إليه كأن عقلى غاب عنى ، وذلك من عظمة العطاء الربانى ، فشغلنى حديثى مع نفسى كيف يقال على مثل هذا السيد أنه مجنون ، وأنا أرى نفسى بمقامى وعلمى ومعرفتى أمامه وبين يديه فى أدنى مقام ، فنظرت إليه وقد وثب وثبة كوثبة الأسد ، وقام يجرى فى المقابر ؛ وفيناجى ربه بصوت عالٍ ، إليك فرَّ الهاربون ونحوك قصد الطالبون وعلى بابك أناخ التائبون . إنَّ هذا المقام مقام مشهود

فنقول لكل عاشق لمقام القرب والعطاء ، أن يُحسن الطلب بإخلاصه فى عبادة الله ، وطاعة الله ، وطاعة رسول الله ومحبة الله ورسوله ، ومحبة آل بيته الأطهار .

سيدنا سعدون المجنون :

ومثال آخر فعن محمد بن الصبَّاح (إمام من الأئمة) ﷺ قال: خرجنا نستقى بالبصرة فلما أصحرنا (يعنى دخلنا الصحراء) إذا نحن بسعدون المجنون (التقوا بسيدنا سعدون المجنون) قاعداً على الطريق ؛ فلما رآنى قام وقال لى : إلى أين ؟ قلت : نستقى . قال لى : بقلوب سماوية أم بقلوب خاوية ؟ فقلت : سماوية . قال : فاجلسوا ها هنا (اقعدوا هنا) واستسقوا (يعنى صلوا الاستسقاء وادعوا قدامى هنا) فجلسنا حتى ارتفع النهار (قعدوا طول الليل يدعوا) وما تزداد السماء إلا صحوا (يعنى مفيش سحابة جات فيها مية فوقنا) ، ولا الشمس إلا حرا ، فنظر إلينا وقال يا بطَّالون لوكانت قلوبكم سماوية ؛ لَسُقِيتُمْ ، ثم توضأ وصلى هو ركعتين ولَحَظَ إلى السماء بطرفه (أى بعينه) فتكلم بكلام لم أفهمه ، فوالله ما استتم كلامه حتى

رَعَدْت السماء ، وأبرقت وأمطرت مطراً جيدا ، فسألناه عن الكلام الذى تكلم به ، فقال إليكم عنى إنما هى قلوب حنَّتْ فَرَنَّتْ فعاينت فَعَلِمْت وعملت وعلى ربه توكلت ثم أنشد يقول:

إعرض عن الهِجْرانِ والتمادى وارحل لمولى مُنْعِمٍ جوادِ
ما العيشُ إلا فى جِوارِ قومٍ قَدْ شَرِبُوا مِنْ صَافى الوِدَادِ

ومثالٌ آخرعن هؤلاء السادة : عن سيدنا مالك بن دينار رضي الله عنه قال : دخلت جبانة البصرة فإذا أنا بسعدون المجنون رضي الله عنه فقلت له كيف حالك ؟ وكيف أنت ؟ فقال يا مالك كيف يكون حال من أصبح وأمسى يريد سفراً بعيداً بلا أَهبَّةٍ وزاد ويقْدُمُ على ربٍّ عدلٍ حاكمٌ بين العباد ؟ ثم بكى بكاءً شديداً ؛ فقلت له مايبكيك ياسعدون ؟ فقال والله مابكيت حرصاً على الدنيا ولاجزعاً من الموت والبلاء ، ولكن بكيت ليومٍ مضى من عمرى لم يَحْسُنْ فيه عملى ، أبكانى والله قلة الزاد وبُعْدُ المفازة ، والعقبة الكؤود ، ولا أدرى بعد ذلك أصير إلى الجنة أم إلى النار فسمعت منه كلام حكمةٍ فقلت : إن الناس يزعمون أنك مجنون ؟ فقال وأنت اِغتررت بما اِغترَّ به أهل الدنيا ؟ زعم الناس أنِّى مجنون ، وما بىَّ من جُنَّة ولكن

حُبُّ مولاى خالط قلبى وأحشائى ، وجرى بين لحمى ودمى وعظامى ، فأنا والله من حبه هائمٌ مشغول ، فقلت : ياسعدون لِما لا تُجالس الناس وتخالطهم ؟ فأنشد يقول:

كنْ مِنْ النَّاسِ جَانِبا وارضى بِاللهِ صَاحِبَا
قَلِّبْ النَّاسَ كَيْفَ شِئْتَ تَجِدْهُمْ عَقَارِبَا

وأنشد بعضهم فى هذا المعنى :

ومازلتُ مُذْ لاحَ المَشِيبُ بمَفْرَقِى وأُفَتِّشُ عن هذا الورى ثم أكشفِ
فما إن عرفتُ الناسَ إلا ذَمَمْتُهُمْ جزى الله خيراً كلُ مَنْ لستُ أعرفِ
فما كُلُ مَنْ تَهْوى يُحِبُكَ قَلْبُهُ ولا كُلُ من تُحْبِبْ يَكُنْ لَكَ مُنْصِفِ
وما النَّاسُ بِالنَّاسِ الذين عَهِدتَهُم ولا الدارُ بالدارِ التى كُنْتَ تألَفِ

أمثلة عن طائفة المجاذيب والمجانين فى الحب الإلهى

وعن سيدنا ذى النون المصرى رضي الله عنه قال : بينما أنا أطوف وقد هدأت العيون ببيت الله الحرام إذ أنا بشخصٍ قد حاز البيت (يعنى واقف بجوارالكعبة) وهويقول : يارب عبدك المسكين الطريد الشريد من بين يديك ، أسألك من الأمور أقربها ومن الطاعات أحبها ، وأسألك بأصفياءك من خلقك الكرام من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام إلا سقيتنى بكأس محبتك وكشفت عن قلبى أغطية جهل معرفتى حتى أرقى بأجنحة

الشوق إليك ؛ فأناجيك فى أركان الحق بين رياض العِرْفَان ثم بكى حتى سَمِعْتُ وقْعَ دموعه على الحصى حول الكعبة ثم ضحك وانصرف . يقول ذى النون المصرى ﷺ : فتبعته وقلت فى نفسى هذا إما عارفٌ ، وإما مجنون فخرج من المسجد وأخذ نحو ضَرَابِ مكة ، ثم التفت إلىَّ وقال : مالك إرجع أمامك فقلتُ ما اسمك يرحمك الله ؟ قال : عبد الله قلت بن مَنْ ؟ بن عبد الله قلت قد علمت أن الخلق كلهم عبيدٌ لله وبنوا عبيده فما اسمك ؟ فقال : سمانى أبى سعدون . قلت المعروف بالمجنون ؟ قال نعم . قلت فمن القوم الذين سألت الله تعالى بهم وبحرمتهم ؟ قال : أولئك قومٌ ساروا إلى الله تعالى سَيرَ مَنْ نصب المحبة بين عينيه وتجردوا تجرد من أخذت الزبانية بقلبه ، ثم التفت إلىَّ وقال : ياذا النون قلت نعم قال : بلغنى أنك تقولُ . قل شيئاً (يعنى بلغنى أنك عالم وعارف من العارفين أسمعنى من علمك شيئاً) قُلْتُ أنت الذى يُقْتَبَس مِنْ عِلْمه ، فقال حق السائل الجواب ثم أنشد يقول :

قلوبُ العارفين تَحِنُ حتى ... تَحِلُّ بقربهِ فى كُلِ رَاحِ
صَفَتْ فى وُدِّ مولاها ... فليست لها عن وُدِّ مولاها براَحِ

وقيل إن سيدنا سعدون المجنون ﷺ كان يدور فى شوارع البصرة ، ويقف على كل دارٍ مرَّ بها ويقرأ أمام كل باب دار بصوت عالٍ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ ۝١ ﴾ سورة الحج . ويبكى وينشد ويقول :

فلولم يكن شئٌ سوى الموتِ والبَلَىَ
وتفريق أعضاءٍ ولحمٍ مُبَدَدِ
لكنت حقيقاً يا ابن آدمَ بالبكا
على نائبات الدهرِمع كل مسعدِ

وكان سيدنا سَعْدون ﷺ إذا اشتد به الجوع أنشد يقول :

إلهى أَنْتَ قَدْ آليْتَ حقَاً ... بِأَنَّكَ لاتُضَيِّعُ مَنْ خَلَقْتَ
وأَنَّكَ ضَامِنٌ لِلْرِزْقِ حَتَى ... تُؤَدِى ما ضَمِنتَ كما قسمتَ
وإنى واثقٌ بك يا إلهى ... ولكنَّ القلوبَ كما علِمتَ

وكان رضى الله عنه عليه جُبة مكتوبٌ عل كُمِها الأيمن

عصيت مولاك يا سعيد ما هكذا تفعل العبيد

على الكُمُ الأيسر مكتوبٌ سطران :

تباً لِمَنْ قوته رَغِيف يأتى به السيد اللطيفُ

يعصى إلهاً لَهُ جَلالٌ وهو بِهِ رَاحِمٌ رؤفُ

ومِنْ خلفه سطران : (على ظهره كاتب سطران)

كلَ يومٍ يَمُرُ يأْخُذُ بَعْضى يذْهَبُ الأطْيَبين شئ ويمضِ

نفسىكُفْىعن المعاصى وتوبى ما المعاصى على العباد بفرضِ

ومن بين يديه سطران : (أى على صدره)

أيها الشَّامِخُ الذى لايرُامُ نَحْنُ مِنْ طِينَة عَلَيْكَ السَّلامُ

إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ مَتَاعٌ ثُمَّ مَوْتٌ بِهِ تُسَاوى الأَنَامُ

وعلى عُكَازه مكتوبٌ سطران :

إعمل وأنت بذىالدنيا على وجلٍ

واِعلم بأنك بعد الموتِ مبعوثُ

واِعلم بأنك ما قدَّمت من عملٍ

يُحصىعليك وما خَلَّفْتَ موروثُ

فقيل له أنت حكيمٌ لست بمجنون فقال : أنا مجنون الجوارح

لست بمجنون القلب ، ثم ولىَّ هاربا رضى الله تعالى عنه .

وعن أبو الجوال المغربىِّ ﷺ قال : كنت جالساً مع رجلٍ صالح ، ببيت المقدس وإذا قد طلع علينا شابٌ والصبيان حوله يقذفونه بالحجارة ويقولون: مجنون . مجنون ؛ فدخل المسجد وهو ينادى اللهم اِرحمنى من هذه الدار ، فقلت له هذا كلام حكيم فمن أين لك هذه الحكمة ؟ قال : من أخلص له الخدمة ؛ أورثه طرائف الحكمة ، وأيده بأسباب العصمة وليس بى جنون وزلق بل قلقٌ وفَرَقْ ثم أنشد يقول :

عَجَبْتُ الورى فى حُبِ مَنْ جَادَ بالنعَمْ

وعِفْتُ القرى شَوْقَاً إِلَيْهِ فَلَمْ أَنَمْ

ومَوَّهْتُ ذِهْنِّى بالجُنَونِ على الورى

لأكْتُمَ مابى مِنْ هَواهُ فما اِنكَتَمْ

فَلَمَّا رَأَيْتُ الشَّوْقَ بِالْحُبِ بَائْحَاً

كَشَفتُ قِنَاعِى ثُمَّ قُلْتَ نَعَمْ نَعَمْ

فَإِنْ قِيلَ مَجْنُونٌ فَقَدْ جَنَنِّى الهوى

وإن قِيلَ مسْقَامٌ فما بِىَّ مِنْ سِقَمْ

وَحَقِ الْهَوى والْحُبِ والْعَهْدِ بَيْنَنَا

وحُرْمَةِ روحِ الأُنْسِ فى حِنْدِسِ الظُلَـمْ
لقد لامَنِى الواشُونَ فِيكَ جَهَالَةً
فَقُلْـتُ لِطَرْفِـى إِفْصَـحِ الْعُـذْرَ فاحْتَشَـمْ
فَعَاتَبَهُـمْ طَرْفِـى بِغَيْـرِ تكلُـمِ
وأَخْبَرَهُمْ أَنَّ الْهَـوى يُـورِثُ السِـقَمْ
فَبِالْحِلْمِ يَا ذَا الْمَنِّ لا تُبْعِدَنِّى
وقَرِب مَزَارى مِنْـكَ يا بَـارِئَ النَسَـمْ
قال : فقلتُ أحسنت لقد غَلَطَ مَنْ سَمَّاكَ مجنونا ، فنظر إلـىَّ وبكى وقال : أولا تسألنى عن القوم كيف وصلوا واتصلوا ؟ (لأن الأسـرار دى معايـا لأنـى وصـلت واتصـلت) قلت بلى أخبرنى فقال : طَهَّرُوا الأخـلاق ، ورَضَـوا منـه بيسير الأرزاق وهاموا من محبته فى الآفاق ، وإئتـزروا بالصدق وارتضوا بالإشفقاق ، وباعوا العاجل الفانى بالآجل الباقى ، وركبوا فى ميـدان السـباق ، وشَـمَّروا تَشْـمِير الجهابذة الحذاق ، حتى اتصلوا بالواحد الرزاق ، فَشَـرَّدَهُمْ فى الشواهق ، وغَيَبَهُم عن الخلائق ، لاتُؤيهم دار ، ولايقرُ بهم قرار ، فالنظر إليهم إعتبار ، ومحبتهم إفتخـار، وهـم

صفوةٌ أبرار ، ورُهْبانٌ أحبار ، ومَدَحَهُم الجبار ، ووَصَفَهُم النبى المُختار، إن حضروا لم يُعْرَفوا ، وإن غابوا لم يُفْتَقَدوا وإن مـاتـوا لـم يُشْهَـدوا .
ثـم أنشـد يقـول :
كُنْ من جَمِيعِ الخلقِ مُسْتَوحِشا مُسْتَأنِساً بالواحـدِ الحـقِ
واصبر فَبِالصَبرِ تَنَـالُ المُنَـى وارضى بما يجرى من الرزقِ
واحذر مـن النُطْـقِ وآفاتـه فآفةِ المـؤمنِ فـى النطـقِ
وجِدَّ فى السـير وشَـمِّرْ كمـا شَمَّرَ أهـل السَـبْقِ للسَـبْقِ
أولئك الصـفوةُ ممـن سَـما وخِيـرةُ اللهِ مِـنَ الْخَلْـقِ
قال : فَأُنْسِيت الدنيا عند حديثه ، ثم ولى هارباً وأنا متأسفٌ عليه رضى الله تعالى عنه . وعن أحـد الصـالحين وهـو سيدى عبد الواحد بن زيد ﷺ قال : سألت الله عـز وجـل ثلاث ليال أن يُرينى رفيقى فى الجنة ؛ فقيل لـى يـا عبـد الواحد : رفيقك فى الجنة ميمونة السوداء . فقلت : وأيـن هى ؟ فقيل لى : فى بنى فلان بالكوفة . فخرجت إلى الكوفة وسألت عنها . فقالوا : هى مجنونة ترعى غنيمات . فقلت : أريد أن أراها . فقالوا : اخرج إلى الجَبَّانة . فخرجتُ . فإذا

هى قائمة تُصلى . وإذا بين أيديها عُكَّازٌ وعليه جِبَّةُ صوف مكتوب عليها لا تُباع ولا تُشترى ، وإذا الغنم مع الذئاب (رأيت الغنم مع الذئاب مختلطين ببعض) فلا الذئاب تأكل الغنم ، ولا الغنم تخاف من الذئاب ؛ فلما رأتنى أوجزت فى صلاتها (يعنى خفت فى صلاتها وفرغت من الصلاة بسرعة) ارجع يا بن زيد فليس الموعد ها هنا إنما الموعد غداً فقلت : يرحمك الله من أعلمك أنى ابن زيد ؟ فقالت : أما علمت أن الأرواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف ! فقلت لها : عظينى . فقالت : واعجباً لواعظٍ يُوعظ . إنه بلغنى ما من عبدٍ أُعطى من الدنيا شيئاً فابتغى إليه ثانياً إلا سلبه الله حب الخلوة معه وبدَّلَهُ بعد القُرب بُعد ، وبعد الأُنس وَحْشَة ثم أنشدت تقول :

يا واعظاً قَامَ لا احْتِسَابُ ... تَزْجُرُ قَوماً عَنِ الذنوب
تَنْهَى وأنت السَّقِيم حَقاً ... هذا من المُنكرِ العَجِيب
لو كُنتَ أصلحتَ قَبْل هذا ... عَيبُك أو تُبْتَ من قَرِيب
كان لمَّا قُلت يا حبيبى ... مَوقِعَ صِدقٍ من القلوب
تَنهَى عن الغَىِّ والتَّمَادى ... وأنت فى النَهْىِ كالمُرِيب

فقلت لها : إنى أرى هذه الذئاب مع الغنم ، فلا الغنم تفزع من الذئاب ، ولا الذئاب تأكل الغنم ؛ فلأى شئ هذا ؟ فقالت : إليك عنى فإنى أصلحت ما بينى وبين سيدى فأصلح ما بين الذئاب والغنم . رضى الله تعالى عنها .

عن أبى الربيع قال : بِتُ أنا ومحمد بن المُنكدر وثابت البنانى عند السيدة ريحانة المجنونة رضى الله عنها وعنهم أجمعين . قال : فقامت أول الليل وهى تقول :

قام المُحِبُ إلى المُؤَمَّلُ قَوْمَةً ... كَادَ الْفُؤَادُ مِنَ الْسُرورِ يَطِيرُ

فلما كان جوف الليل (أى وسط الليل) سمعنا هاتفاً يقول:

لا تأنس بمن تُوحِشُكَ نَظْرتُه ... فَتُمنَعَنَّ من التِذْكَارِ فى الظُّلَمِ
واجِهِدْ وَكِدَّ وكُنْ فى الليلِ ذا شَجَنٍ ... يَسْقِيكَ كَأس وِدَادِ الْعِزِّ والكَرَمِ

فلما ذهب الليل نادت : واحزناه واسلباه . فقلت : مماذا (قلنا بتزعق ليه كده فيه إيه) فقالت :

ذَهَبَ الْظَّلامُ بِأُنْسِهِ وبِإِلْفِهِ ... لَيْتَ الْظَّلامُ بِأُنْسِهِ يَتَجَدَدُ

(حزنانة إن الليل هيخلص) زمن المُناجاة الليل عند أهل المحبة . وعن عتبة الغلام رضى الله عنه قال : خرجت من البصرة فإذا أنا بخُباء أعراب قد زرعوا زرعاً ، وإذا بخيمة

مضـــروبة ، وإذا فـــى الخيمـــة جاريـــة مجنونـــة عليهـــا جبة صوف مكتوب عليها لا تُبـــاع ، ولا تُشـــترى فـــدنوت منهـــا وســـلمت عليهـــا . فلـــم تـــرد علـــىَّ الســـلام ثـــم سمعتهـــا تقـــول :

أَفْلَحَ الزَّاهِدونَ والعَابِـــدُونَ إذا لِمَولاهُمْ أجَاعُوا البُطُـــونَ
أسْهَرُوا الأَعْيُنَ القَرِيحةَ فِيهِ فَمضَى ليلَهُم وهُمْ شَـــاهِدُونَ
حَيَّرَتهُم مَحَبـــةُ الله حَتَّـــى حَسِبَ النَّاسُ أنَّ فِيهِمْ جُنُونَ
هُـــمْ أَلبـــاذُ عُقـــولٍ ولَكِـــنْ قَدْ شَجَاهُمْ جَمِيعَ ما يَعْرِفُونَ

قال : فدنوت إليها فقلت : لمن الزرع ؟ (الـــزرع ده بتـــاع مين ؟) . فقالت : لنا إن سَلِمْ . فتركتُهـــا وأتيـــتُ بعـــض الأخبية فأرخَتْ السَّمَاءُ مطراً كأفواهِ القِرَبْ . فقُلـــت : والله لآتِيَنَّها وأَنظُر قِصتها فإذا بالزرع قد غَرِقْ وإذا هى قائمـــة وهى تقول : والذى أودع قلبى من صروف صـــفاء مـــودة محبتك إنَّ قلبى ليوقنن منك بالرضـــا ، ثـــم التفتـــت إلـــىَّ وقالت : إنه الذى زرعَهُ فأنبتَه ، وأقامهُ فســـنْبَلَهُ ، وركَّبَـــهُ فَشَقَّقَهُ ، وأرسل عليه غَيثاً فسقاهُ ، واطَّلَعَ عليـــه فحَفِظَـــهُ فلمَّا دَنَا حَصَادَهُ أَهْلَكَهُ . ثم رفعت رأســـها نحـــو الســـماء

وقالت : كل العباد عبادك وأرزاقهم عليك فاصنع ما شئت . فقلت لها : كيف صَبْرُكِ ؟ (إيه الصبر اللى عندك ده ؟ هو اللى زرعه وهو اللى سقاه وهو اللى هلكه ، حاجته ، وهو الرزاق يرزقنا) فقلت لها : كيف صَبْرُكِ ؟ فقالت : اســـكت يا عُتبة ، إن إلهى لغنى حميد ، فى كل يوم منه رزق جديد الحمد لله الذى لم يزل يفعلُ بى أكثر مما أُريد . قال عتبة : فوالله ما ذَكَرتُ كلامها إلا هَيَّجَنِى وأبْكَانِى (عَينُ الرضا فيما تقول) . وعن سيدى ذى النون المصرى ﷺ قال : وُصِـــفَ لى رجل من أهل المعرفة فى جبل دكام فقصـــدته فســـمعته يقول بصوت حزين فى بُكاءٍ وأنين :

يا ذا الذى أَنِسَ الْفُؤَادُ بِذِكْرِهِ أَنْتَ الذى مَا إنْ سِواكَ أُرِيـــدُ
تَفْنَى اللَّيَالِى والزَمَانُ بِأَسْـــرِهِ وَهَوَاكَ غَضَّ فى الْفُؤَادِ جَدِيدُ

قال ذو النون : فتبعتُ الصوت فإذا بفتىً حَسِنَ الوجهِ حَسِنَ الصوتِ ، وقد ذهبتْ تلك المحاسنُ وبقيتْ رُسومَها نَحيل قد اصْفَرَّ واحْتَرَقْ ، وهو يُشبه الوَلِه الحَيْران فسَلَّمْتُ عليه فَرَدَّ علَىَّ السَّلام وبَقِىَ شَاخِصاً يقول :

أَعميتُ عينى عن الدُنيا وزِينَتِهَا فأنتَ والرُوحُ مِنِّى غَيرَ مُفْتَرِقِ

إذا ذَكَرتُــكَ وَافَــىَ مُقلَتِــى أَرَقٌ من أولِ الليلِ حتى مَطْلَعَ الفَلَقِ
وما تَطَابَقَتْ الأَحْدَاقُ عن سِــنَةٍ إلا رأيتُك بين الجِفْنِ والحَــدَقِ

ثم قال يا ذا النون : ما لــك وطلــب المجــانين ؟ قلــت : أو مجنون أنت ؟ قال : قد سمعت به. قلت : مسألة . قال : مسألة . سل . قلت : أخبرنى ما الذى حَبَّبَ إليــكَ الإنفــراد وقَطَعَكَ عن المُؤانسِين وهَيَّمَكَ فى الأودية والجبال ؟ فقال : حُبى لهُ هَيَّمَنِى وشوقى له هَيَّجَنِى ، ووجْدِى به أفْرَدَنى ، ثم قال : يا ذا النون : أَعَجَبَكَ كلام المجانين ؟ قلت : إى والله وأشْجَانى ثم غاب عنى فلا أدرى أين ذهب ﷺ ؟

وعن سيدى ذى النون المصرى ﷺ : قال بلغنى أن بجبــل المقطم جارية مُتعَبِدَة فأحببت لقائها فخرجتُ إلــى المُقطــم أطلبها فلم أجِدْها فلقيتُ جماعة مــن المُتَعَبِــدِين فســألتُهم عنها . فقالوا : أتترك العقلاء وتسأل عن المجانين ؟ فقلت : دلونى عليها . وإن كانت مجنونة . قالوا : هى فى الــوادى الفلانى . فذهبت إلى الوادى فلما أشرفت عليه سمعت صوتاً حزيناً وهو يقول :

يا ذا الذى أنِسَ الْفُؤَادُ بِذِكْرِهِ أَنْتَ الذى ما إِنْ سِواكَ أُرِيدُ

قال : فاتبعت الصوت . فإذا بجارية جالسة علــى صــخرة عظيمة فسلمت عليها . فــردَّت علــىَّ الســلام وقالــت : يا ذا النون ما لك ومال المجانين ؟ (يعنــى مالــك ومــال المجانين) تطالبهم (يعنى جاى تدور عليهم ليه أنت رجــل من كبار العارفين) فقلت لها : ما الذى جَنَّنَــكِ ؟ قالــت : يا ذا النون حبه جَنَّنَى ، وشوقه هَيَّمَنى ، ووَجــدُه أقْلقَنــى لأن الحُب فى القلب ، والشَوق فى الفُؤاد والوجدُ فى السِّرْ . فقُلتُ يا جارية : الفُؤادُ غير القلب ؟ فقالت : نعم . الفــؤاد نور القلب والسر نور الفؤاد ؛ فالقلب يحب والفؤاد يشــتاق والسر يجد قلت : وما يجد ؟ قالت : يجد الحــق . قلــت : وكيف يجد الحق ؟ قالت : يــا ذا النــون وِجْــدَانُ الحــق بلا كيف . ثم أنشدت تقول :

إن كُنتَ بالوَجْدِ مَوجُوداً فلا وجَدَتْ نَفسِى وجُودَك إلا بَعدَ مَوجُــودِى

فقلت : يا جارية ما صدق وجدانكِ للحق ؟ فبكت بكاءً شديداً حتى كادت نفسها تفيض ، ثم غُشِىَ عليها فلمَّا أفاقت نادت تقول : أواه أواه منك ، ثم أنشدت تقول :

فَوَجدِى به وَجدٌ بِوَجدِ وُجُــودِهِ وَوَجْدِ وُجُودِ الوَاجِدِينَ لَهِيبُ

لَئِنْ متُّ حَقَاً فى مَحَبَةِ سَـيِّدِى فَإِنَّ المَنَايَا فى الفُؤادِ تَطِيـبُ

ثم صاحت صيحة فقالت : هكذا يموت الصادقون . وغَشى عليها ساعة ؛ فحرَّكْتُها فإذا هى مَيِّتَة فطلبتُ شيئاً أحفُر لَها به قَبْراً فإذا هى قد غُيِّبَت عَنِّى فلم أجدها رضى الله عنها . أسرار عظيمة هم أهل لها ، وعن سيدنا الفُضَيل بن عِيَاض ﷺ قال : مكثت فى جامع الكوفة ثلاثة أيام لم أُطعم طعاماً ولم أشرب شراباً ؛ فلما كان اليوم الرابع هزلنى الجوع فبينما أنا جالس إذ دخل من باب المسجد رجل مجنون وبيده حجر كبير وفى عنقه غل ثقيل (يعنى قيد حديد) والصبيان من وراءه فجعل يحول فى المسجد حتى إذا حازانى جعل يتفَرَّسُ فِىَّ ففزِعتُ فى نفسى منه ؛ فقلت : إلهى وسيدى أَجَعْتَنِى وسَلَّطتَ عَلَىَّ مَنْ يقْتُلنى ؟ فالتفت إلىَّ وقال :

مَحَلَ نبات الصبرِ فِيكَ غريزةٌ فيالِيتَ شِعْرِى هَلْ لِصَبْرِكَ آخِرُ

قال الفُضَيل رضى الله عنه : فزال عنى جزعى ، وطار عنى هلعى وقلت : يا سيدى لولا الرجاء لم أظفر . قال : فأين مستقر الرجاء منك ؟ قلت : بحيث مستقر هموم العارفين . قال : أحسنت والله يا فُضَيل إنها لقلوب الهموم

عمرانها ، والأحزان أوطانها عرفته فاستأنست به وارتحلت إليه ، فعقولهم صحيحة ، وقلوبهم غارقة بالأنوار مشرقة ، وأرواحهم بالملكوت الأعلى معلقة ، ثم وَلَّى (أى انصرف) وأنشد يقول :

فَهَامَ وَلِّىُ اللهِ فى القَفْرِ سائِحَاً وحُطَّتْ عَلى سَيرِ القُدُومِ رَوَاحِلُ

فَعَادَ بِخَيرٍ قَدْ جَرَى فى ضَمِيرِه تَذُوبُ بِـهِ أَحْشَاؤُهُ ومَفَاصِلُهُ

قال الفُضيل : فوا الله لقد بقيت عشرة أيام لم أُطعم طعاماً ولم أشرب شراباً وجداً بكلامه ، فطُوبى لمن استوحش من الخلق وأنس بالحق وأنشد يقول :

أَنِسْتُ بوَحْدَتى ولَزِمْتُ بَيْتِى فَطَابَ الأُنْسُ لى وصَفَا السُرورُ

وأَدَّبَنِى الزمَانُ فَلا أُبَالِى هُجِرتُ فَلا أُزَارُ ولا أَزُورُ

ولستُ بسَائلٍ مَا عِشْتُ يوماً أُسَارَى الجُنْدِ أمْ رَكْبَ الأَمِيرُ

كَفَانِى مِنْ اللَّذَاتِ ألا يُرَوِّعْنِى وزيرٌ ولا يَسطُو عَلَىَّ أَميرُ

وعن الإمام الشبلى ﷺ قال : مَرَّ بى بهلول المجنون فى بعض الأيام وهو خارج إلى الجَبَّانة (أى إلى المقابر) ومعه قصبة قد جعلها فرسه (معاه قصبة طويلة عاملها الفرس بتاعه عامل إنه راكبها) وبيده مقرعة ، وهو يعدو

فقلت : إلى أين يا بهلول ؟ فقال : إلى العرض على الله عز وجل . قال : فجلست حتى رجع وقد انكسرت القصبة واحمرت عيناه من البكاء . فقلت له : ما كان منك ؟ قال : وقفت بين يديه على أن يكتبنى من الخُدَّام ، فلمَّا عرفنى طردنى قُلت هذا القول من بهلول قول عَارف مُحِب مَقبول صَدَرَ من قلب حزين بالخَوفِ مَشغُول وفى معنى العرض والرَدِّ والقبول أُسرِتُ فى هذه العشرة الأبيات أقول :

عُرِضْنَا على المَولَى ونَحنُ عَبيدُ ... فَمِنَّا شَقِيٌ رَدَّهُ وسَعِيدُ
فَمَنْ كَان منَّا لَيس يَصلُحُ خَادِمَاً ... فَعَنَ بَابُه بِالطَرد ذَاك بَعِيدُ
ومَنْ كان يَصْلُحْ فُهوَ فى قُدسِ حَضْرَتِه ... قَريبُ ومَقْبُولٌ هُنَاكَ حَمِيدُ
حبيبٌ لَه جَاهٌ عَريضٌ ورِفْعَةٌ ... ومَجْدٌ عَلى مَرِّ المَدِيدِ جَدِيدِ
أُولَئِكَ خُدَّامٌ كِرَامٌ وسَادَةٌ ... ونَحنُ عَبيدُ السَوءِ بِئسَ عَبِيدُ
فيا غَبْنَنَا يَومُ التَغَابُنِ عِنْدَمَا ... يُقَابلهُم وَعْدٌ ونَحنُ وعِيدُ
تَرَى النَّاسَ إلا هُمْ سُكَارَى ومَا هُمْ ... سُكَارَى ولَكِنَّ العَذابَ شَدِيدُ
تُحيطُ بِنَا الأهْوَالُ من كُلِ جَانِبٍ ... إلى أن كأنَّا بالعَقَارِ نَمِيدُ
وهُمْ رَكِبُوا نُجُبَاً مِنَ النُورَ فِى الهَوَى ... تَطِيرُ إلى الرَّبِ الكَرِيمِ وُفُودُ
ولا فَزَعُ يُحزِنُهُمْ بل بقُربِه ... لَهُمُ فَرحٌ يَحلو هُنَاكَ وَعِيدُ

قيل نَسَبُ الصالحين وما زَيَّنَهُمْ الله به دون غيرهم مَثَلُ جُندٍ قال لهم الملك : تزينوا للعرض علىَّ غداً فمن كانت زينته

أحسن كانت منزلته عندى أرفع ، ثم يُرسلُ الملك فى السِرِّ بزينة من عنده ليس عند الجُند مثلها إلى خواص مملكته وأهل محبته ، فإذا تزينوا بزينة الملك فَخِروا على سائر الجُند عند العرض على الملك ، فهذا مَثَلُ من وفقهم الله للأعمال الصالحات . قال سيدى السرِّى السقطى ﷺ خرجت يوماً إلى المقابر ؛ فإذا ببهلول المجنون فقُلتُ له : أى شئ تصنع ها هُنا ؟ قال : أجالسُ قوماً لا يؤذوننى . وإن غِبتُ لا يغتابوننى . فقلت له : ألا تكون جائعاً ؟ فَوَلَّى عَنِّى وأنشد يقول

تَجَوَّع فإن الجُوع من عَلَمِ التُقَى ... وإنَّ طَويلَ الجُوعِ يَوماً سَيَشْبَعُ

وقيل لآخر من عقلاء المجانين وقد أقبل من بعض المقابر : من أين جئت ؟ فقال : من عند هذه القافلة النازلة . قيل له : ماذا قلت لهم ؟ وماذا قالوا لك ؟ (أى عن الموتى) قال : قلت لهم : متى ترحلون ؟ فقالوا : حين تقدمون . وسُئل بعضهم عن هؤلاء المجانين ، وما يتكلمون به من الحكمة والمعرفة . فقال : إنَّ هؤلاء كان لهم فضل وعقل . فلمَّا أخذ الله عقلهم أبقى عليهم فضلهم . وعن سيدنا عطاء ﷺ قال : دخلت سوقاً من الأسواق فإذا أنا بجارية يُنَادَى

عليها (يعنى جارية تباع فى السوق ويُنادى عليها أن يشتريها) فاشتريتها بسبعة دنانير على أنها مجنونة وجئت إلى منزلى ؛ فلما كان الليل وقد مضى بعضه رأيتها قد توضأت واستقبلت القبلة تُصلى ، فسمعتُها تختنق بالدموع وتقول : إلهى بحُبك لى إلا ما رحمتنى فتحققتُ جنونها فقلت : يا جارية لا تقولى هكذا . ولكن قولى : بحُبى لك (مش تقولى بحبك لى) فقالت : إليك عنى يا بطَّال فَوَا حَقْ حَقِهِ لو لم يُحبُنى ما أنامك وأقامنى . ثم سقطت على وجهها وجعلت تقول :

الكَربُ مُجتمعٌ والقَلبُ مُحْتَرِقُ ... والصَبرُ مُفترِقُ والدَمْعُ مُستَبِقٌ
كَيْفَ القرارُ على من لا قرارَ لهُ ؟ ... مِمَّا جَنَاهُ الهَوَى والشَوقُ والقَلَقُ
يا رَبِّ إن كَان شَئٌ فِيه لِى فَرَجٌ ... فامنُنْ عَلَىَّ بِهِ مَا دَامَ بِى رَمَقٌ

ثم نادت بأعلى صوتها : إلهى كانت المعاملة بينى وبينك سراً والآن قد علم المخلوقون فاقبضنى إليك . ثم شهقت شهقةً فارقت الدنيا رضى الله عنها (لأنها كانت عبادتها فى سرية تامة بينها وبين الله فلما انكشف أمرها فى العبادة على سيدنا عطاء ، وعلم مخلوق واحد بسرها أحبت أن تفارق الحياة ، حتى لا تختلط العبادة بالرياء وتخرج عن

السر فيما بينها وبين المعبود . طلبت مطلبها فاستُجيب لها لأنها فى محل القرب رضى الله عنها . وكان بعضُهم يجرى فى الشارع وهو يقول ، ويسجلون له بالكتابة :

مِنْ ذُنُوبِى يَحِقُ لِىْ أَنْ أَنُوحُ ... لَمْ تَدَعْ لِىْ الْذُنُوبَ قَلْباً صَحِيْحَا
أَخْلَقَتْ مُهْجَتِى أَكُفَّ الْمَعَاصِى ... ونَعَانِى المَشِيبُ نَعْيَاً صَرِيحَا
كُلَّمَا قُلْتُ قَدْ يَرَى جُرْحُ قَلْبِى ... عَادَ قَلْبِى مِنَ الْذُنُوبِ جَرِيحَا
إِنَّمَا الْفَوزُ والنَّعِيمُ لِعَبْدٍ ... جَاءَ فى الْحَشْرِ آمِناً مُسْتَرِيحَا

وعن سيدنا على بن عبدانٍ ﷺ قال : كان عندنا مجنونٌ يُجَنُ بالنهار ويفيق بالليل ، ويصلى ويناجى ربه إلى الصباح . فقلت له يوماً مُنذ كم جُنِنْتَ ؟ (يعنى أنت جُنِنْتْ من كام سنة) قال : مُنذُ عَرَفتْ . ثم أنشأ يقول :

أنا الذى ألبَسَنِى سيدى ... لمَّا تَقَرَّبْتُ لِبَاسَ الوِدَادِ
فصِرتُ لا آوى إلى مُؤنِسٍ ... إلا إلى مَالِكِ رَازِقِ العِبَادِ

قال : فخرجت فإذا أنا به زاهل العقل (لقيته ذاهل العقل) فدخل فقال : آتنا غذائنا فقد لقينا من سفرنا هذا نصباً فعلمت أنه جائع ؛ فقدمت إليه طعاماً ، فأكل ثم شرب وأنشد يقول :

عليك اتكَالِى لا على النَّاسِ كُلِهم وأنتَ بِحَالِى عَالِمٌ لـيسَ تُعْلَـمُ
وأقْسَمتُ أَنِّى كُلَّمَا جُعْتُ سـيدى سَتَفتَحُ لِى بَابَاً فَأُسْقَى وأُطْعَـمُ

فقلت له : أوصنى بوصية . فأنشد يقول :

إلزَم الخَوفَ مع الحُزنِ وتَقوى الله تَربَحُ
وأُترك الدُنيَا جَميعاً إنَّ تَقوى الله أَرْجَحُ
واجْتَهِدْ فِى ظُلْمةِ الليلِ إذا مَا الليلِ جَنَحْ
واقْرَعِ البَابَ قَلِـيلاً فَلَعَـلَّ البَـابَ يُفـتَحُ

وقيل لبعضهم : علمنى شيئاً أنتفع به . فقال : فِـرَّ مـنهم ولا تأنس بهم (أى فر من الناس ولا تأنس بالناس) فيـتم اِتصالك ويقل عذابك فقلت زدنى . قال : إلزم الصدق والتُقى واترك العُجب والرِيا ، واغلب النفس والهوى ، تُرزق السُئْلَ والمُنى . فقلت : حسبك رضى الله عنـك . وعـن سـيدنا ذى النون المصرى ﷺ قال رأيت فى جبل لُبنان فى كهـف رجلاً أبيض الرأس واللحية ، أشعث أغبر نحيفاً نحيلاً وهو يصلى فسلمت عليه بعد ما سلم من الصـلاة . فـردَّ علـىَّ السلام ، وقام إلى الصلاة فما زال راكعاً وسـاجداً ، حتـى صلى العصر ثم اسـتند إلـى حجـر ، وجعـل يسـبح الله

ولا يُكلمنى فقلت له : رحمك الله ادع الله عز وجـل لـى . فقال : آنسك الله بقربه . فقلت له : زدنى . فقال : يا بُنـى من آنسه الله بقربه أعطاه أربع خِصال . عِـزَّاً مـن غيـر عشيرة ، وعلماً من غير طلب ، وَغِنَىً من غير مال وأنساً من غير جماعة . ثم شهق شهقة فلم يفق إلا بعـد ثلاثـة أيام . ثم قام فتوضأ وسـألنى : كـم فاتـه مـن صـلاة ؟ فأخبرته . فقال : إن ذكر الحبيب هيَّج شوقى ثم حب الحبيب أذهل عقلى . وقد اِستوحشت من ملاقاة المخلوقين وأنسـت برب العالمين . اِنصرف عنى بسلام . فقلت له : يرحمك الله وقفت عليك ثلاثة أيام رجاء الزيادة ، وأريد موعظة منـك وبكيت . فقال : أحبب مولاك ولا تُرِدْ بحبه بدلاً ؛ فالمحبون لله هم تيجان العُبَّاد وعلم الزُهَّاد ، وهم أصفياء الله وأحباؤه وعُبَّادُه وأولياؤه ثم صرخ صرخة وفارق الدنيا ، فما كان إلا هنيهة فإذا نحن بجماعة من العُبَّاد ينحـدرون مـن الجبـل فتولوه حتى واروه تحت التراب ، فسألت : ما اسـم هـذا الشيخ ؟ فقالوا : شيبان المُصاب ﷺ ونفَّعنـا بـه . وعـن سيدى ذا النون المصرى ﷺ قال : بينما أنا جالس فى بعض

أودية بيت المقدس إذ سمعت صوتاً يقول : يـــا ذا الآيـــادى التى لا تُحصى ، ويا ذا الجود والبقاء متِّع بَصَرَ قلبى فـــى الجَوَلان فى جبروتك واجعل همَّتى مُتصلة بجُودِ لُطفـــك يـــا لطيف وأعذنى من مسالك المُتَجبرين بجلال بهائك يا رءوف واجعلنى لك فى الحالين خَادماً وطَالباً وكُنْ لى يا مُنَوِّرَ قَلبى وغَاية طَلبى فى القَصْدِ صَاحِباً

قال : فطلبت الصوت فإذا هى امرأة كأنها كالعود المحتـــرق وعليها درع من الصوف وخمار من الشعر ، قـــد أضـــناها الجهد وأفناهـــا الـــزمن وذوبهـــا الحـــب وقتلهـــا الوجـــد فقلت : السلام عليكى . فقالت وعليك السلام يا ذا النون

فقلت : لا إله إلا الله كيف عرفـــت اســـمى ولـــم ترينـــى ؟

قالت : كشف لى عن سره الحبيب فرفع عن قلبـــى حجـــاب العمى فعرفنى اسمك . فقلـــت : ارجعـــى إلـــى مناجاتـــك .

فقالت : أسألك يا ذا النور والبهاء أن تصرف عنـــى شـــر ما أجد فقد استوحشت من الحياة . ثم خرت ميتـــة فبقيـــت متحيراً متفكراً فأقبلت عجوزاً كالولهانة فنظرت إليهـــا ثـــم قالت : الحمد لله الذى أكرمها فسألتها من هى ؟ فقالت : أنا

زهراء الولهانة ، وهذه ابنتى توهم الناس منذ عشرين سنة أنها مجنونة ، وإنما قتلها الشوق إلى ربها عز وجل رضى الله تعالى عنها وأنشد بعضهم يقول :

قالوا جُنِنْتَ بِمَنْ تَهْوى فَقُلْتُ لَهُمْ ما لَذَةُ الْعَيْشِ إلاَّ لِلْمَجَـانِينِ

وعن سيدى أبى عبد الله الإسكندرى ﷺ قال : كُنت بجبـــل لِكَامْ أسيح راجياً رؤيـــة الرجـــال أو النســـاء مـــن القـــوم الصالحين ، فجمع الله لى مُرادى فأول من لقيت إمرأة فقـــد سمعتنى أنشد هذه الأبيات :

يا جِيرَةَ الْحَيِّ مِنْ شَرْقِيِّ ذِى سَـــلَمِ هَلْ عَوْدَةٌ لِلياليـــنا علـــى العلْـــمِ

أَيَّامُ شَمْلِى بِكُمْ يَـــا سِـــلْمَ مُجْتَمِـــعٌ وَحَبْلُ وُدِّىِّ لَدَيْكُمْ غَيْرُ مُنْصَـــرِمِ

نَاشَدْتُكِ اللهُ إِنْ جُزْتِ الْعَقِيقَ ضُحَىً فَاقْرِى السَّلامَ عَلَيْهِمْ غَيْرَ مُحْتَشِمِ

وَقُلْ تَرَكْتُ صَرِيعَاً فِـــى دِيَـــارِكُمُوا مَيْتَاً كَحِيٍ يَعِيرُ السُّـــقْمَ ذا سِـــقَمِ

قال : فلما رأيتها قلت فى نفسى : لو كان اِجتماعى برجـــل كان أحسن من إمرأة . فقالت : يا أبا عبـــد الله مـــا رأيـــت أعجب من حالك . أيريد الاِجتماع بالرجال من لم يصل إلـــى مقامات النساء ، فقلت ما أكثر دعـــواكى فقالـــت : تُحْـــرَمُ الدعاوى بغير بينة . فقلت : فما الذى لـــك مـــن البينـــة ؟ قالت : هو لى كما أريد لأنى له كما يريد . قلـــت : فأريـــد

الساعة سمكاً مشوياً طرياً (قال لها أنا أريد دلوقتى عايز سمك مشوى طرى) قالت : هذا من نزول مقامك وإفتجاعك فى غذاءك وطعامك (أنت مفجوع) وهل لا سألته أن يهب لك من الشوق جناحاً تطير به إليه كطيرانى ثم طارت وتركتنى ، فوالله ما رأيت أمَرَّ من ذُلِّى وأحلى من عِزِّها فَعَدَوتُ خلفها وقلت يا سيدتى : بالذى أعطاك ومنعنى ، وجاد عليك وخذلنى ، جودى علىَّ بدعوة فقالت : أنت لا تريد إلا دعوة الرجال ثم أنشدت تقول :

ما الجَزَعُ وما الغَضَا وما نُعْمَانُ لولاكَ ومَا طُويلِعُ والْبَانُ

رضى الله عنكم سادتنا أهل المحبة ، وأهل القرب وأهل الشوق ، وأصحاب الفضل علينا فى العظات البينات وفى القدوة الطيبة الحسنة رضى الله عنكم سادتنا .

الصوفى والمتصوف :

وأختم حديثى بتبيان أبينه صريحاً ساعة أن أقول فى حديثى السادة الصوفية فإنى أبين ذلك واضحاً فى لفظ الصوفى **الصُّوفِىّ** : فَالصُّوفىّ هو الولى التقى الزكى النقى الصَّفِىّ صَافَىَ فّصُوفِيَا حتى سُمِىَ صوفى ، فالسادة الصوفية هم

أئمة جعلوا من أنفسهم مدارس ، وجامعات للعلم النبوى المحمدى ، ووهبوا أنفسهم لخدمة الخلق ، الصوفى هو صاحب مقام المحبة والعشق والتفانى ، حتى إرتقى إلى مقام الكشف والمشاهدة القرب ، وقذف الله فى قلبه نور علم التصوف الذى قال فيه الإمام عبد الوهاب الشعرانى ﷺ : علم التصوف علم إنْقَدَحَ فى قلوب الأولياء حين إستنارت بصائرهم بالعمل بالكتاب والسُنة ؛ فالصوفى كتاب وسُنة ، والصوفية هم السادة الأُوّل ، الصوفى طريقة الصوفى قدوة يقتدى بها . الصوفى عَلَمٌ من أعلام الأمة ومن أمثال السادة الصوفية لا أقول على سبيل الحصر سيدى أبو يزيد البسطامى سلطان العارفين ، من أمثال الإمام الجُنيد ﷺ ، من أمثال سيدى الإمام الحارث المحاسبى ﷺ من أمثال سيدى محى الدين بن العربى ﷺ ، من أمثال سيدى أحمد الرفاعى ﷺ ، وسيدى عبد القادر الجيلانى ﷺ وسيدى أحمد البدوى ﷺ ، وسيدى إبراهيم الدسوقى ﷺ وسيدى أبو الحسن الشاذلى ﷺ ، وسيدى عبد الرحيم القنائى ﷺ ، وسيدى أبو الحجاج الأقصرى ﷺ ، وسيدى ابن

عطاء الله السكندرى ﷺ ، وسيدى أحمدأبو العباس المرسى ﷺ من أمثال هؤلاء هم الصوفية .

المتصوف :

أما ما انتسب إليهم للتَعَلُمِ على أيديهم ، والتربية مريدين يُسموا هؤلاء متصوفة (يبقى فيه فرق بين الصوفى والمتصوف) الصوفى طريقة ، وصاحب مقام قُرب ، طريقة وقدوة ، ومربياً يؤخذ عنه ويُتبع لأنه نبوى محمدى ؛ إنما المتصوفة هم تلامذة تتلمذوا على أيديهم ، يبقى فيه فرق بين السادة الصوفية وبين المتصوفة ، فالمتصوفة دخلوا المدرسة ليتعلموا على أيدى الصوفية ، ويتربوا على أيديهم فمنهم من نجح ففَاز وسَعِدَ ، ومنهم من لم ينجح ولم يُفْلِح لأنه دخل على الصوفية بعلة ، علته أن ينتسب إليهم كذباً ليثق الناس به أنه أمين ، إن كان تاجراً فى سلعة من السلع يُقْبِل الناس عليه لأنه يصطحب الصوفى الشيخ فلان (يبقى إذاً) المتصوفة إما ناجح منهم وإما فاشل . المتصوف الناجح يصل إلى أن سيده الإمام الصوفى شيخه يرضى عليه ويرى فيه نجاحه كرؤية أى أستاذ فى مدرسة فى تلامذته

والمتصوفة (اللى هم انتسابهم كذباً وادعاءات كاذبة وكثير ما هم) قد حَذَّرَ سيدى أبو مدين المغربى من ذلك ــ كان من الصوفية ــ وأيضاً من أئمة التصوف سيدى ذى النون المصرى من الصوفية ، وسيدى مالك بن دينار ؛ ولذلك (منقولش الصوفية) نقول السادة الصوفية ؛ لأنهم أهل مقامات ، وأصحاب مقامات فى الأمة علما وعملاً وحالاً وقُرباً إلى الله سبحانه ، فسيدنا الشيخ أبو مدين المغربى الصوفى بيوصى المريدين ، بل بيوصى المسلمين جميعاً بيقول : اِجتنب صحبة ثلاثة أصناف من الناس ؛ لأن صحبتهم هلاك وضياع (القُرَّاء المداهنين (اللى هو عمال يقرأ ولايعمل بقراءته ويداهن فى القراءة ، ويحفظ ويكون كالببغاء يتكلم على أنه عالم ولا يفهم ما يقول ، ولا يَعِىّ ما يقول ، بل يدعى به اِستكباراً على الناس أنه عالم ولا يعمل بعلمه يبقى مُداهن ، والمتصوفة الجاهلين فهو يجهل حقيقة الإمام ومقامه (ولكن دخل اِستهزاءاً ؛ لأن له علة دنيوية وعايز هذه العلة تتحقق له أمانيه من وراء هذه الصحبة يبقى يجهل حقيقة أمر الطريق الذى دخل عليه ويجهل

حقيقة أمر المقام الذى دخل عليه ليأخذ منه فهو جاهل جَهِلَ قدر المقام ، وجَهِلَ قدر الطريق فهو جاهل ؛ ولذلك داخل مُسْتَهْزِأ وهذا يسيئ إلى طريق القوم أى طريق الصوفية أما الصوفية أهل كمال ، أما النقص يكون عند المتصوفة إما متصوف نجح وسلك بنجاح واقترب ، وإما متصوف جاهل أحمق) ولذلك يقول المتصوفة الجاهلين اِحذر صحبتهم (مقالش والصوفية الجاهلين ميقدرش) الصوفى كامل من أهل الكمال إنما يقول المتصوفة يعنى المنتسب إلى التربية الصوفية انتساباً كاذباً بحماقة ، والجبابرة الظالمين (الجبابرة واحد جبار وظالم عمال يظلم فى الناس ويستخدم منصبه فى الحكم يستخدمه فى ظلم من حوله إوعى تصاحب النوع ده يبقى الثلاثة دول حَسَبْهُمْ نوع واحد وصنف واحد القُرَّاء المداهنين ، المُتصوفة الجاهلين ، الجبابرة الظالمين وأنا أيضاً أُحَذِّر إنْ (اِللى ما عندوش علم عن حقيقة الأمور ميخلطش بين صوفى ومتصوف) الصوفى من أهل الكمال إنه صدق فى اِتباع النبى فى القرآن والسنة فارتقى إلى مقام الاقتداء به فأصبح طريقة (النبى ﷺ فى حديثه

الشريف بَيَّنَ) " الشريعة أقوالى والطرقة أفعالى والحقيقة أحوالى " . فالصوفى جمع الثلاثة أخذ من أقوال النبى وعمل بها على مراد الله ورسوله بُحب وخشوع وخضوع ؛ ولذلك حقيقة الصوفى طريقة (حقيقته طريقة) يُقتدى به فهو إمام يُقتدى فهو صاحب مقام اِقتداء ، يُتبع فهو صدق فى إتباع النبى ، واِرتقى إلى مقام الحال ، فإنه يشرب من مقام الحال لسيد المرسلين بالتجلى ، من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم فالصوفى عالم عامل طريقة ، وارثٌ من رسول الله حالاً وصاحب مقام فى الأمة . علماء أمتى كأنبياء بنى إسرائيل (أنبياء بنى إسرائيل كانوا بيرثوا المرسلين) ويقوموا فى الأمة بالتبليغ والتربية ، ومقامهم فى الأمة مقام قُدوة يُقتدى بهم ، فسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أشار إلى ذلك : علماء أمتى كأنبياء بنى إسرائيل ، أئمة وقدوة أصحاب مقام فى الإسلام ، وورثة للمرسلين ، فالصوفى وارث لسيدنا رسول الله علما وطريقة وحالاً . وكما بينت من هم الصوفية ومن هم المتصوفة . فالصوفية أصحاب

مقام فى الأمة ، أما المتصوفة منهم من صدق فارتقى إلى مقام ، ولكنه متصوف ناجح (منقولش عليه صوفى إلا إذا اِرتقى إلى مقام وراث وشرب من أحوال سيدنا رسول الله) يبقى فيه متصوف ناجح ، وفيه متصوف فاشل وجاهل وأحمق ، والمتصوفة الجاهلين كثير ما هم فلا يُقتدى بهم ولا يُخلط بين الصوفى والمتصوف بجهالة وحماقة ، حتى لا يُضَيِّع الإنسان نفسه بجهله لا بعلمه وكثير ما نرى من المتصوفة الجاهلين الذين ينتسبون فى هذا الزمان إلى المشايخ ، وهم معاملاتهم إذا تعاملت معهم تجد معاملاتهم سيئة ، خروج على الإسلام بألفاظ بأقوال بكل أنواع المعاملات ، ترى فيهم هذه الأمور كل من يرى هذه الأمور وهو يجهل حقيقة الصوفى والمتصوفة ، وليس عنده علم بهذه الحقيقة يسبوا الصوفية ويسبوا طريق الصوفية .

ننصح المسلمين ، أن يتريث المسلم ؛ لأن الكلمة التى ينطق بها اللسان شهادة ، إما أن تكون شهادة حق مثبتة لك تكون حُجة لك ، وإما أن تكون شهادة

زور مثبتة عليك (يبقى لا ينطق اللسان إلا من خلال علم ومن خلال علم يقينى قد تحقق منه لأن الإنسان يُحاسب على الكلمة ويُحاسب على النُطق يوم القيامة(يُحَاسَبْ) يعنى معظم أهل النار ما أدخلهم النار إلا حصائد ألسنتهم إلا الكلمات اِللى هى عمال يشتم ويسب ويلعن بها بغير علم بِيَضَّيَعْ نفسه ويؤذى الناس) السادة الصوفية كُمَّل وأصحاب مقام كمال وهم فى حصن حصين مع الله ، وهم فى قرب ولا يؤثر عليهم بشئ مما يُقال من أهل الجهالة ؛ ولذلك نقول هذه الكلمات منى نصيحة لإرضاء الحق بعد ما قال سيدى أبو مدين هذه النصيحة : اِجتنب صحبة ثلاثة أصناف من الناس القراء المداهنين ، والمتصوفة الجاهلين ، والجبابرة الظالمين . إننى أنصح بهذه فى الأبيات وأقول للمتصوفة الجاهلين ولغير المتصوفة الذين يرون فى المتصوفة الجاهلين أنهم هم الصوفية الذين يُقال عنهم أهل كمال .

أقول له :

لا تَنْظُرَنَّ إلى السَّفَاهَةِ فِى سَفِيه ... مُتصنعاً كَذِباً يُسيئُ إلى الكِرَام
وانظُر بعينِ الحق فيه مُدَقِقاً ... مُتَحَقِقاً إنصَافَ رُؤيته تَرَاهُ مِنَ اللِّئَام
والحقُ أَنَّ حَقِيقَةَ أَمْرِهِ ظُلْمٌ ظَلام ... وبَاطِنُهُ جُرْمٌ وظَاهِرَه يُسيئ إلى الكِرَام
ومَطْلَبُهُ الدَنَايَا بِعِلَّةِ نَفسه ... وفَسَادُ قَلبٍ وإشْبَاعُ بَطْنٍ مِنْ حَرَام
لَكِنَّهُ يَخْدَعِ الجُهَّالَ ظَاهِرَهُ ... بِتَنَسُّكٍ كَاذبٍ يُوهِمُ بالسَّلام
فَأَقوَالُ العَوَامِّ كَحُكْمِ أَعْمَى ... ولا حُكْمٌ لأعمى فى الظَّلام
وأَنَّ الله فَوقَ الخَلْقِ يَشْهَدُ ... بأَنَّ الأوليا صُوفيةٌ صَفَويَّةٌ صَفَوٌ كِرَام
هَذَا جَمَالٌ مُثْبَتٌ بشَهَادةِ الرَّحْمَنِ ... ومَا عَاداهُ قُبْحٌ من صَنيعٍ باللِّئَام
فالحُبُ يُثْبِتُ بالجَمَالِ عَظِيمَ قَومٍ ... وَفَوا فَصَفَوا فَمُنِحُوا عِزَّةً مَعَ الاعْتِصَام

نسأل الله تبارك وتعالى أن يجعلنا من الصوفية حقاً أولياء الله أهل السبق أهل الوصل والوصال ، نسأل الله تبارك وتعالى أن يرفعنا فى درجاتنا إلى أن نرقى بالقرب من مقاماتهم ، وأن يعلق قلوبنا بحبهم ، وأن يصنع بنا كل صنيع صنعه بسادتنا الصوفية من علوم ، وآداب وأسرار ومحبة وقرب .

الإمام الشافعى والصوفية :

وهذا سيدنا وإمامنا الإمام الشافعى رضى الله عنه يقول صحبت الصوفية فأخذت عنهم كلمتين .

الأولى : الوقت كالسيف إن لم تقطعه قطعك .

الثانية : درهمك لمعاشك ودينك لمعادك .

قال : فرأيت فيهما الكفاية رضى الله عنه ، وسيدنا الإمام الشافعى هو الإمام أبى عبد الله محمد بن إدريس بن العباس يتصل نسبه بنسب سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولد رضى الله عنه بمدينة غزة ، ثم حُمل إلى مكة وهو ابن سنتين ، وحُبب إليه العلم منذ صباه فجالس العُلماء وأخذ عنهم ، ثم وفد على الإمام مالك رضى الله عنه فى المدينة ، وحفظ الموطأ ــ وهو كتاب الإمام مالك ــ ثم ارتحل إلى اليمن ، ثم إلى العراق ينشر علم الحديث ، وفقه السُنِّة ويستخرج الأحكام ، ثم جاء إلى مصر سنة مائة وتسعٍ وتسعين هجرية وصنَّف فيها مذهبه ، وألَّف فى علم الأصول واِعترف له الناس بالإمامة ، وأصبح أحد الأئمة الأربعة المجتهدين وتوفى رضى الله عنه بمصر سنة مائتين وأربعة هجرية عن أربعٍ وخمسين سنة رضى الله عنه ، ومن كلامه فى ديوانه رضى الله عنه :

إِلَيْكَ إِلَــهَ الخَلْــقِ أَرْفَــعُ رَغْبَتِــى ... وَإِنْ كُنْتُ يا ذَا الْمَنِّ والْجُود مُجْرِمَ

ولــمَّا قَسَى قَلْبِى وَضَاقَتْ مَــذَاهِبِى ... جَعَلْتُ الرَّجَا مَنِّى لِعَفْــوِكَ سُــلَّمَ

تَعَــاظَمَنِى ذَنْبِــى فَلَمَّــا قَرَنْتُــهُ ... بِعَفْوِكَ رَبِّى كَانَ عَفْــوُكَ أَعْظَــمَ

وَمَا زِلْتَ ذَا عَفْوٍ عَنْ الْذَّنْبِ لَمْ تَزَلْ ... تَجُــودُ وَتَعْفُــوا منَّــةً وتَكَــرُّمَ

وَلَولاكَ مَا يَقْــوىَ بِــإِبْلِيسُ عَابِــدٌ ... وَكَيْفَ وَقَدْ أَغْــوىَ صَــفِيَّكَ آدَمَ

فَإِنْ تَعْفُوا عَنِّى تَعْفُوا عَنْ مُتَمَــرِدٍ ... ظَلُــومٍ غَشُــومٍ لا يُزَايِــلُ مَــأْثَمَ

وَإِنْ تَنْــتَقِمْ مِنِّــى فَلَسْــتُ بِــآيِسٍ ... وَلَو أَدْخَلْتُ نَفْسِى بِجُرْمِى جَهَــنَمَ

فَجُرْمِى عَظِيمٌ مِنْ قَــدِيمٍ وَحَــادِثٍ ... وَعَفْوُكَ يَأْتِ الْعَبْدَ أَعْلَى وَأَجْسَــمَ

تَعَاظَمَنِى ذَنْبِــى فَأَقْبَلْــتُ خَاشِــعَاً ... ولولا الرِّضَا مَا كُنْتَ يَا رَبِّ مُنْعِمَ

حَوَالَىَّ فَضْلُ اللهِ مِــنْ كُــلِ جَانِــبٍ ... وَنُورٌ مِنْ الرَّحْمَنُ يَفْتَرِشُ السَّمَا

وَفِى الْقَلْبِ إِشْرَاقُ الْمُحِبِ بِوَصْــلِهِ ... إِذَا قَارَبَ الْبُشْرَىَ وَجَازَ إِلى الْحِمَىَ

حَــوَالَىَّ إِنَــاسُ مِــنَ اللهِ وَحْــدَهُ ... يُطَالِعُنِى فى ظُلْمَةِ الْقَلْــبِ أَنْجُــمَ

أَصُونُ وِدَادِى أَنْ يُدَنِسَــهُ الْهَــوَىَ ... وَأَحْفَظُ عَهْــدَ الْحُــبِ أَن يَتَسَــلَمَ

فَفِى يَقْظَتِى شَوْقٌ وفى غَفْوَتِى مُنَىَ ... تَلاَحَقَ خَطْــوِى نَشْــوَةً وَتَــرَنُّمَ

وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللهِ يَسْلَمْ مِنَ الْــوَرَىَ ... وَمَنْ يَرْجُــهُ هَيْهَــاتَ أَن يَتَنَــدَمَ

وصلى الله على سيدنا محمد

وعلى آله وصحبه وسلم

قصيدة لسيدى إبراهيم الدسوقى رضي الله عنه :

وهذه قصيدة لسيدى إبراهيم الدســوقى رضــى الله عنــه وهى قصيدة سقانى محبوبى ، وسيدى إبراهيم الدســوقى رضى الله عنه هو إبراهيم بن أبى المجد بن قــريش زيــن العابدين ، ينتهى نسبه إلى الإمام على بن أبى طالب كــرم الله وجهه ورضى الله عنه ، ولد رضــى الله عنــه ســنة ستمائة وثلاثة هجرية ، وتفقه على مذهب الإمام الشــافعى ثم اقتفى آثار السادة الصــوفية ، وصــار مــن أقطــابهم وما زالت طريقته عامرة بالصالحين ، يقتفون آثــاره فــى مجاهدة النفس ، وصدق التودد إلى الله تعالى وذكره وحُسن عبادته وتوفى رضى الله عنه سنة ستمائة وست وســبعين هجرية عن ثلاثةٍ وأربعين عاماً ومسجده بمدينــة دســوق عامر ومقامه بزواره عامر حتى اليــوم . يقــول ســيدى إبراهيم الدسوقى رضي الله عنه :

سَقَانِى مَحْبُوبَى بِكَــأْسِ المَحَبَّــةِ ... فَتُهْتُ عَنْ الْعُشَّاقِ سكْرَاً بِخَلْوَتى

وَلاحَ لَنَا نُورُ الجَلالَةِ لَــو أَضَــا ... بِصُمِّ الْجِبَالِ الرَّاسِــيَاتِ لَدُكَــةِ

وكُنْتُ أَنَا السَّاقِى لِمَنْ كَانَ حَاضِرَاً ... أَطُوفُ عَلَيْهِمْ كَرَّةً بَعْــدَ كَــرَّةِ

ونَادَى منِّى سرَّاً بِسِـرٍّ وحِكْمَـةٍ ... وَأَنَّ رَسُولَ اللهِ شَيْخِي وَقُدْوَتى

وعَاهَدَنِى عَهْدَاً حَفِظْـتُ لِعَهْـدِهِ ... وَعِشْتُ وَثِيقَاً صَادِقَاً بِمَحَبَتِـى

وحَكَّمَنِى فِى سَائِرِ الأَرْضِ كُلِّهَـا ... وفِى الْجِنِّ والأَشْبَاحِ وَالْمَرَدِيَّـةِ

وفِى أَرْضْ صِينِ الصِّينِ والشَّرْقِ كُلِّهَا ... لأَقْصَىَ بِلادِ اللهِ صَحَتْ ولايَتى

أَنَا الحَرْفُ لا أُقْرَأُ لُكِّـلِ مُنَـاظِرٍ ... وكل الورى من أمر ربى رعيتى

وكَمْ عَالِمٍ قَدْ جَاءَنَا وهـو مُنْكِـرٌ ... فَصَارَبِفَضْلِ اللهِ مِنْ أَهْلِ خِرْقَتى

وَمَا قُلْتُ هَذَا الْقَولُ فَخْرَاً وَإِنَّمَـا ... أَتَى الإِذْنُ كَىْ لا يَجْهَلُونَ طريقتى

غُنِيتُ عَنِ الْدُّنْيَا بِفَيْضِ عَطَائِـهِ ... وَأَىُ عَطَايَاهُمْ يُـدَانِى عَطِيَّتِـى

وَصِرْتُ على بُعْدِ الْمَسَافَاتِ واصِـلاً ... لأَدْنَىَ دُنُوٍّ فى إِرْتِفَاعِى لِغَـايَتى

فَوَجْهُ الْحَبِيبُ الْحَقِ مُشْرِقُ وجهتى ... وَنُورُ الْحَبِيبِ الْحَقِ سَاطِعُ قِبْلَتى

وفىالْقَلْبِ أَشْوَاقٌ يُتَرْجِمُ فَيْضُـهَا ... عن الأَلَقِ السَّامِىإلى قُدْسِ حضرتى

شَهِدْتُ وَشَاهَدْنَا وَطَابْتَ نُفُوسُـنَا ... وقَدْ لَذَّ لى ذُلِّى إِلَيْهِ وَخَشْـيَتى

أَحِنُ على ذُلٍّ وَأَهْوىَ عَلَى هُـدَىَ ... وَأَسْرِى عَلَىَ عِلْمٍ لأَنْوارِ طَلْعَتى

رَضِيتُ بِهِ حَتَى دَخَلْـتُ رِيَاضَـهُ ... فَأَنْعِمْ بِهَا مِنْ رَوْضَةٍ أى روضتى

وَمَـا لَـذَةُ الْعُشَّـاقِ إِلاَّ يَقِينُـهُ ... بِشَمْلٍ جَمِيعٍ بَعْدَ طُولِ تَشَـتُتى

وَأَغْسِلُ قَلْبِى مِنْ سِواكَ وَلَمْ أَجِدْ ... لِنَفْسِى إِلاَّ نُورُ ذَاتِـكَ بُغْيَّتِـى

تَعَالَيْتَ بِالْعَطْفِ الْكَـرِيمِ رِعَايَـةً ... فَبَارَكْتَ ذَلاتِى وَأَمَّنْتَ رَوْعَتِـى

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

ورضى الله عن سيدى إبراهيم الدسوقى

نبذة عن حياة سيدى أحمد البدوى ﷺ

ثم أجعل ختم هذه المحاضرة فى العلم والمعرفة من دقائق وحقائق الكتاب والسنة فى ذكر نبذة عن حياة الإمام الصوفى الولى القطب الربانى سيدى أحمد البدوى رضى الله عنه . فسيدى أحمد البدوى هذا نسبه الشريف : هو سيدى أحمد بن على بن إبراهيم بن محمد بن أبى بكر بن إسماعيل بن عمر بن على بن عثمان بن حسن بن محمد بن موسى الأشهب بن يحيى بن عيسى بن على بن محمد بن حسن بن جعفر بن على الهادى بن محمد الجواد بن على الرضى بن الإمام موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن على زين العابدين بن الإمام الحسين السبط رضى الله عنه . وسمى بالسيد نسبة إلى نسبه الشريف ، وبالبدوى نسبة إلى البادية التى أتى منها البدو .

مولده : ولد رضى الله عنه بزقاق الحجر بمدينة فاس بالمغرب سنة ٥٩٦ هجرية وسنة ١١٩٩ ميلادية ، حيث انتقل إلى المغرب أجداده فى زمن الحجاج بن يوسف الثقفى لما كثر القتل فى الأشراف

إخوته رضى الله عنه : كان سيدى أحمد البدوى آخر مولود لأمه ، وهو سابع إخوته وهم بالترتيب الميلادى الحسن ومحمد وفاطمة وزينب ورقية وفضة .

اِنتقاله رضى الله عنه إلى مكة : سمع أبوه قائلاً يقول فى المنام : ياعلى انتقل من هذه البلاد إلى مكة ، فخرج والده من المغرب قاصداً مكة سنة ثلاث وستمائة يعنى سنة ٦٠٣ هجريه ، وكان عمر سيدى أحمد إذاك سبع سنين ، فارتحل والده ووالدته وإخوته إلى مكة ، ومكثوا سائرين بالطريق أربع سنوات ، واستقروا بمصر سنتين وهم فى طريقهم إلى مكة ، حيث كانت مصر المركز العَلِىْ للدولة الإسلامية حفظ سيدى أحمد القرآن بمكة وكان يقرأه بالسبع ، وتفقه فى الدين على مذهب الإمام مالك ، ومال إلى الزهد من صغره حتى اشتهر بالشيخ أحمد الزاهد ، ثم أتم دراسته على مذهب الإمام الشافعى وظل شافعياً حتى مات ، ثم توفى والده سنة ٦٢٧ هجرية ودفن بالمُعْلاه بمكة وقبره هناك يزار ، وكان سيدى أحمد يُدعى فى صغره بأحمد الزاهد ويلثم بلثامين حيث لايرى الناس منه إلا عينيه ، ولم يكن

فى فرسان مكة والمدينة أشجع ولا أفرس منه لذا سمى محرش الحرب ، وعرض عليه أخوه سيدى حسن الزواج فأبى وقال : أنا موعود بأن لاأتزوج إلامن الحورالعين فقال سيدى حسن : فمن ذلك الأجل لزمنا الأدب معه .

أمر الرحيل من مكة إلى طنطا : أنه رأى فى منامه ثلاث مرات قائلاً يقول له : قم واطلب مطلع الشمس ، فإذا وصلت إلى مَطْلِعَ الشمس فاطلب مغرب الشمس وسر إلى طندتا فإن بها مقامك أيها الفتى ، فقام من منامه وشاور أهله وسافر إلى العراق ، وكان ذلك سنة ٦٣٣ هجرية فتلقاه أشياخها منهم سيدى عبد القادر الجيلانى وسيدى أحمد الرفاعى ، فقالا : ياأحمد مفاتيح البلاد والعراق والهند واليمن والروم والمشرق والمغرب بأيدينا فاخترأى مفتاح شئت منهم ، فقال لهم سيدى أحمد البدوى : لاحاجة لى بمفاتيحكما آخذ المفتاح من الفتاح ، ثم زار أضرحة أولياء العراق ثم ودع أخيه حسن ، وتوجه إلى مصر قاصداً طنطا

سيدى أحمد البدوى وفاطمة بنت برىِّ: ثم ذهب سيدى

أحمد إلى فاطمة بنت برى ، وكانت إمرأة لها حال عظيم وجمال بديع تسلب الرجال أحوالهم ، فسلبها سيدى أحمد ﷺ حالها وتابت على يديه ، أنها لا تتعرض لأحد بعد ذلك اليوم وكان يوماً مشهوداً بين الأولياء ، وهذه كرامة من كرامات سيدى أحمد البدوى . ثم سمع سيدى أحمد هاتفاً يقول له : ياأحمد سر إلى طندتا ، فإنك تُقِيمُ بها تربى بها رجالاً وأبطالاً عبد العال وعبد الوهاب وعبد المجيد وعبد المحسن وعبد الرحمن ﷺ ، وكان ذلك فى شهر رمضان سنة ٦٣٤هجرية ، فسار حتى دخل طندتا فى اليوم الرابع والعشرين من شهر ربيع الأول سنة ٦٣٥ هجرية مسرعاً إلى دار شخص من مشايخ البلد اسمه ابن شحيط ، فصعد إلى سطح غرفته ، وكان طول نهاره وليله قائماً شاخصاً ببصره إلى السماء ، وقد اِنقلب سواد عينيه بحمره تتوقد كالجمر، وكان يمكث الأربعين يوماً وأكثر لايأكل ولايشرب ولاينام ، ومكث فوق السطح اِثنى عشر عاماً ثم نزل من السطح ، وخرج إلى ناحية فيشا المنارة ، فتبعه الأطفال فكان منهم سيدى عبد العال وعبد المجيد ، فورمت عين

سيدى أحمد ﷺ ، فطلب من سيدى عبد العال بيضة يعملها على عينه فقال له وتعطنى الجريدة الخضراء التى معك ؟ فقال سيدى أحمدﷺ لسيدى عبد العال : نعم فأعطاها له فذهب سيدى عبد العال إلى أمه ، فقال هنا بدوى عينه توجعه فطلب منى بيضة ، وأعطانى هذه الجريدة فقالت له أمه ما عندى شئ فرجع فأخبر سيدى أحمد ﷺ فقال له إذهب فأتنى بواحدة من الصومعة ، فذهب سيدى عبد العال فوجد الصومعة قد ملئت بيضاً فأخذ له واحدة منها ، وهذه كرامة لسيدى أحمد البدوى رضى الله عنه ، وخرج بها إليه ثم إن سيدى عبد العال تبع سيدى أحمد من ذلك الوقت ولم تقدر أمه على تخليصه منه ، فكانت تقول يابدوى الشؤم علينا ، فكان سيدى أحمد ﷺ إذا بلغه ذلك يقول : لو قالت يابدوى الخير كانت أصدق ، ثم أرسل إليها يقول : إنه ولدى من يوم قرن الثور ، وكانت أم عبد العال قد وضعته فى معلف الثور وهو رضيع فطأطأ رأسه ليأكل فدخل قرنه فى القماط أى الحزام فشال عبد العال على قرنيه ، فهج الثور فلم يقدر أحد على تخليصه ، فمد سيدى أحمد رضى

الله عنه يده وهو فى العراق فخلصه من القرن ، فتذكرت أم عبد العال الواقعة واِعتقدته من ذلك اليوم .

من كراماته رضى اللّه عنه .

كان سيدى عبد العال ﷺ يأتى إليه بالرجل أو الطفل فيطأطئ رأسه من السطح ، فينظر إليه نظرة واحدة فيملأه مدداً ويقول لعبد العال إذهب به إلى بلد كذا أوموضع كذا ، فكانوا يسمونه أصحاب السطح ، وكان رضى الله عنه مُلَثَمَاً بلثامين فاشتهى سيدى عبد المجيد ﷺ يوماً رؤية وجه سيدى أحمد ﷺ فقال : ياسيدى أريد أن أرى وجهك أعرفك فقال ياعبد المجيد : كل نظرة برجل فقال ياسيدى أرنى ولومت فكشف اللثام الفوقانى فصعق ومات فى الحال وكان فى طندتا سيدى حسن الصائر الإخنائى ، وسيدى سالم المغربى ، فلما قرب سيدى أحمد ﷺ من مصر أول مجيئه من العراق قال سيدى حسن ﷺ : ما بقى لنا إقامة فى طنطا صاحب البلاد قد جاء فخرج إلى ناحية إخنا ، وضريحه بها مشهور الآن ، ومكث سيدى سالم فسلم لسيدى أحمد ﷺ ولم يتعرض له فأقامه سيدى أحمد ﷺ ، وقبره فى طندتا

مشهور، وأنكر عليه بعضهم فسلبه ، وانطفى اسمه وذكره ومنهم صاحب الإيوان العظيم بطنطا المسمى بوجه القمر كان ولياً عظيماً ، فصار عنده الحسد ولم يُسَلِّم الأمر بقدرة الله تعالى فَسُلِب ، وموضعه الآن بطنطا مأوى الكلاب ليس فيه رائحة صلاح ولا ومدد ، وكان الخطباء بطندتا انتصروا له وعملوا له وقتاً وأنفقوا عليه أموالاً وبنوا لزاويته مئذنة عظيمة فرفسها سيدى عبد العال ﷺ برجله فغارت إلى وقتنا هذا ، وكان الملك الظاهر بيبرس أبو الفتوحات يعتقد فى سيدى أحمد ﷺ اِعتقاداً عظيماً وكان ينزل لزيارته ، ولما قدم من العراق خرج هو وعسكره من مصر يتلقوه وأكرموه غاية الإكرام .

هيئته رضى اللّه عنه : كان رضى الله عنه غليظ الساقين طويل الزراعين كبير الوجه أكحل العينين ، طويل القامة قمحى اللون ، وكان فى وجهه ثلاث نقط من أثر جدرى فى خده اليمين واحدة وفى الأيسر اِثنتين ، أقنى الأنف على أنفه شامتان من كل ناحية شامة سوداء أصغر من العدس ، وكان بين عينيه جرح موس جرحه له ولد

أخيه الحسن بالأبطح حين كان بمكة ولم يزل من حين كان صغيراً باللثامين والغرزتين ، وكان إذا لبس ثوباً أوعمامة لايخلعها لالغسل ولا لغيره حتى تذوب فيبدلونها له بغيرها فالعمامة التى يلبسها الخليفة فى المولد عمامة الشيخ وأما البشت الصوف الأحمر فهو من لباس سيدى عبد العال ﷺ .

من أقواله رضى اللّه عنه : كان سيدى أحمد ﷺ يقول: وعزة ربى سواقىَّ تدور على البحر المحيط لو نفدت ماء سواقى الدنيا كلها لما نفدت ماء سواقىّ .

طنطا قبل الإسلام وبعده :

نذكر طنطا قبل الإسلام وبعده كانت مدينة طنطا قبل الفتح الإسلامى قرية تعرف باسم طنفسا ، ثم حرف هذا الإسم إلى طندتا ،وفى عهد الحملة الفرنسية عرفت باسم طنت ، وكانت تابعة لإقليم المنوفية ثم اشتهرت باسم طنطا فى عهد محمد على ، وصارت عاصمة الغربية فى عصر السيد أحمد البدوى كانت طنطا تابعة إدارياً للمحلة الكبرى .

مسجد البهى :

مسجد البهى وركبة الخليفة التى ينتهى بها المولد تبدأ من مسجد البهى والذى كان يسمى فى حياة البدوى مسجد البوصة ، نسبة إلى قبيلة البوصة التى استوطنت طنطا من أيام الفتح الإسلامى ، وقامت ببناء أول مسجد بالمدينة وتسمى باسمها ، وكان البدوى فى حياته دائم التردد على هذا المسجد حتى لقى ربه ، وفى عهد الخديوى عباس : اِنتقل العارف بالله سيدى محمد البهى وكان من علماء الأزهر الشريف توفى سنة ١٢٦٠ هجرية ودفن بالمسجد وأقيم له ضريح وسمى المسجد باسمه .

مخلفات البدوى : عبارة عن قميص عباءة وعمامة ومشط ومسبحة كبيرة بها ألف حبة .

أسماؤه رضى اللّه عنه :

قد اشتهر البدوى بعدة أسماء أطلعتها عليه أتباعه ومريديه .

السيد : معناه الرئيس أو الزعيم وهو أشهر ألقابه

البدوى : نسبة إلى سُكْنَى البادية .

الملثم : لأنه كان يضع لثامين على وجهه دائماً .

أبو الفتيان : لشجاعته وفتوته .

العطَّاب : لقدرته على إصابة غريمه بالعطب والهزيمة

الزاهد : لزهده منذ صغره .

القطب : اَسمى واَعظم اَلقاب الصوفية .

القدسى : نسبة إلى ميل البدوى إلى العبادة والتقديس

الصامت : نسبة إلى صمته فكان فى كثير من الأحيان لايتكلم إلا الإشارة

الولى : وهو المحب لذات الله ومن الذين قال الله فيهم (ألا إن أولياء الله لاخوف عليهم ولاهم يحزنون) .

مجيب الأسارى: ومعناها منقذ الأسرى من أيدى الصليبين

وفاة البدوى رضى اللّه عنه : توفى السيد أحمد البدوى يوم الثلاثاء الثانى عشر من شهر ربيع الأول سنة ٦٧٥ هجرية والموافق ٢٤ أغسطس ١٢٧٦ ميلاديه وهو يوم

إحياء ذكرى مولد النبى ﷺ ، وكانت وفاته فى نفس الخلوة التى عاش فيها وتعبد فيها ودفن فيها وهى الآن ضريحه .

نشأة المولد .

نشأ المولد فى العام الذى توفى فيه السيد أحمد البدوى حضر عدد كبير من أتباعه ومريديه ؛ لزيارته والتزود من علمه كعادتهم ، ولما وصلوا علموا أنه قد انتقل مكثوا بالمدينة سبعة أيام ، ولكثرة عددهم وضيق المكان نصبوا خياماً خارج المدينة ، ونحروا الذبائح وبعد انتهاء السبعة أيام سافروا على أن يعودوافى نفس الميعاد من العام التالى وصارت عادة سنوية تتوارثها الأجيال يقام فيها مولد البدوى العظيم . رضى الله عنهم آل بيت النبى الكرام ونفعنا بمحبتهم والحقنا بركبهم .

من كلامه ﷺ يقول :

إلهى أنت للإحسانِ أهلٌ ومِنْكَ الجُودُ والفَضْلُ الجَزِيلُ

إلهى بَاتَ قَلبى فى همُومٍ وحَالِى لا يُسَرُّ بِهِ خَلِيلُ

إلهى تُبْ وجُدْ وارْحَمْ عُبَيْداً مِنْ الأَوزَّارِ مَدْمَعَهُ يَسِيلُ

إلهى ثَوبُ جِسْمِى دَنَّسَتْهُ ذُنُوبٌ حَمَلَهَا أَبَداً ثَقِيلُ

إلهى جُدْ بعَفْوِكَ لـــى فَـــإِنِّى على الأَبْوابِ مُنْكَسِـــرٌ ذَلِيـــلُ
إلهى حُفَّنِى باللطْفِ يا مَـــنْ لَهُ الغُفْرَانُ والفَيضُ الجَزِيـــلُ
إلهى خَانَنِى جَلَدِى وصَبْرِى وجَاءَ الشَّيبُ واقْتَرَبَ الرَّحِيلُ
إلهى دَاوِنِى بـــدَوَاءِ عَفْـــوٍ بِهِ يُشْفَى فُـــؤَادِى والغَلِيـــلُ
إلهى ذَابَ قَلْبِى مِنْ ذنُـــوبِى ومِنْ فِعْلِ القَبِيحِ أَنَا القَتِيـــلُ
إلهى رَدِّنِى بِـــردَاءِ أُنْسِّـــى وأَلْبَسَنِى المَهَابَةِ يـــا جَلِيـــلُ
إلهى زَحْزِحْ الأَسْوَاءَ عَنِّـــى وكُنْ لى نَاصِراً نِعْمَّ الكَفِيـــلُ
إلهى سَيِّدِى سَنَدِى وجَاهِى فَمَا لى غَيرَ عَفْوِكَ لِى مَقِيـــلُ
إلهى شَتَّتْ جَيشُ اصْطِبَارِى هُمُومٌ شَرْحُهَا أَبَـــداً يَطُـــولُ
إلهى صِرْتُ مِنْ وَجْدِى أُنَادِى أَنَا العَاصِى المُسِيئُ أَنَا الذَّلِيلُ
إلهى ضَاعَ عُمْرٍ فى غُرُورٍ وفى لَهْوٍ وفى لَعِـــبٍ يَطُـــولُ
إلهى طَالَمَـــا أَنْعَمْـــتَ مَنَّـــاً بِجُودٍ مِنْكَ فَضْـــلاً يَسْـــتَطِيلُ
إلهى ظَاهِراً أَدْعُـــوكَ رَبِّـــى كَذَلِكَ بَاطِنَـــاً أَنْـــتَ الجَلِيـــلُ
إلهى عَافِنِى مِـــنْ كُـــلِّ دَاءٍ بِجَاهِ مُحَمَّـــدٍ نِعْـــمَ الخَلِيـــلُ
إلهى غَافِرَ الزَّلاتِ يَـــا مَـــنْ تَعَالَى مَـــا لَـــهُ أَبَـــداً مَثِيـــلُ
إلهى فَازَ مَنْ نَـــادَاكَ رَبِّـــى أَتَاهُ الخَيـــرَ حَقَّـــاً والقَبُـــولُ
إلهى قُلْتَ ادْعُونِى أُجِيـــبَكُمْ فَهَاكَ العَبْدُ يَدْعُوا يَـــا وَكِيـــلُ

إلهى كَيْفَ حَالِى يومَ حَشْرٍ ؟ إِذَا مَا ضَاقَ بالعَاصِى مَطِيـــلُ
إلهى لا إِلَهَ سِـــوَاكَ رَبِّـــى تَعَـــالَى لا تُمَثِّلُـــهُ العُقُـــولُ
إلهى مَسَّنِى ضُرٌّ فَأَضْـــحَى بِهِ جِسْمِى يُبَلبِلُـــهُ النُحُـــولُ
إلهى نَجِّنِى مِنْ كُـــلِّ كَـــرْبٍ ويَسِّرْ لِى أُمُورِى يَـــا كَفِيـــلُ
إلهى هَذِهِ الأَوقَاتُ تَمْضِـــى بأَعْمَـــالٍ لَنَـــا وبِهَـــا نَـــزُولُ
إلهى وَالِنِى خَيْرَاً وأَحْسِـــنْ خِتَامِى عِنْدَمَا يَأْتِى الرَّسُـــولُ
إلهى يا سَمِيعُ أَجِبْ دُعَـــائِى بِطَهَ مَنْ تَسيرُ لَـــهُ الحُمُـــولُ
فَصَلِّى عَلَيهِ رَبِّ كُلَّ وَقْـــتٍ صَلاةً لا تَحُـــولُ ولا تَـــزُولُ
وآلٍ والصِحَابِ ذَوِى المَعَالِى وفى طَىِّ الكَلامِ هُمُ الفُحُـــولُ

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم
ورضى الله عن سيدى أحمد البدوى القطب الربانى الـــولى التقى الزكى النقى الصفى ورضى الله عن ســـيدى إبـــراهيم الدسوقى القطب الربانى ،الولى التقى الزكى النقى الصـــفى ورضى الله عن إمامنا الإمام الشـــافعى رضـــى الله عـــنهم أجمعين ورضى الله عن صحابة النبى أجمعين ورضـــى الله عن آل بيت النبى الأطهار وارضى اللهم عنا معهم يـــا رب العالمين واملأ قلوبنا بمحبتهم ، واقذف فى قلوبنـــا أنـــوار

محبتهم ، وأدبنا بآدابهم وعلمنا من بحور علومهم ، وألحقنا بركبهم ، ولا تخيب رجائنا فيك ربنا ، بأن تكرمنا وأن تعنا على طاعتك ، وذكرك وشكرك وعبادتك يا رب العالمين وصلى اللهم على سيدنا محمد صلاة تقربنا بها إليك وترضى بها عنا يا رب العالمين . اللهم صلى على سيدنا محمد وآله مصابيح الحكمة ، وموالى النعمة ومعادن العصمة واعصمنى يا رب من كل سوء ، ولا تأخذنى على غرة ولا غفلة ، ولا تجعل عواقب أمرى حسرة وندامة وارضى عنى فإن مغفرتك للظالمين وأنا من الظالمين . اللهم اغفر لى ما لا يضرك ، واعطنى ما لا ينقصك فإنك الواسع رحمته البديعة ، حكمته فأعطنى السعة والدعة والأمن والصحة ، والشكر والمعافاة والتقوى ، وأفرغ الصبر والصدق علىَّ ، وعلى أوليائك ، وأعطنى اليُسر ولا تجعل معه العُسر ، واعمم بذلك أهلى وولدى ، وإخوانى فيك من المسلمين والمسلمات ، والمؤمنين والمؤمنات .

صلى اللهم على سيدنا محمد على آله وصحبه وسلم

قصيدة آداب الطريق

لسيدى سلطان العارفين

ومليك أهل الطريق

سيدى : أبايزيد البسطامى

رضى اللّه عنه

مَنْ ذَاقَ طَعْمَ شَرَابَ القوم يَدْرِيهِ ... ومَنْ دَراهُ غَدا بِالروُّح يَشْرِيهِ

ولوتَعَوضَ أروحاً وجَادَ بها ... فى كل طَرْفَةِ عَينٍ لا تُسَاوِيهِ

وقَطْرَةٌ مِنْهُ تَكْفى الْخَلْقَ لو طُعِمُوا ... فَيَشْطَحُونَ على الأكْوانِ بِالْتِيهِ

وذو الصَبَابَةِ لو يُسْقَى على عَدَدِ ... الأَنْفَاسِ والكَونِ كَأْسٌ لَيْسَ يَرْوِيهِ

يُرْوَى ويَظْمَأ لايَنْفَكُ شَارِبُهُ ... يَصْحُوا ويَسْكُرُ والمَحْبُوبُ يَسْقِيهِ

فى رِيهِ ظَمأ والْصَحْوُ يُسْكِرُهُ ... والوَجْدُ يُظْهِرُهُ طَوْرَاً ويُخْفِيهِ

يَبْدو له الْسِّرُ مِنْ أَفَاقِ وِجْهَتِهِ ... والْسِّرُ مِنْهُ لَه حَقَّاً فَيُبْدِيهِ

له الْشَهَادَةُ غَيْبٌ والْغَيُوبُ لَه ... شَهَادَةٌ والْفَنَاءُ والمَحْضِ يُبْقِيهِ

له لدى الْجَمْعِ فَرْقٌ يَسْتَضِئ بِهِ ... كالجَمْعِ فى فَرْقِهِ ما زَالَ يُلْقِيهِ

يَدْنو ويَعْلُو ويَرْنُو وهو مُصْطَلَمٌ ... فى الحَالَتِينِ بِتَمْيِيزٍ وتَوليهِ

له الوجُودَاتُ أَضْحَتْ طَوعَ قُدْرَتِهِ ... وما يَشَاءُ مِنْ الأَطْوارِ يأْتِيهِ

للقَومِ سِرٌّ مع المَحْبُوبِ لَيْسَ لَهُ ... حَدٌّ ولَيْسَ سِوى المَحْبُوبِ يُحْصِيهِ

بِهِ تَصَرُفِهِم فى الكَائِنَات فما ... يَشَاءُ شَاءوا وما شَاؤهُ يَقْضِيهِ

إنْ كُنْتَ تَعْجَبُ مِنْ هَذا فلا عَجَبٌ ... لله فى الكونِ أسْرَارٌ تُـرَى فيـه

لاشئَ فى الكونِ إلا وهـو ذُو أثَـرٍ ... فما المُـؤثِرِ غَيْـرُ اللهِ قَاضَـيه

لَـيْسَ التضَـادُّ مَنَّعَـاً لِقُدْرَتِـه ... مِنْ حَيْثُ قُدْرَتِـه تـأْبَى تَعَالِيـه

وإنّمَا مِنْ وجُـودِ الْحَادِثَـاتِ لَـهُ ... تَمَـانُعٌ فـى مَحَـلِ ذَاكَ يَحْوِيـه

وللفقِيـرِ وجُـوهٌ لَـيْسَ يَحْصُـرُهُ ... عَدٌّ وكُـلُ وجُـودٍ فهـو واديـه

لو كُنْتَ تدْرى وجُود العَبْـدِ كُنْـتَ ... تَرَى فيه الكمَالَ كما النُّقْصَان يَنْفِيه

والعبدُ هذا هو الحُرُّ الذى حَصَـلَتْ ... لـه الخِلافَـةُ جَـلَّ اللهُ مُعْطِيـه

أوصَافُهُ ظَهرَتْ مِنْ وصْفِ مُبْدِعِـه ... وكُلُـهُ مَظْهَـرٌ يُبْـدِى تَجَلِّيـه

إذا أُرِئِىَ ذُكِـرَ المَـولى برؤيَتِـه ... وفَازَ بِالسَـعْدِ والتقْرِيـبِ رَائِيـه

عَبْدٌ عَلَيْهِ سِـمَاتُ الْقَـوْمِ لائِحَـةٌ ... وخُلُقُهُ الْعِـزِّ والْتَحْكِـيمِ عاليـه

إن كُنْتَ تقْصِدُ أن تَحْظَى بِصُـحْبَتِه ... فاسْلُك على سُنَنٍ طَابَتْ مَسَـاعِيه

أخْلِصْ ودَادَكَ صِدْقَاً فـى مَحَبَتِـه ... والْزَمْ ثَرَى بَابِه واْعكُفْ بِنَادِيـه

واسْتَغْرِق العُمْرَ فى آدابِ صُـحْبَتِه ... وَحَصِّل الدُّرَّ والياقُوتَ مِـنْ فِيـه

وابْذُلْ قَوالٍ وبَـادِر فـى أوامِـره ... إلى الوفَاقِ وبالِغ فـى مَرَاضِـيه

واحْذَر بِجُهْدِكَ أنْ تَأتِى ولو خَطَـأً ... ما لايُحِبُ وبَاعِـد عَـنْ مَنَاهِيـه

وكُـنْ مُحِـبَّ مُحِبيـه وناصِـرُهم ... والْزَمْ عَدَاوةَ مَنْ أضْحى يُعَادِيـه

واعلَـم يَقِينَـاً بـأنَّ اللهَ نَاصِـرُهُ ... إنْ لَمْ تَكُنْ نَاصِـرَاً فـاللهُ يَكْفِيـه

وأَنْزِل الشَيْخَ فـى أعلـى مَنَازِلِـه ... واجْعَلهُ قِبْلَـةَ تَعْظِـيمٍ وتَنْزِيـه

ولَسْتَ تَفْضُلُ هذا إنْ ظَنَنْـتَ بِـه ... نَقْصَـاً ولا خَلَـلاً فيمـا يُعَانِيـه

واترك مُرَادَكَ واسْتَسْلِمْ لَـهُ أبَـداً ... وكُنْ كَميتٍ مُخَلَـى فـى أيَادِيـه

أعْدِمْ وجُودَكَ لاتَشْـهَدْ لَـهُ أثَـرَاً ... ودَعْـهُ يَهْدِمُـهُ طَـوْرَاً ويَبْنِيـه

مَتَى رَأَيْتَكَ شَـيْئَاً كُنْـتَ مُحْتَجِبـاً ... برؤيةِ الشئ عَمَّـا أنْـتَ نَاويـه

ولاترى أبَـداً عَنْـهُ غِنَـىً فَمَتَـى ... رَأَيْتَ عَنْهُ غِنَىً تَخْشَـى تَنَاسِـيه

إنَّ اعتِقادَكَ إنْ لَـمْ تَـأتِ غَايَتَـهُ ... فيه فَيُوشِكُ أنْ تَحْظَـى مَنَاويـه

وغايةُ الأمْرِ فيـه أنْ تَـرَاهُ علـى ... نَهْـجِ الكمَـالِ وأنْ اللهَ هَادِيـه

ومِنْ أمَـارَةِ هَـذا أَنْ تُـؤوِلَ مـا ... عَلَيْـكَ أشْـكَلَ إظْهَـاراً بِخَافِيـه

والمَرءُ إنْ يَعْتَقِد شَيئاً ولَيْسَ كَمـا ... يَظُنُهُ لَـمْ يُحِـبْ فـاللهُ يُعْطِيـه

ولَيس يَنْفَعُ قُطْبَ الوقْـتِ ذا خَلَـلٍ ... فى الإعْتِقَـادِ ولامَـنْ لايُوالِيـه

إلا إذا سَـبقَتْ للعَبْـدِ سَـابِقَةٍ ... يَعُودُ مِنْ بَعْدِ هَـذا مِـنْ مَوالِيـه

ونَظْرَةٌ مِنْهُ إنْ صَحَتْ إليـه علـى ... سَـبيلِ وُدٍّ بِـإذنِ اللهِ تُغْنِيـه

والناسُ عَبْدانِ مَجْـذُوبٌ وسَـالِك ... مَا دُعِـىَ إليـه بِتَعْلِـيمٍ وتَنْبِيـه

والجَذبُ أخذُ عبيـد بَغْتَـةً بِيَـدَىْ ... عِنايةٍ نَحو أمرٍ لَـيسَ يَنْوِيـه

هـو المُـرادُ ومَخْطُـوبُ العِنَايَـةِ ... لايَحُـسُ كلفَـة تكْلِيـفٍ تُلاقِيـه

طوراً يَرُدُ عَلَيه الحسُّ تكْمِلَـةً لَـه ... فَيَقْصِـدُ مـا قـد كـان ناويـه

تَرَاهُ يَعْبُدُ لا يَلْـوِى علـى شُـغلٍ ... سِوى العبادةِ يَسْـتحلى تَفَانِيـه

وقد يغيبُ عن الإحساس مُختطِفـاً ... وذو العِنايةِ حِفظ الحـق يحميـه

تَرَى الحَقائِقَ تَبْدو مِنهُ فى نسـقٍ ... مـع الكشـوف لأن اللهَ يُلْقِيـه

وذو السُـلوك تـراهُ فـى لذاذتـه ... يُجاهِـد الـنفس ذارعىلِباقِيـه

يَمْشِىعلى نَهْجِ أهل الصدقِ مُلْتَزِماً ... شروطهم خَائِفـاً فيمـا يُرْجِيـه

كم مِنْ مُرِيدٍ قضى ما نـال بُغْيَتَـهُ ... حـقَ القَضَـاءُ فـى تَقَاضِـيه

وكَمْ مِنْ مريدٍ ونَى مِنْ بَعدِ عَزْمَتِه ... إنَّ عَزْمَهُ ذاكَ ماصَـحت مَبَادِيـه

مَنْ ليس يَخْلُص فى مَبْدأ إرادتـه ... يهوى بِهِ الحَظُّ فى أهوى مَهاويه

ومَا المُرِيدُ الذى صَحَت ْإرادتُهُ ... إلاَّ مُرادٌ لَه جَذبٌ يُوافِيهِ

والجَذبُ إنْ كانَ مِنْ بَعْدِ السُلُوكِ لهُ ... فَضلٌ على الجذبِ كما السعىُ تاليهِ

فالجَذبُ هذا الذى التَفضيلُ منه ... عن الجَذبِ الذى ظهرت مابواديهِ

وفى الحقيقة لولا الجذبُ ما سُلِكَتْ ... طريقُ حَقٍّ ولارُئيتْ مَرَائيهِ

لولا العِنايةُ والتَخصيصُ قد سبقتا ... فى دعوة العبد ماقد قامت دعاويهِ

إنَّ المُريد مُرادٌ والمُحِبُ هو ... المحبوب فاشمل هذ من أماليهِ

إن كان يرضاك عبدٌ أنت تعبده ... وإن دعاكَ مع التمكينِ تَأتيهِ

ويَفتَحُ البابَ إكراماً على عَجَلٍ ... ويَرفع الحجب كشفاً عن تدانيهِ

وَثَم تَعرِفُ ما قد كنتَ تَجْهَلُهُ ... فما عن الحَصرِ قد جلت معانيهِ

وترتوى من شراب الأنس صافيةً ... ياسعد من بات مملوءا تصافيهِ

وصلِ يابِّ ما غنت مُطَوقَةً ... على النبى صلاةً منك تُرضيهِ

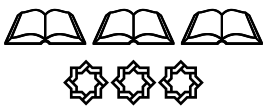

النظم العريق لسالكى الطريق إلى اللّه

لفضيلة مولنا العارف باللّه

سيدى الشيخ

محمد السيد أبو العينين الرفاعى

رضى اللّه عنه

بدأتُ ببسم اللهِ ربىِّ وخالقى ... ربِّ العباد الواحد القهارِ

فهو الذى خلق العباد جميعهم ... وهو الذى فوقَ الورى ستارِ

ثمَّ التوسُّل بالصلاةِ على النبىّ ... خيرِ الخليقةِ بدرِها المختارِ

فبجاهِهِ يارِبِّ فرِّج كربنا ... وبسرِّهِ إجعلنا فى الأخيارِ

فلقد بدأنا به الطريقَ إلى المدى ... مُسْتمسكينَ بنورهِ الكرَّارِ

فاللهُ قد صلىَّ عليه وسلَّما ... هو والملائكةُ العُلاَ الأسْرارِ

من نورِ أحمدَ قد جعلتُ طريقتى ... فهى الهدايةُ حولها الأزهارِ

العهدُ بينَ الخلقِ والرحمنِ ... العملُ بالقرآنِ والأذكارِ

وكفاكَ حُبُّكَ فى النبىِّ وآلهِ ... بعد الكتابِ وسُنَّةِ المُختارِ

فعلى المريدِ شريعة مفروضة ... هى سبعةٌ أُولهما إستغفارِ

فبفضلِ الاستغفار حُسْن تمتُّعٌ ... والفوزَ بالجناتِ والأنهارِ

والذكرُ والتسبيحُ ثانى فَرضُنَا ... وقراءةُ القرآنِ بالأسحارِ

فبفضلِ ذكر اللهِ تُجلى قُلُوبنا ... والذِّكْرُ يُنْجى مِنْ عذابِ النارِ

ثُمَّ الحِفَاظُ على الصلاةِ بِوقْتِها ... صلواتُ خَمْسٍ هُنَّ كالأقمارِ

مَنْ قامهُنَّ خا شعـــاً مُتَدبِّـــراً ... مَعْنى التِّـلاوةِ فـازَ بـالأنورِ
فبذاكَ تَمَّ الفرضُ ثالثُ فرضِـنا ... فاخلعْ بنفْسِكَ عن هوى الأشْرارِ
وجعلنا فرضـــاً رابعـاً بطريقِنـا ... فرضاً فرضناهُ على الأخيـارِ
هـو كثـرةُ الصلواتِ والتسليمِ ... على النبيِّ المصطفى المختـارِ
فبفضلِ حُبِّك فى النبى فقـد تَنَـلْ ... كل العطاءِ ويرضى عنك البارى
ياربِّ صلِّ على النبيِّ محمـــد ... خيـرِ الخليقـةِ هـازمِ الكفـارِ
والخامسُ الإخلاص خيرُ فريضـةٍ ... فُرِضتْ عسى تُمحى بها الأوزارِ
فعليك بالإخلاصِ دومـاً دائمـاً ... إن كنـتَ تـرجو رحمة الجبَّارِ
وأعزُّ فرضٍ فى الطريقةِ سادسـاً ... فهى المحبـةُ يا أولى الأبصارِ
فالحبُ لله العظيمِ علـى المـدى ... هـو خيـرُ حـبٍ دائمُ الأعمارِ
وعلى مُريدِ الوصلِ فرضاً سـابعاً ... لابـدَ أن يـأتيـهِ بالإصـرارِ
الزُهـدُ فى الدنيـا طريقُ نجاتـهِ ... مـنْ شـدَّةِ الأهوالِ والأخطارِ
وحدود ربِّـك كُنْ عليها محافظـاً ... ببَقِيَّـةِ المفروضِ فى الأخبارِ
مِثـل الصيامِ مع الزكاةِ فربَّمـا ... تُلهيـكَ دُنيـاكَ عـن الإذكارِ
وإن استطعت الحج عجِّل يـا فتـى ... قبـل انتهـاءِ العمـرِ ذا إنذارِ
وتَصدَّقـنَّ من القليلِ وجُـدْ بـه ... فعساك تنجو مـنْ عذابِ النـارِ
على البلاءِ فكُـنْ صبوراً شاكراً ... فالصبرُ حِـرزٌ مَانـعُ الإضرارِ
فالصابريـنَ لهـم منازِل عاليـة ... عنـد الإلـهِ المُنعـمِ الغفَّـارِ
يـوم القيامةِ يُحشرونَ بصـبرهم ... فـى جنـةِ الخُلْـدِ مع الأبرارِ
وأْمـر بمعـروفٍ وكُنْ متمسِّـكاً ... بكتابِ ربِّك صـادقَ الإقـرارِ
وانهى عن المُنْكرِ وكُـنْ مُتَناهيـاً ... عـن كل فحشَـاءٍ لها الإنكارِ

واْخشَعْ وذِلَّ وتُبْ وكُنْ مُتـوكِّلاً ... دَوْماً على الرحمنِ فى الأقْدارِ
فبذاكَ تَقـوى الله تَبْلُـغُ حَـدَّها ... عِنْـدَ الذى حَاطَتْ بِـهِ الأفكـارِ
وبِذَاكَ تَـمَّ العهـدُ فيمـا بينـهُ ... وبينَ ربِّ العـرشِ بالمقـدارِ
وإلى المهيمنِ كُن لـه متوسـلاً ... بصالـحِ الأعمـالِ والإطها رِ
والصالحيـنَ الأولينَ فَكُنْ بِهِـمْ ... مُتَوسِّـلاً دَوْمـاً بلا اسْتهتَارِ
يا ربَّنَـا بالصَّالحيـنَ جَمِيعُهُـمْ ... نَسْأَلُكَ حُسْنَ خِتَامِ تِلْكَ الـدَّارِ
بِمُحَمّدٍ خيـرِ الوجـودِ نبينـا ... استرنـا فى الداريْنِ ياسـتارِ
وبِـآلِ بيْـتِ رسـولِكَ الأعـلام ... اجعـلْ رضاك علينا باسْتمْرارِ
وبأهلِ بَدْرٍ كُنْ لنا نصراً وكُـنْ ... عَوْنـاً ومكِّنَّا مـنْ الأقْطـارِ
بمكانـةِ الصِّـدِّيقِ ربِّ تَولَّنـا ... واحشُرنا فى الأُخْرى مع الأنصارِ
بعدالةِ الفاروقِ عُمراً هَـبْ لنـا ... منْـكَ الرِّضَـا والسِّتْرَ بالمدرارِ
بذى النُّورَيْنِ عُثْمَاناً فَكُنْ لَنـا ... عوناً وإرشاداً يعـى الإظْفَـارِ
بعلىٍّ الكرَّارِ كـن لنـا ناصـراً ... والطُفْ بِنَا فى حالـةِ الإعصـارِ
بسعيدِ سعـدِ ابن عوفٍ طلحـة ... السادةُ الأُول العُـلاَ الأخيـارِ
بأبى عُبيْـدةَ الزُّبيْرِ وحمـــزةُ ... مَنْ مِنْهُموا زَالتْ قُـوىَ الأَغْيَارِ
بالسادةِ العبَّـاسِ حَبْـرٌ نَجْلُـهُ ... اغفـرْ لَنَـا يـاربِّ ياغفـارِ
وبسَيدى الفَضْـلِ بـن العبَّـاسِ ... أُسْتُر طريقتنـا بـلاَ إضْـرارِ
بالبهنسا الغرَّاءِ سِـرٌّ عطائنَـا ... وظِلاَلُ عـزٍّ جامـعُ الأسْـرَارِ
وبَقيعُ مِصْرٍ بالصْحَابـةِ والأُلَـى ... إجْعَلْ لَنَا مَدَدا سارى الأنـوارِ
وبـآلِ بَيْـتٍ والصـحابةِ كُلِّهـم ... نسألُكَ رِضْوَاناً وحُسْنَ جـوارِ
وبالسيِّدةِ الـزَّهْراءَ فاطمـةَ التـى ... رَوَتِ الوجودَ بِنَشْرِها العطَّـارِ

بالسَّادةِ الحَسَنِ الحُسيْنِ انْظُر لَنَا ... بلطائفِ الإجْلالِ بالأنظَارِ
وبزينبٌ وسكينةٌ ونفيسةٌ ... نسألُكَ رِزْقاً ليسَ بالإقتارِ
بفاطمةٍ بنتَ الحُسيْنِ فآتنَا ... منْكَ الرِّضا والعفو بالإبْدَارِ
بِعلِيٍّ زينِ العابدينَ إمَامُنَا ... نَسْأَلُكَ قَلْباً خَاشِعاً وقَّارِ
بالشافعى ومالكٍ ربِّ اهْدِنَا ... لِطريقِكَ المعهودُ بالأنوارِ
بأبى حنيفةَ وابن حنبلَ أحمداً ... نرجوك علماً جامعَ الآثارِ
بالسَّيِّد البدويِّ أحمدَ فاهدنا ... ياربَّنا واسْتُرنا ياستَّارِ
بالشاذلىِّ أباالحسنْ كُنْ حافظاً ... كُلَّ الطَّرائقِ منْ هَوَى الأشْرَارِ
بإمامنَا ابنَ الرَّفاعى أحمداً ... جنِّبْنَا يا ربِّ عنِ الإضْرَارِ
بالسَّيِّد البطلِ الدُّسوقىِّ الذى ... نرجوا به عفواً مع الإبْشارِ
بعلىٍّ البيومِّى رمزُ مجالنَا ... رَطِّبْ قُلُوبَ الخَلْقِ بالإذكَارِ
بالسَّيِّد المرسى أبا العبَّاس ... نسألُكَ حُسْنَ عقيدةَ الإفْكارِ
بالسَّيِّد الجيلانى عَبْدَ القَادرِ ... نرجوك حُبّاً دَائِمَ الأطْوارِ
وبشيخنا البوصيرى وهْوَ محمداً ... أحْبِبْ إلينا الخلْقَ بالإنْفَارِ
بالسَّيِّد المنظورِ داودُ العزب ... اسْتُرْ طريقَتنا بكُلِّ حَذَارِ
بالبسطامىِّ أبا اليزيد حبيبُنا ... نَسْأَلُكَ عِلْماً نَافِعَ الأحْجَارِ
بالسَّادةِ الغَمْرىِّ والشَّعرانى ... إمنحنا نوراً فائقَ الأنْوارِ
وبسيدى شبلٍ وبالشناوى ... إمْنُنْ علينا ساعةَ الإسحارِ
بالسادةِ البكرىِّ والشِّشْتَاوى ... إعْطِفْ علينا عَطْفَكَ السَّتَارِ
وبشيخنا سندُ بن شرف الدِّين ... قوِّم طريقتنا بلا إنكارِ
وبقطبنا عبد الرحيم ساكن قنا ... إرحم عَبيدَكَ من عذاب النَّارِ

بأئمةٍ وبسادةٍ وبعترةٍ ... نرجوا بهم حسنى وعُقْبى الدَّارِ
ياربَّنا بالأولياءِ جميعهم ... اجعلْ لنا نوراً له استقرارِ
بالسيِّد البدوىِّ بابُ طريقَنا ... اغفر لنا ياربِّ ياغفَّارِ
واستُر طريقتنا بفضلك واهدِنَا ... سُبُلَ الهدايةِ منك بالمقدارِ
وبِسَاكِنِ الأُقْصُرِ أبا الحَجّاج ... اختم لنا بخاتم الأسرارِ
بالفرغلىِّ وبالعَنَانى سادتى ... يا ربَّنا اغفر لنا الأوزارِ
ورِضَاكَ يا الله عنا دائماً ... واسبِل علينا العرش بالأستارِ
واجعل لنا سبل الهداية مرْصَداً ... واجعل طريقتنا لها الأحرارِ
وأمدَّنا بالنورِ منكَ وبالهدى ... وتوفَّنا على سنة المختارِ
واغفر لنا كلَ الخطايا ونَجِّنَا ... من شِدَّةِ الأهوالِ والأغيارِ
ونختمُ نظم طريقنا بصلاتنَا ... وسلامنَا على النبى المُختَارِ
طه المبشِّر بالنعيمِ وبالهدى ... الهاشمى مَنْ جاء بالإبشارِ
ياربِّ صلِّ على النبىِّ محمدٍ ... خير البرية صاحب الإنذارِ
واجعل طريقتنا طريق نبيِّنا ... وأمدنا من نوره الكرّارِ
واجعلنا يوم العرضِ تحت لوائه ... واجعل رضاك نهايةَ المشْوارِ
واسقينا منْ يده الشَّريفةَ شربةً ... من حوضه المورود بالإقرارِ
اجعل لنا دار المُقامِ مصيرنا ... هى جنَّةُ الفردوس خيرُ قرارِ
الله أعلاها وخيرُ مليكها ... ومحمدٌ الجارُ خيرجوارِ
يا راغبى سُبُلَ الهدايةِ والتُّقَى ... أُسلك طريقتنا هى الإبكارِ
فالله جلَّ عُلاهُ خيرٌ حافظاً ... لطريقتنا بحميهِ بالإظهارِ
فطريقنا جَمُّ المحبَّةِ كلها ... للصالحين السُّبَّق الأخيارِ

ونحبُهم دون التَّفرُّق بينهم ... فكلُّهم قَبسٌ من الأنوارِ
فبحبهم الله يشفى قُلوبَنَا ... من كلِّ حِقْدٍ يَنْحلُ الأوبارِ
فعليهموا الرضوان من ربِّ الورى ... وعليهموا منا السلام الجارِى
فبجاههم يارِبِّ الحقنا بهم ... وتوفَّنَا على سُنَّةِالمختارِ
واغفر يارِبِّ للفقِير محمداً ... ابن الرِّفاعى صاحب الإِيثارِ
وكُن له يا ربِّ سِتْراً طالما ... تأليفُه نتلوه بالأوتارِ
وارحم جميع الخلق يارب العُلاَ ... واِهديهم السُّبُلَ القويم السارِ
واحفظ لَنَا المُثلى طريقتِنَا التى ... مِنْ نُورِ أحْمَدَ مَنْبَعِ الأسْرارِ
واسْتُرْ بَنِيهَا مِنْ لَدُنْكَ وهَبْ لَنَا ... عِزاً ونوراً جامعَ الأقدارِ
وأدم صلاتك والسلام على النبى ... خيرِ الخليقة صاحبَ الأنوارِ
وعلى صحابته الكرام وآلِهِ ... والتابعين وسالكى المحوارِ

فهرس الكتاب

الصفحة

الموضوع	من	إلى
النسب الشريف لإمامنا المجدد.....	١	٢
مقدمة الإمام المجدد سيدى محمد الرفاعى	٣	٥
مَنْ هم الصوفية فى نظر أئمتهم ؟	٦	٩
المرتبة الأولى من دعائم التربية الصوفية مرمة لمعاش..	١٠	٢١
المرتبة الثانية من دعائم التربية الصوفية خطوة فى معاد	٢٢	٣٨
المرتبة الثالثة من دعائم التربية الصوفية لذة فىغير محرم	٣٩	٤١
كيفية إيثار السادة الصوفية لله تعالى على ماسواه ؟	٤٢	٤٩
وصف الإمام الصالح للتربية الصوفية	٥٠	٥٩
قيام الليل عند السادة الصوفية	٦٠	٦٢
الفرق بين المشاهدة والحلول عند السادة الصوفية	٦٣	٦٤
حقيقة علم التصوف وعلاقته بالشريعة	٦٥	٦٨
حد علم التصوف وعلامات الصوفى الصادق والكاذب	٦٨	٧٠
موضوع علم التصوف ، وواضعه ، واستمداده وحكم	ـــ	ـــ
الشارع فيه وتصور ومسائله وفضيلته ونسبته وفائدته...	٧١	٧٧
الشيخ المربى وعلاماته والمشايخ من حيث الإسم	ـــ	ـــ
آداب المريد مع شيخه وآدابه مع إخوانه	٧٧	٩٢
أصول الطريق إلى الله علامات المتصنعين والمدعيين ..	٩٢	٩٦

آداب الطريق ، وعيوب النفس والقلب والروح علاجها ..	٩٧	١٠٨
دواء العلل والعيوب بالعزلة الصمت والسهر والخلوة	١٠٩	١١٨
الورد مفهومه الصحيح معناه الصريح وأقسامه وثمرته .	١١٩	١٢٣
ورد الطريقة وسيلة الوصول للحقيقة أولاً الصلاة	١٢٣	١٣١
ثانياً ذكرالله بالقرآن وكلمة التوحيد	١٣٢	١٣٨
الذكر جماعة وحلقات وفضائل الـــذكر ومعنـــى البدعـــة	ـــ	ـــ
ووصف الذكر جماعة ، ورفع الصوت فيه وآداب الذكر...	١٣٨	١٥٠
ثالثا الصلاة على النبى ﷺ ومعنى التوسل	١٥١	١٥٧
الأبدال النجباء والأقطاب	١٥٨	١٥٩
أولياء الله ومقاماتهم وأحوالهم	١٥٩	١٧٩
الواردات الإلهية فى قلوب الأولياء	١٨٠	١٨١
الأحوال والمقامات عند أولياء الله	١٨٢	١٩٧
الإيذاء الشديد فى حياة الولى قبل وبعد الولاية	١٩٨	٢١٣
وصف سيدنا على لأولياء الله تعالى	٢١٤	٢١٧
الشريعة والحقيقة ومحنة الصوفية فى زمن الإمام الجنيد	٢١٨	٢٢٦
الحب الإلهى من أسرار الله فى الوجود	٢٢٧	٢٤٩
سيدى أبو يزيد البسطامى والحب الإلهى	٢٥٠	٢٥٥
سيدى أبوالحسن الشاذلى والحب الإلهى	٢٥٦	٢٦١
سيدى ذى النون المصرى والحب الإلهى	٢٦٢	٢٦٣
أمثلة متنوعة لأهل الحب الإلهى	٢٦٤	٢٧٣

طائفة المجاذيب والمجانين فى الحب الإلهى	٢٧٤	٢٧٥
سيدنا بهلول المجنون	٢٧٦	٢٨٠
سيدنا سعدون المجنون	٢٨١	٢٨٣
أمثلة عن طائفة المجاذيب والمجانين فى الحب الإلهى ...	٢٨٣	٣٠٦
الصوفى والمتصوف	٣٠٦	٣١٤
الإمام الشافعى والصوفية	٣١٤	٣١٦
قصيدة لسيدى إبراهيم الدسوقى رضي الله عنه	٣١٧	٣١٨
نبذة عن حياة سيدى أحمد البدوى رضي الله عنه	٣١٩	٣٣٢
قصيدة آداب الطريق ليسدى أبايزيد البسطامى رضي الله عنه	٣٣٣	٣٣٦
النظم العريق لسالكى الطريق لسيدى محمد الرفاعى رضي الله عنه.	٣٣٧	٣٤٢
فهرس الكتاب	٣٤٣	٣٤٥

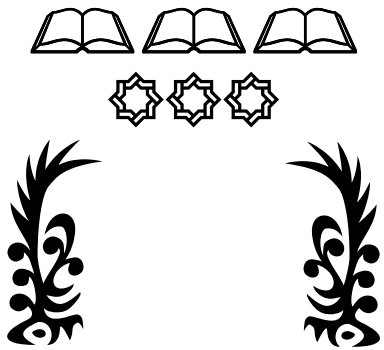

بسم الله الرحمن الرحيم

و السابقون السابقون أولئك المقربون

في جنات النعيم

ثلة من الأولين و قليل من الآخرين

صدق الله العظيم

١٤٣٠ هـ

٢٠٠٩ م